

السنة الثانية
العدد ٢٠

يـنـايـر ٢٠٢٤
جمادى الآخرة ١٤٤٥

أنصار النبي ﷺ

رئيس الهيئة د. محمد الصغير
رئيس التحرير محمد إلهامي

لماذا نحتاج أن ندافع عن غزة؟
محمد إلهامي

الجهاد أصل الأسوة الحسنة في الرسول ﷺ
عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج

ما وراء الصور في حرب غزة
د. أحمد شتيوي

اللقاء الأخير
القائد الشهيد حسام جرادات

أينما وُجد الصهاينة ستجد كتائب القسام
القائد الشهيد أحمد الجعبري

وغيرها من المقالات...

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن



أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

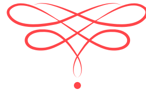
تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد



رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

أئمة الهدى

«من تراث علمائنا الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

أكاديمية أنصار النبي

SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74

@ansaracademy_

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم





الافتتاحية

طوفان الأقصى في ميدان الدعوة



د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

اختار المجاهدون في فلسطين عنواناً عبقرياً لبداية مشروع التحرير، فأطلقوا عليه **طوفان الأقصى**، وبالفعل شابه الطوفان الأول، فإن كان طوفان نوح عليه السلام غمر العالم بمياهه وأمواجه، فإن طوفان الأقصى غطى العالم بشؤونه وأخباره، ويتضح هذا من أقصر طريق، إذا نظرنا إلى الحرب العالمية التي يخوضها العالم الغربي ضد روسيا على الأرض الأوكرانية، فقد توارت أخبارها وبهتت أحداثها، بل إن المرات التي تحدث فيها الرئيس بوتين مؤخراً تناولت العدوان على غزة، أكثر من حديثه عن حربه على أوكرانيا.

وبعيداً عن الانتصار المباغت الذي حدث في السابع من أكتوبر الماضي، وما تلاه من غارات ثأرية استهدفت النساء والأطفال من قِبل العصابة النازية، بالإضافة إلى ما أظهره الشعب الفلسطيني كله من صبر وثبات، وبسالة الكتائب المجاهدة التي تفاوض ويدها على الزناد، وغير ذلك كثير من زوايا النصر التي يمكن أن يتحدث عنها الخبراء في كل ميدان، ولكني أقف معكم هنا في ميدان الدعوة، وما حققه الطوفان في قضايا الإيمان.



أولا: مع القرآن الكريم

أصبح لآيات الجهاد وسور القتال -كبراءة ومحمد- معان متجددة، وتستدعي للمخيلة صوراً مشاهدة، أغنت المفسر عن الرجوع إلى العصور الغابرة، وما عليه إلا الربط مع الصورة الحاضرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].. فكان مرجعنا للتقريب والتفسير إلى غزوة بدر ويوم الفرقان، ولكننا الآن نرى أمامنا ما تفعله قذائف «الياسين» في دبابات الميركافا وغيرها.

وذلك نتيجة الامتثال لأمر الله في قوله جل في علاه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فإن من يبذل الوُسع ويستفرغ الطاقة تأتيه المعونة لا محالة.

كما تجلى لنا قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وأعادوا لنا صورة طالوت وجنوده.

ومع اقتراب معركة الطوفان من شهرها الثالث أدرك المتابعون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، وأن الفريقين لا يستويان، فقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.



ويستطيع كل من يقرأ القرآن بتأن وتدبر أن يجعل لنفسه وقفات مع القرآن في ظلال الطوفان.

ثانياً: السنة النبوية

طوفان الأقصى هو عين الجهاد بالسنن، وصورة من تجليات السنة النبوية، وتصديق لما ورد فيها من بشريات النصر وطبيعة الصراع، وهو ما يُعرف بدلائل النبوة، ومن ذلك الحديث الشهير: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[1].

فليست أمة واحدة أو جنس بعينه يقاتل في غزة، وإنما تداعت الأمم وتكالبت الدول على الشعب الفلسطيني، المحاصر من سبع عشرة سنة في غزة، واجتمعت قوى الغرب بقيادة أمريكا ومؤازرة دول القارة العجوز لإبادة أهل غزة وإخراجهم من أرضهم، وفي المقابل طالعنا رأي العين ما بشر به رسول

١ أخرجه أبو داود بسنده عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً، (٤٢٩٧).

الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم مَن خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[٢].

وقد تكفل لهم الله على لسان رسوله ﷺ بإحدى الحسنيين؛ فهو جهاد نصر أو استشهاد! عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تكفّل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته، أن يدخله الجنة، أو يردّه إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة»[٣].

ثالثاً: الدعوة والتربية



تحقق مع طوفان الأقصى من النتائج الدعوية والتربوية ما لم يحققه جيش من الدعاة وأسطول من المربين، ومن ذلك:

أ. ما يُعرض من مواقف الثبات وقوة اليقين في موعود رب العالمين، خير من ألف موعظة في التزكية، وألف خطبة في أصول التربية.

ب. لو اجتمع أئمة التفسير وعلماء التأويل ما أوصلوا المعاني القرآنية في معاملة الأسرى من أقصر طريق وأبلغه، كما فعل المرابطون الذين جسدوا ذلك كله في التطبيق العملي لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

---

٢ أخرجه أحمد بسنده من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (٢٢٣٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩١/٧): «رجاله ثقات».

٣ متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٤٧٦٣)، ومسلم (١٨٧٦).

حتى تطابقت شهادات كل الأسرى على حسن المعاملة، وإظهار محاسن الإسلام، حتى قالت إحدى الأسيرات: «**المرأة عندهم ملكة أو مقدسة!**»

ت. نفتْ عملية طوفان الأقصى شبهة عتيقة، تظهر وكأن عليها مخايل الحقيقة، وهي أن الأمة الإسلامية أمة تاريخية، ليس لديها مستقبل ولا تعرف إلا التغني بأمجاد الماضي، فإذا فرغوا من عبقريات عمر، انتهى بهم المطاف إلى صلاح الدين وبطولات حطين، لكن كتائب الشيخ عز الدين القسام وضعوا رمزهم وشيخهم في الصفحة المضيئة نفسها من صفحات التاريخ، وتلاميذ الشيخ أحمد ياسين أثبتوا بحق أنه شيخ المجاهدين، ورفقاء يحيى عياش أحيوا ذكره، وجعلوا اسمه قرين الإثخان والوصول إلى قلب العدو «عياش ٢٥٠».

د. انتهت أسطورة الجيش الذي لا يُقهر، حيث بلغ القهر إلى تبول جنوده على أنفسهم أثناء النوم، أو الاستيقاظ على كابوس وعدم السيطرة على النفس، بخلاف أعداد القتلى التي لم يشهدوا مثلها في أي حرب سابقة، كما تبخرت أكذوبة أقوى أجهزة المخابرات بعد رجوع أفراد عاديين بأسرى من المستوطنين فيما عُرف بـ «غزوة الموتوسيكلات».

وكُسر الضلع الثالث لمثلث الوهم، وهو التفوق الإعلامي وصناعة التأثير، حيث أصبح أكثر من ٨٠٪ في العالم يكذبون رواية الاحتلال ويتحدّثون أن دولته إلى زوال، وذلك كله من بركة رفع راية الجهاد والاستشهاد، فإن كان من المسلّمات أنه «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا»، فمفهوم المخالفة يقتضي أنه ما قام قوم بالجهاد إلا عزوا.

نسأل الله لعباده المجاهدين النصر والفوز والتمكين.

لماذا نحتاج أن ندافع عن غزة؟
وكيف نتخلص من العجز؟



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

عند صدور هذا العدد من المجلة ستكون الحرب على غزة قد ناهزت التسعين يوماً، وقد رأينا فيها من طوفان المشاهد في كل اتجاه، طوفان الإجرام والتوحش والظلم، وطوفان الدم والألم والمرارة، وطوفان الخزي والعار والخذلان والذلة، وطوفان العزة والمقاومة والبسالة والتحدي! ولكل قوم طوفانهم! ويوم القيامة يرى كل واحدٍ منهم طوفانه على نوعيْن فحسب: طوفان من الحسنات أو طوفان من السيئات!

وفي هذه السطور أريد أن أتحدث عن الطوفان الذي يشملنا نحن، وهو طوفان الضعف والعجز، وكيف يمكن أن نتخلص منه!

من المؤسف أن كثيراً من الناس يستسلمون لهذا العجز، ولا يفكرون في أن يرفعوه عن أنفسهم، ويحسبون أنهم إذا عجزوا فقد برئوا من المسؤولية.. فإلى هؤلاء نتكلم!

ولكي يكون الكلام لكل العاجزين، فسنتحدر بالكلام ونحط به حتى يشمل الجميع: المؤمنين والكافرين، الذين ينتظرون اليوم الآخر والذين يحبون الحياة الدنيا، الذين يسعون إلى رضا الله والذين لا يفكرون إلا في مستقبلهم ومستقبل أولادهم.

دعونا نفكر بعيداً عن الإسلام والأخلاق والإنسانية، بل ودعونا نترك أهل غزة للموت دون أن تطرف لنا عين، دعونا نفكر في أنفسنا فقط، فلنفكر فقط كحيوانات تريد أن تعيش حياتها في رفاهية وأمن.. المفاجأة هنا، أنه حتى بهذا المنطق وحده:

يجب أن نفعل كل ما نستطيع لغزة!



١ يجب أن نفعل كل ما نستطيع لغزة لأننا نكتشف الآن أن غزة تَصُدُّ عنا وحشًا بشريًّا دموياً فظيعاً للغاية هو (إسرائيل)، وهذا الوحش لا يتورع ولا يتردد -كما نرى في الصور والمقاطع المرئية- عن تقطيع الأطفال وتحويلهم إلى أشلاء، وعن هدم المستشفيات، وعن تعرية الشيوخ في الساحات وشحنهم في السيارات عرايا تحت ظل البرد والصقيع... إلخ! ولقد قال وزير دفاعهم دون أدنى شعور بالعار بأنه يعدّ هؤلاء الناس: «حيوانات بشرية». وخرج بعض أحبارهم يتلو علينا من كتابهم (المقدس) عبارات تسمح لجنودهم بإبادة الجميع: النساء والأطفال والرضع وحتى الحيوانات، وأفتى لهم بعض الحاخامات بجواز اغتصاب البنات والنساء للترفيه عن جنودهم.

وبالتالي، وأرجوك تذكر أننا ما زلنا نفكر كحيوانات تريد أن تعيش حياتها الدنيا، وبغض النظر عن أي دين أو أخلاق أو إنسانية.. بالتالي، فنحن الفريسة التالية التي تنتظر أن يأتيها الإسرائيليون، ليرتكبوا فينا نفس ما يفعلونه الآن.. إن هذا الوحش العنيف يجب أن نفعل كل ما نقدر عليه لكي يتوقف وينكسر وينهزم في غزة!

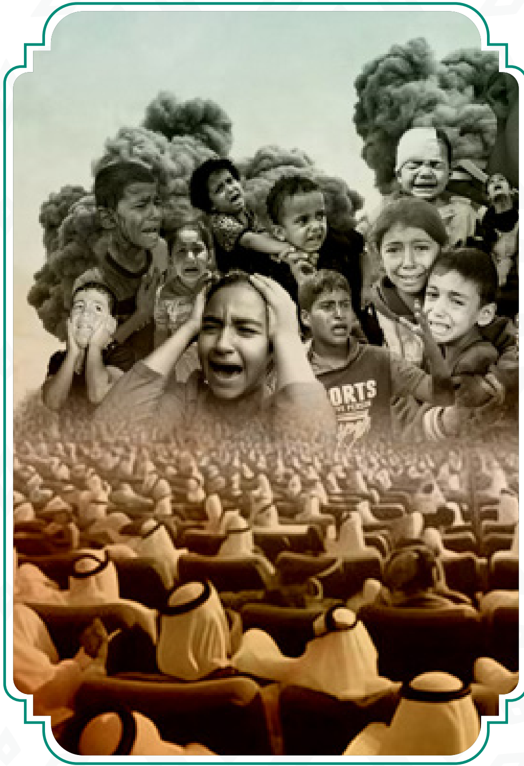
٢ ثم يجب أن نفعل كل ما نستطيع لغزة، لأن هذا الوحش الإسرائيلي مدعوم بوحوش أخرى أكبر وأقوى وأكثر شناعة وفظاعة: أمريكا وأوروبا.. فبعدما عشنا زماناً طويلاً نسمع أحاديث حقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها وحقوق النساء وحقوق الأطفال واحترام سيادة الدول والخوف من المقاتلين الأجانب ومن الجهاد العالمي... إلى آخر هذا الطابور الطويل! إذا بكل هذا يتبخر الآن، وتقف كل هذه المؤسسات عملياً إلى جانب الوحش الإسرائيلي، من أول مجلس الأمن المرهون بـ(فيتو) واحد، وحتى مواقع التواصل الاجتماعي التي تزيل الحسابات والصفحات من أجل منشور واحد لا يوافق ما تسميه معاييرها.. لا بل على العكس، لقد تدفقت الأسلحة والمساعدات والخبرات على إسرائيل، وجاءها المتطوعون من يهود ومن غيرهم لكي يقاتلوا معها، فاتضح أن لديهم جهاداً عالمياً ومقاتلين عابرين للحدود، ولكنه على هواهم.

ونحن -لمرة أخرى، وكحيوانات تحب أن تعيش في أمن ورفاهية- من مصلحتنا أن ينكسر الوحش الإسرائيلي، وأن تنكسر مساعدات الوحوش الكبرى، لأن انتصارهم في غزة سيعني توسعهم في أراضينا وبلادنا.. ونحن جيل قريب العهد بالاحتلال الأجنبي: الإنجليزي والفرنسي



والأمريكي والروسي، فمن لم يدركه بنفسه -كما في العراق وسوريا وأفغانستان- فقد أدركه أبوه وجده في سائر بلادنا العربية.. وبالتأكيد، فلكي نحفظ أنفسنا ونحفظ أبناءنا فيجب ألا نسمح بانكسار غزة.

٣ ثم يجب أن نفعل كل ما نستطيع لغزة، لأن هذا الوحش الإسرائيلي، وهذه الوحوش الداعمة له، تعتمد اعتماداً أساسياً ورئيسياً ومفصلياً على وحوش أخرى لا تقلّ قسوةً ولا شراسةً ولا تلمظاً..



تلك هي الأنظمة العربية الحاكمة التي تقوم بدورها في تكبيل الشعوب وتقييدهم، وتقوم بدورها في حصار غزة وتركها في مجاعة ومذبحة.. لقد رأينا في هذه الأحداث أنهم يمتلكون قلوباً قاسية وغليظة وصخرية، قلوباً لا تحرك البتّة، قلوباً قد نُزِعت منها الرحمة والشفقة وكل ما يميز البشر، ولم يبقَ فيها إلا الوحشية الدموية.. إنها أنظمة تتفرج مستمتعةً على ما يجري، بل تريد أن ينتهي الأمر بسرعة، وما لم تنطق به ألسنتهم الرسمية يتسرب إلينا عبر ألسنتهم الإعلامية، وعبر التصريحات التي ينقلها الأجانب عنهم في صحافتهم وإعلامهم.

إن هذا كله يعني بوضوح أنه إذا سقطت غزة، أو حتى إذا لم تسقط غزة، فبعيداً عن غزة كلها، وبعيداً عن أي حساب للدين والأخلاق والإنسانية، هذا يعني أننا أيضاً تحت حكم هذه الوحوش المفترسة التي لا تسكنها أية ذرة من الرحمة أو الشفقة!

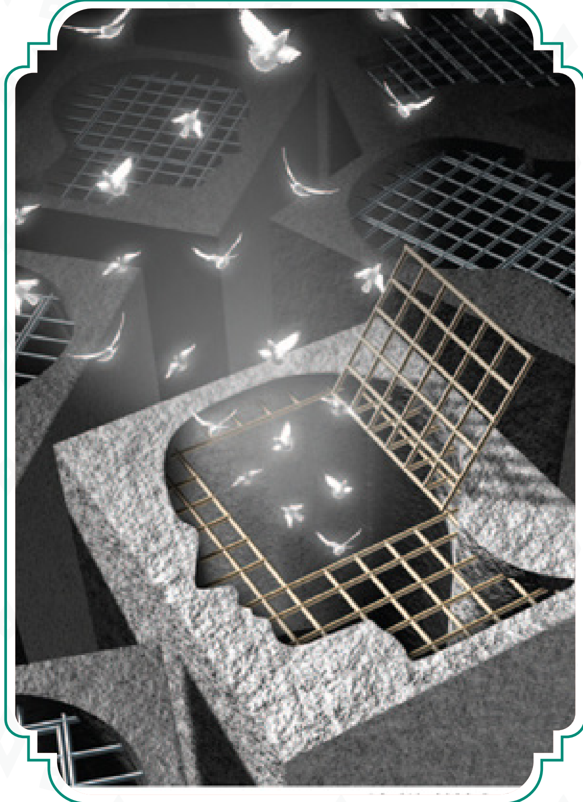
نحن إذن، وعملياً، في براثن الذئاب والضباع التي لا إشكال لديها أبداً في افتراسنا وتقطيعنا وتجويعنا وتعطيشنا إذا رأوا أن هذا في مصلحتهم!

إنه مستقبل أسود مظلم كالح لا بد أن نهرب منه!

وإن المشاهد التي نراها في غزة، سنراها غداً في أنفسنا أو في أبنائنا وأحفادنا، ولئن كانت غزة تقاوم، وتستطيع أن تصيب من الصهاينة، فإن الشعوب المقيدة المكبلة التي لا ترى في هذه الأنظمة عدواً ستكون أسهل في افتراسها، وستكون أعجز عن المقاومة من غزة وأهل غزة.

وإذن.. فلا بد أن تكون لنا القدرة على المقاومة.. لا بد أن نتخلص من هذا العجز.. لا بد أن نفعل شيئاً ندفع به عنا ذلك المصير الشنيع الذي ينتظرنا إذا سقطت غزة لا سمح الله!

خلاصة ما يسفر عنه البحث والتفكير في رفع هذا العجز ثلاثة أمور كبرى، وكل واحدة منها صعب وثقيل وعظيم التكلفة، بنفس صعوبة وثقل وفداحة النكبة التي نحن فيها فعلاً، وداخل كل أمرٍ من هذه الثلاثة تفاصيل لا يمكن أن يحيط بها مقال ولا كتاب، وهي متروكة لكل قارئ ينظر فيها ليرى ماذا يستطيع أن يفعل.



هذه الأمور الثلاثة -أو لنقل: هذه العُقَد الثلاثة- هي: عقدة الأفكار، وعقدة السلاح، وعقدة الأموال.

١ عقدة الأفكار

لا بد أن نتخلص من كل فكرة تُقيدنا وتُكبلنا..

إذا كانت هذه الوحوش لا تقدس شيئاً ولا تحترم شيئاً وتخترق بنفسها القوانين التي كتبتها والدساتير التي ألّفتها.. فلماذا نحترم نحن هذه القوانين وهذه الدساتير؟!



نحن إذا كنا مسلمين فسنعرف أنه لا طاعة إلا في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الله.. هذه قاعدة قاطعة في ديننا، فلا شيء عندنا -نحن المسلمين- يسمو فوق القرآن والسُّنة، وكل قانون أو دستور أو تشريع يحلّ حراماً أو يحرّم حلالاً فهو باطل، من واجبنا أن نعصيه ما استطعنا، وأن نقاومه ما استطعنا، وأن نغيّره ما استطعنا. فحتى لو صدر الباطل عن حاكم عادل فلا طاعة له، فكيف إذا صدر عن حاكم جائر أو حاكم خائن!

لابن تيمية عبارة ذهبية يقول فيها: «الحاكم العدل يطاع إلا فيما عُلِم أنه معصية، وأما غير العدل فلا يطاع إلا فيما علم أنه طاعة».. فلو كان المسلمون يحكمهم من لا يتوثقون من عدله ويتشككون فيه، فإنهم يطيعونه إذا أمرهم بطاعة، كأن يأمرهم بالصلاة أو بالجهاد! وأما إذا أمرهم بشيء لا يعرفون ما إن كان من الطاعة أو من المعصية، فالأصل أنهم يعصونه لتشككهم في عدالته.

وهؤلاء الذين يحكموننا ويكبلوننا الآن، أقل وصف يصدق فيهم هو وصف الجائر.. فما منهم واحد عادل.. ولو أردنا الحق، فبميزان الإسلام، ما منهم أحد إلا وقد ظهر منه الكفر البواح لا شك في ذلك.

هذا إذا كنا مسلمين نلتزم الإسلام، فإما إذا لم نكن مسلمين وفَضَّلنا أن نكون كافرين وعلمانيين وماديين.. فأما إن كانت كل غايتنا المحافظة على سلامة حياتنا الحيوانية الجسدية المادية.. فهؤلاء الحكام أنفسهم قد ارتكبوا الخيانة الواضحة الصريحة، وقد اقترفوا كل ما هو ضد مصالحنا، وقد ظهر منهم ما يدل على شرهم وتوحشهم، وأنهم لا يترددون في سحق الشعوب كما يَسحقون الحشرات.. لا رحمة ولا شفقة ولا تردد!

يجب التخلص من كل الأفكار السَّامَّة التي تسري في جسد الأمة، تلك التي تجعل من هؤلاء أولياء أمور تجب طاعتهم بعدما ظهرت خيانتهم، وتجعل من مؤسساتهم التي أنشؤوها لتكبيل الناس مؤسسات وطنية يجب احترامها والمحافظة عليها.. هل يمكن أن يتحرر سجين من سجنه، وهو يحترم مدير السجن ويلتزم قوانين السجن؟!

٢ حق التسلُّح



حق التسلُّح من حقوق الإنسان الفطرية الطبيعية، لم يفكر الإنسان في أي لحظة أن يتخلّى عما يدافع به عن نفسه إلا حين ابتُلينا بالنكبة التي تسمى «الدولة»، حيث تحتكر الدولة «القوة»، فتصير الدولة صورة كبيرة من مزرعة الدجاج.. أسراب من الدجاج الأعزل، يحبسها ويذبحها جزار واحد، لأنه يملك القوة والسكين!

فلو أن هذه الدولة كانت دولة وطنية ترعى مصالح شعبها، وتوفر له الأمن والرفاهية، ويشعر في ظلها بالحماية من العدو المحتل.. لو كانت الدولة كذلك، لكان النقاش في تسلح الشعوب محل نظر! أما وقد ثبت بالوقائع والدلائل أنها دولة جبارة علينا خوارة على عدونا، فالأمر لا يحتمل التفكير ولا النظر!

وهؤلاء الأمريكان والإسرائيليون أنفسهم، جيوش قوية مدججة، وشعوب مسلحة أيضاً.. لم يستطع الديمقراطيون بعد الجهد أن ينزعوا من شعبهم حق التسلح، وأما الإسرائيليون فهم يحبذون أن يتدرب شعبهم على المزيد من التسلح، واستعمال المزيد من الأسلحة!

يجب أن تسعى شعوبنا إلى حق التسلح. التسلح هو الأمر الوحيد الذي سيجعلنا نستطيع المقاومة، حتى لو هُزِمنا في النهاية فسنُهزم في ساحة القتال لا تحت يد مَن يتفننون في التعذيب والتقطيع والتجويع وانتهاك الأعراض! ويمكن أيضاً أن ننتصر! أو قد نصل إلى صيغة لا غالب ولا مغلوب فنحسّن وضعنا في الحياة!

لما احتكرت السلطة السلاح صارت البلطجي الأكبر! صارت المسلح الذي يذبح ما يشاء من الناس، لا قانون ولا قضاء ولا صحافة إلا بالقدر الذي يسمح به، أو بالقدر الذي يحقق له مصالحه. ونحن أمة تتعب الآن من عدِّ مذابحها التي لم يحاسَب فيها أحد!

السلطة في بلادنا ليست إلا عصابة مسلحة، عصابة تملك أن تجعل إجرامها قانوناً ودستوراً، تضع عليه لافتات: مصلحة الوطن والأمن القومي وحماية الشعب... إلخ هذه الترهات والخرافات!

٣ عقدة الأموال



ومثلما يجب أن تنكسر هذه الهيمنة الكاملة لهذه الأنظمة على الأسلحة، يجب أن تنكسر هيمنتها على الأموال أيضاً.

يجب أن نحتفظ بأموالنا بين أيدينا، ذهباً أو نقوداً أو أصولاً.. لقد سحبوا منا الذهب والفضة وأعطونا بدلاً منها أوراقاً يصْدرونها في مطابعهم، جعلوا لها -بسلاحهم- قوة الأموال، ثم صارت قيمة الأموال تتناقص (يسمونها للتطليف والخداع: التضخم) لأنهم بفسادهم نهبوا البلاد والأموال ولم يحْسنوا استثمار مواردها، وأمتنا هي أغنى بلاد الله في هذه الأرض: مياه ونفط ومعادن وثروات مكنوزة وأراضٍ خصبة وبحار غنية وموقع ممتاز يتحكم في طرق التجارة والمواصلات.. ليس في هذا العالم أمة مثل أمتنا في قدراتها الاقتصادية.

ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد، فجعلوا الأموال أرقاماً في بطاقة ممغنطة، كي لا يتكلفوا الطباعة إذا أَعطوا، ولا يتكلفوا البحث إذا أخذوا ونهبوا.. ثم الآن يجعلونها في أكواد مشفرة، كي يضغطوا زراً إذا أعطونا أموالنا، ويضغطوا زراً إذا أرادوا سحبها، ويشاهدون حركة كل قرش بين أيدينا، فإذا غضبوا على أحد منعوه حتى الطعام والشراب، ولم يستطع أحد أن يغيثه بكَسرة خبز أو بشربة ماء (فكل هذا مراقب!)

كلما سحبنا أموالنا من بنوك هذه الأنظمة استطعنا أن نفعل بها ما نريد أو ما نقدر عليه.. حتى لو سنعيش حياتنا على المقايضة بالسلع والخدمات.. فهذا أحسن من أن تكون ثرواتنا في يدهم، يضيّعونها في ملذاتهم أو في خياناتهم أو يصادرونها بجرّة قلم أو بضغطة زر!

بمنطق الإسلام؛ يجب أن نثور على هذه الأوضاع وأن نقاتل عن إخواننا قبل أن نقاتل عن أنفسنا، وأن ندافع عن مسرى نبينا قبل أن ندافع عن أبنائنا!

وبمنطق الكفر والحياة الرخيصة يجب أيضاً أن نثور على هذه الأوضاع وأن ننتزع حياتنا الطبيعية كما يعيش الناس، وساعتها سنرى أن غزة تمثل تجربة حيّة أمامنا، وساعتها ستوجب مصلحتنا الرخيصة علينا أن نسارع في إنقاذ غزة لأنها حصن إذا انهار فسيزداد توحش هذه الوحوش الغبية والجائعة!

المقاومة ليست أمراً سهلاً.. ولكن لا حياة دونها!

والذي يقاوم يَنتصر أو يُستشهد أو حتى يَنهزم وقد أدَّى ما عليه أمام الله ثم أمام أبنائه وأمام التاريخ، والله يوفّيه أجره يوم القيامة.. وأما الذي يذل ويخضع ويستكين، فسيدفع من تكاليف الذل أكثر مما حاول أن يتجنبه من تكاليف المقاومة! وسيرى نفسه وأبناءه بعده يُفعل بهم ما يكره دون أن يملك لهم شيئاً! ثم يأتيه الموت ويُبعث يوم القيامة ليرى أنه قد خسر خسراناً مبيناً!

هذه حقيقة الجهاد



د. عبدالحي يوسف

عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فقد أعدَّ خصوم الإسلام وأعداؤه خطة محكمة في السنوات المتأخرة من أجل الصد عن سبيل الله، وذلك بتشويه شريعة الجهاد وصورة المجاهدين؛ حين صنعوا تنظيمات عميلة رخيصة يقوم عليها رجال مجهولون ﴿يصدّون عن سبيلِ اللهِ ويَبغونها عِوجًا﴾، فرأينا مناظر تقطيع الرؤوس وجزّ الرقاب وأخذ الناس بالظِّنَّة، مع إقدام غير حميد على سفك الدماء وتخريب العامر وإتلاف الممتلكات، حتى استقر في أذهان كثير من الناس أن هذه هي حقيقة الجهاد؛ خاصة مع اللحى

الكثّة والأثواب القصيرة والتكبير الكاذب، وادعاء بطولات فارغة ثبت مع كرِّ الأيام أنها ما كانت إلا ﴿كسرابٍ بقيعةٍ يَحسبه الظمآنُ ماءً﴾، ولم ينَلِ المسلمون في بلادهم من جرّاء تلك التنظيمات إلا خراباً ودماراً في العراق والشام وغيرها من بلاد الله.



وقد عملت تلك الصورة النمطية عملها خاصة عند غير المسلمين سنينَ عدداً، حتى قيَّض الله أولئك المجاهدين في غزة العزة -جزاهم الله خيراً وكثَّر سوادهم وبارك مسعاهم- فقاموا بتلك العملية العظيمة في السابع من أكتوبر حين باغتوا العدو وأحدثوا فيه قتلاً وأسراً وجرحاً، وكانوا كراماً مؤمنين فلم يتجاوزوا حدود الشرع ولا تعدَّوا آدابه، ولم يبسطوا أيديهم بالسوء لغير مقاتل؛ ملتزمين بوصية نبيهم ﷺ حين أرسل أَبَا قَتَادَةَ وَأَبَا عَتِيكٍ وَأَبَيْض بْنَ الْأَسْوَدِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَقْتُلُوا صَبِيًّا وَلَا امْرَأَةً». ووصية الصديق أبي بكر رضي الله عنه حين بعَثَ جُيُوشًا إلَى الشَّامِ فَخَرَجَ يَتْبَعُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: إنّي أُوصيك بِعَشْرٍ: «لاَ تقْتُلَنَّ صَبِيًّا، ولاَ امْرأَةً، ولاَ كَبيرا هرِمًا، ولاَ تقْطَعَنَّ شجَرًا مُثْمِرًا، ولاَ تُخَرِّبَنَّ عامِرًا، ولاَ تَعْقِرَنَّ شَاةً، ولاَ بقرة إلاَّ لِمأْكَلة، ولاَ تغْرِقَنَّ نخْلاً، ولاَ تحْرِقَنَّهُ ولاَ تغلّ، ولاَ تجْبُنْ».

وكان هؤلاء المجاهدون مثالاً للمسلم المصلح الذي يغزو ابتغاء وجه الله، إعلاء لكلمة الله، وحماية للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وإظهاراً لعزة الإسلام وأهله، ورغبة في الشهادة في سبيل الله؛ فيصدق فيهم بشارة النبي ﷺ: «فأما من ابتغَى وجهَ اللهِ، وأطاعَ الإمامَ، وأنفقَ الكريمةَ، وياسَرَ الشريكَ،



واجتنَبَ الفَسادَ، فإنَّ نومَه ونَبَهَه أجرٌ كُلُّه». فرأينا تعاملاً راقياً وأخلاقاً فاضلة من أولئك المجاهدين في تعاطيهم مع أسراهم -رجالاً ونساء- رعايةً للحرمات وإكراماً لذوي الشيبة وحُنُواً على الصغار، فكانوا مثالاً تطبيقياً لقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ويُطعمون الطعامَ على حُبه مِسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان: ٨]، حتى رأينا أولئك الأسرى حين أُطلق سراحهم يلوِّحون لآسريهم متبسمين في وجوههم، بل عقدوا مؤتمرات صحفية شهدوا فيها بكمال الأدب وحسن المعاملة ودماثة الأخلاق من أولئك المقاتلين الشرفاء «والحقُّ ما شهدت به الأعداء».

وما كان مجاهدو (القسّام) إلا امتداداً لسلف صالحين مارسوا الأخلاق نفسها في أفغانستان ومالي وغيرها مما كانت ثمرته إسلامَ بعض أولئك المأسورين، وليس آخرهم تلك المرأة الفرنسية (مريم) التي ألقمت عدو الله (ماكرون) حجراً حين جاء يستقبلها في المطار ممنياً نفسه بعقد مؤتمر صحفي مع تلك المرأة التي حُررت من الأسر، ظاناً أنها ستذم الإسلام وأهله؛ ففوجئ بها تخبره أنها مسلمة، وأنها ستعود إلى (مالي) تقضي فيه ما بقي من عمرها، فردَّ الله الكافر بغيظه، وأعلى كلمته.

أما عدوهم الصهيوني الظلوم الغشوم ومن والاه من ملل الكفر فقد هتك الله أستارهم وكشف أسرارهم وأظهر حقيقتهم، بأنهم لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذِمة، وأن حديثهم عن حقوق الإنسان هراء، ودعواهم هواء، حين شنوا حرباً ضروساً لا خلق فيها ولا ضمير، لم يفرِّقوا فيها بين مقاتل وغيره، بل شملوا ببطشهم الرجال والنساء والشيوخ والشباب والأطفال، وما سلمت من حقدهم المشافي والمدارس والمساجد والكنائس والمساكن؛ وليس في ذلك جديد فقد فعلوها من قبل في العراق وأفغانستان قريباً، وفي ألمانيا واليابان قديماً، وحُقَّ لأولئك المجاهدين أن يقولوا كما قال الأول:

مَلَكْنَا فكان العفوُ منا سجيةً •• فلمّا ملكتُم سال بالدم أبطَحُ
وحلَّـلْتمو قتل الأُسارى، وطالما •• مررنا على الأسرى نَمُنُّ ونصفحُ
فحسبكمو هذا التفاوتُ بيننا •• وكلُّ إناء بالذي فيه ينضحُ

وثمّة كلمات أبيّن بها هدي الإسلام الحنيف في التعامل مع الأسرى مستدلاً بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ومن ذلك:



- أولاً: الإسلام يأمرنا بأن نلين القول مع الأسير، ونعلّق أمله بالله عز وجل، ونرغّبه في الدخول في ديننا، وذلك بأسلوب لطيف هيّن ليّن، لا على سبيل القسر والإكراه والإلجاء، فيقول جل من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ * وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠-٧١]. وهذه الآية نزلت في شأن أسرى بدر ممن حادّوا الله ورسوله وصدوا عن سبيله. **قال السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى:** «يُؤخَذُ من الآيتينِ ما يجبُ على المؤمنينَ من تَرغيبِ الأَسرى في الإيمانِ، وإنذارِهم عاقبةَ خِيانتِهم إذا ثَبَتُوا على الكُفرِ والطُّغيانِ، وعادوا إلى البَغيِ والعُدوانِ». وأسرى القسام ما سمعوا من آسريهم سباً ولا شتماً ولا لعناً ولا طعناً ولا هُجْراً، بل ألانوا لهم القول وأحسنوا معهم الفعل؛ التزاماً منهم بهدي الإسلام وتعاليمه.

ثانياً: الأسارى مِن المشرِكين يجِبُ إطعامُهم إلى أن يَرى الإمامُ رأيَه فيهم؛ مِن قَتلٍ أو غيرِ ذلك. **قال الرازي رحمه الله تعالى:** «فإن قيل: لَمَّا وَجَب قَتْلُه، فكيف يَجِبُ إطعامُه؟ الجوابُ: القَتلُ في حالٍ لا يَمنَعُ مِن الإطعامِ في حالٍ أُخرى، ولا يَجِبُ إذا عوقِبَ بوَجهٍ أن يُعاقَبَ بوجهٍ آخَرَ؛ ولذلك لا يَحسُنُ فيمَن يَلزَمُه القِصاصُ أن يُفعَلَ به ما هو دونَ القَتْلِ، وذلك على قولٍ في تفسيرِ الأسيرِ».

ثالثاً: الهدْي المضطرد في سيرة رسول الله ﷺ إحسان معاملة الأسير، وإيثاره بالخير ترغيباً له في الإسلام، فهذا نبينا ﷺ حين أسر من المشركين يوم بدر سبعين فرّقهم بين أصحابه وقال لهم: «استوصوا بهم خيراً». وهو في تلك الحال يوصي بأناس طالما عذّبوه وأصحابه، وحاولوا فتنتهم عن دينهم، وقد نفّذ الصحابة رضي الله عنهم وصية رسول الله ﷺ بأمانة، وكانوا سمحاء كرماء معهم، فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير رضي الله عنهما يقول: «كنت في رهط الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها، فيردها عليّ ما يمسها». وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث. وأسرى اليهود في يد كتائب القسام شهدوا بأنهم كانوا يطعمونهم من جنس الطعام الذي يأكلون، ولا يستأثرون عليهم بشيء، بل وفّروا الدواء للمرضى منهم، وأكثر من ذلك كان مع بعض النساء كلبها فتركوه لها حتى خرجت به حين أُطلق سراحها!



- رابعاً: في معاملة الأسير يقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. والفداء قد يكون مبادلة مع الأسرى المسلمين -كما فعلت كتائب القسام- وقد يكون فداء بالمال، وقد يكون بتقديم خدمة للمجتمع المسلم؛ روى أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة». قال: «فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي! قال: الخبيث يطلب بذحل «أي بثأر» بدر! والله لا تأتيه أبداً».

- خامساً: المنُّ على الأسير -أي إطلاقه بغير فداء- قد فعله رسول الله ﷺ؛ فَمَنَّ على ثمامة بن أثال الحنفي، وأبي عزة الشاعر أول مرة، وأبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب، وقال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً، وسألني هؤلاء النتنى لتركتهم له». وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون متسلِّحون يريدون غِرَّته فأسرهم ثم منَّ عليهم. ومَنَّ على أهل مكة يوم الفتح وقال لهم كلمته الشهيرة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ومَنَّ على سبي هوازن وهُم جَمٌّ غفير.

- سادساً: قد قال أهل العلم بجواز قتل الأسير الذي عظم جرمه واشتد فساده وأذاه للمسلمين؛ وهم ممن يُسَمَّون في عرف الحروب اليوم «مجرمي الحرب»، وذلك استدلالاً بفعل النبي ﷺ حين استثنى من أسرى بدر اثنين من عتاة المجرمين وهما عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وكذلك يوم الفتح سمى ناساً وأمر بقتلهم وإن وُجدوا متعلّقين بأستار الكعبة كمقيس بن صبابة وعبد العزى بن خطل، وهذا الذي صنعه عمر بن العزيز رحمه الله تعالى حيث روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر قال: أخبرني رجل من أهل الشام، ممن كان يحرس **عمر بن عبد العزيز قال:** «ما رأيت عمر بن عبد العزيز قتل أسيراً قط إلا واحداً من الترك»، قال: «جيء بأسرى من الترك فأمر بهم أن يسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين! لو كنت رأيت هذا -يشير إلى أحدهم- وهو يقتل في المسلمين لكثر بكاؤك عليهم»! قال: «فدونك فاقتله»! قال: فقام إليه فقتله.

غزة تدفن

ثالوث القوة الناعمة الغربي

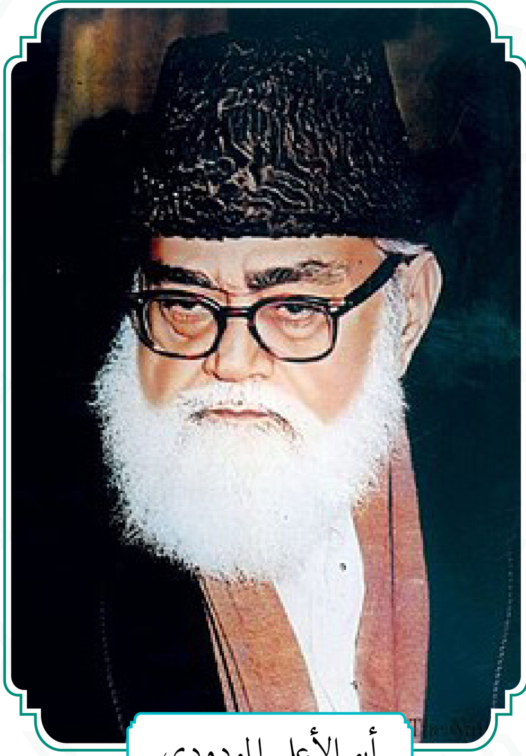


د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

عادة ما تقوم الدول الكبرى والإمبراطوريات العظمى على دعامتين أساسيتين: وهما دعامة القوة الخشنة المعتمدة على الجيش والأمن، ودعامة القوة الناعمة المعتمدة على قوى دينية وثقافية وفنية ونحوها، وقد نُقل عن المهاتما غاندي قوله: «إن أمريكا تعتمد على قوتين: تمثل الأولى بالقوة الخشنة وهي العسكرتاريا وجهاز المخابرات الأمريكي السي آي إيه، أما القوة الثانية فهي القوة الناعمة المعتمدة على هوليوود».

وما يجري للقوى العظمى ينسحب حتى على القوى الأصغر منها، فلكل قوة قوتها الناعمة الخاصة بها، بحسب قوتها وحضورها، فمن كان يجهل قوة الجامعة الإسلامية في السعودية يوم كان علماء كبار يدرّسون فيها من أمثال عبد العزيز بن عبد الله بن باز وغيره. فقد شكّل علماء المملكة في فترة من الفترات أيقونات المملكة، بحيث كانت تُعرف بهم، ومن بينهم مَن يقضي حياته وراء القضبان اليوم، وقطر عُرفت بقناة الجزيرة، وباكستان عُرفت قوتها الناعمة بجماعة الدعوة والتبليغ وبجامعة الحقانية، وبشخصية الإمام أبي الأعلى المودودي رحمه الله، حيث تعرّف كثير من العرب على باكستان من خلال المودودي وكتبه المترجمة، وعُرفت مصر بجامع الأزهر، كما عُرفت تونس بالزيتونة، وعرفت الجزائر بابن باديس والأمير عبد القادر الجزائري، والمغرب بعبد الكريم الخطابي، ونفس الأمر ينسحب على كثير من الدول.


أبو الأعلى المودودي

أرجع كثير من المؤرخين سبب انهيار الإمبراطورية الرومانية إلى العامل الأخلاقي، فأول ما تنهار العائلة الصغيرة أمام الأولاد والبنات حين يكذب الأب عليهم ويخدعهم، وما يجري لعالم الأشخاص ينسحب على عالم الدول، وهو نفس ما يحصل اليوم للقوى الغربية التي ابتلعت كل شعاراتها من حقوق الإنسان والحوكمة الرشيدة، والديمقراطية، فاستعذبت معاناة الشعوب عبر دعم جلاديها وقَتَلتها؛ إن كان في غزة أو في دمشق وبغداد والقاهرة وكابول وليبيا واليمن والصومال وغيرها، مما شكل انهياراً في القوة الناعمة الغربية التي بنتْها لعقود، وإن كان ذلك مفضوحاً للبعض في الماضي لكن أحداث الربيع العربي وثوراته بالإضافة إلى أحداث غزة.. فضحت كل شيء، فلم يعد هناك حاجة إلى محللين ومعلقين بعد أن غدا الخبر أقوى وأوضح من التحليل والتعليق.

في هذا المقال لن نتحدث عن انهيار القوة العسكرية الأمريكية والغربية، إن كان في العراق يوم احتلتها القوات الأمريكية تخسرت الكثير عسكرياً، وقبلها سعت لاحتلال أفغانستان فكانت الهزيمة المنكرة بعد عشرين عاماً من الحرب الضَروس التي فتكت بسمعة الولايات المتحدة الأمريكية، فأجبرتها على انسحاب تقازم أمامه انسحابها المهين من فيتنام، وبجوارها الهزيمة الفرنسية في أفريقيا الوسطى، ومعها فشل الاحتلال الروسي والإيراني في تحقيق أهدافه في سوريا على الرغم من استمراره لسنوات وبغطاء غربي، ولكن ظلت ثمة بؤر ثورية جهادية صامدة في وجه احتلال مزدوج، وتحديداً في الشمال السوري المحرر، الذي غدا كياناً يُفتخر به.



القوة الناعمة الغربية تتصدّع

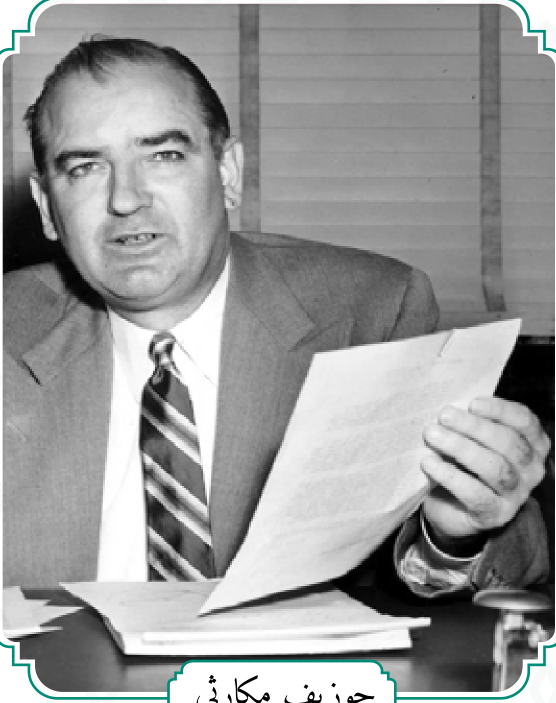
حين نتحدث عن القوة الناعمة الغربية نتحدث عن ثلاثة أضلاع لهذه القوة، والمتمثلة في:

أ. **الجامعات الغربية:** التي طالما نظر إليها العالم والشباب تحديداً على أنها محجة وقبلة له للتسلح بالعلم والفكر والثقافة.

ب. **والضلع الثاني: الإعلام الغربي:** الذي سعى طوال عقود إلى نشر مبادئ حرية الرأي وحقوق الإنسان في التعلم والوصول إلى المعلومة بالإضافة إلى حرية الرأي والرأي الآخر.

ت. **ويبقى الضلع الثالث الأهم وهو ضلع مؤسسة هوليوود:** والتي تعرضت لهزة أخلاقية ومعنوية لم تتعرض لها طوال تاريخها، ونحن هنا سنتحدث عن كل ضلع من هذه الأضلاع وما لحقه من أضرار معنوية، أدى في المجمل إلى تصدع القوة الناعمة الأهم في الغرب.

أ- الجامعات الأمريكية والمكارثية الفلسطينية


جوزيف مكارثي

المكارثية: مصطلح انتشر في الخمسينيات من القرن الماضي، وهو عبارة عن سلوك يوجّه الاتهامات بالتآمر والخيانة دون الاهتمام بالأدلة. يُنسب هذا الاتجاه إلى عضو بمجلس الشيوخ الأمريكي اسمه جوزيف مكارثي. كان رئيساً لإحدى اللجان الفرعية بالمجلس واتهم عدداً من موظفي الحكومة وبخاصة وزارة الخارجية، وقاد إلى حبس بعضهم بتهمة أنهم شيوعيون يعملون لمصلحة الاتحاد السوفياتي يومها، وقد تبين فيما بعد أن معظم اتهاماته كانت على غير أساس. وأصدر المجلس عام ١٩٥٤ قراراً بتوجيه اللوم عليه. ويُستخدم هذا المصطلح للتعبير عن الإرهاب الثقافي الموجه ضد المثقفين.

اليوم تواجه الساحة الدولية مكارثية بطعم فلسطيني، حيث يُوجَّه الاتهام لكل مَن يتعاطف مع الحق الفلسطيني، ومع ارتقاء أكثر من عشرين ألف ضحية -حتى كتابة هذا المقال- بأنه لا سامي، وأنه مؤيد للإرهاب، ولقد وجدنا هذا في حالة رئيسة جامعة بنسلفانيا -إحدى أرقى القلاع الجامعية الأمريكية- حيث استدعت لجنة التربية والتعليم في مجلس الشيوخ الأمريكي لتوجه لها الأسئلة فيما يتعلق بموقفها من الطلبة الذين يدعون إلى إبادة اسرائيل، وحين سعت الأكاديمية المعروفة للالتفاف على السؤال دون الإجابة عليه مباشرةً، لإدراكها حجم دية الجواب الذي ستدفعه، رفضت اللجنة دفاعها، ودعا مانحو الجامعة -وهم من اليهود أو من المؤيدين لهم- إلى المطالبة بعزلها من منصبها، وقد تم ذلك فوراً.

نفس الأمر حصل مع رئيس جامعة هارفارد العريقة الذي طالب المانحون بعزله، وتصدى أكثر من ٥٠٠ أكاديمي غربي للمسألة وطالبوا بإبقائه في منصبه، وكان اتحاداً يضم ٣٤ مجموعة طلابية في جامعة هارفارد أيضاً قد أصدر بياناً حمّل فيه النظام الإسرائيلي المسؤولية الكاملة عن جميع أعمال العنف المنتشرة بعد عقود من الاحتلال وذكر البيان: «أن نظام الفصل العنصري هو المسؤول الوحيد عما يحدث في غزة».



وقد انعكس هذا الواقع سلباً على الطلبة الإسرائيليين، فبحسب صحيفة يديعوت أحرنوت فإن الطلبة الإسرائيليين يتعرضون للاستهداف في شوارع مدن مثل نيويورك ولوس أنجلوس ولندن، والحوادث ضد الإسرائيليين زادت في العالم بنسبة ٥٠٠%. وقد انعكس هذا كله بحسب التقييمات الصهيونية على الأكاديميين الإسرائيليين، إذ عبّر باحثون إسرائيليون عن تخوفهم من أن المعارضة والاحتجاجات الواسعة للحرب حول العالم وخصوصاً في الولايات المتحدة ودول أوروبا ستلحق ضرراً كبيراً بعملهم داخل مراكز الأبحاث الأكاديمية في إسرائيل، بعد أن رصد مسؤولون إسرائيليون في عالم الأبحاث بعد السابع من أكتوبر بوادر نبذ وطرد أكاديميين إسرائيليين في عالم الأكاديميات داخل إسرائيل وخارجها، عبر وقف التعاون معهم من باحثين أجانب ومنعهم من الحصول على مِنَح لأبحاثهم، وحتى نشرها في المجلات الأكاديمية، ولم يقتصر هذا على الطلبة الجدد بل حتى على الأساتذة الإسرائيليين الكبار الذين لديهم علاقات وصداقات مع زملاء لهم في الغرب، وعلقت رئيسة منظمة Science Abroad الإسرائيلية ريفكا كارمي لصحيفة

ذي ماركر الإسرائيلية: «علماؤنا يواجهون تحديات صعبة في الجامعات خارج البلاد، ويعانون مظاهر معاداة السامية، وقسم منهم يتخوفون على سلامتهم وليس على مستقبلهم العلمي فقط».

وتعتقد يديعوت أحرنوت بأن الرأي العام الأكاديمي العالمي بات يتحول ضد إسرائيل بسبب تزايد التظاهرات الغاضبة داخل حرم الجامعات العالمية ضد حربها على غزة، وخصوصاً في جامعات الولايات المتحدة وكندا وأوربا التي يعتقد شريحة كبيرة من طلابها أن الحرب الإسرائيلية تجاوزت رد الفعل والدفاع عن النفس إلى استهداف المدنيين بمن فيهم الأطفال والنساء. لكن بنظر الكثيرين أن من ألحق الضرر بالباحثين الصهاينة ومراكز دراساتهم تغريدات مثقفيهم وخبرائهم الداعية إلى إبادة الفلسطينيين وقتلهم جميعاً، وهي السبب الرئيسي وراء الحملة الغربية التي تدعو لمقاطعتهم، فقد ناشد مدير البحث في شركة Chat Gpt الجيش الصهيوني إلى عدم التوقف عن قصف غزة ودون رحمة، وقد نشرت منظمة (أوقفوا الكراهية الصهيونية) تغريداته، وطالبت في عريضة نشرتها على باحثين وخبراء بالتوقيع عليها من أجل طرده من شركته رغم أن شركته يقودها صهيوني آخر وهو سام ألتمان.



لقد ألحقت الحرب في غزة ضربة حقيقية للجامعات الغربية، ولعل ابتعادها عن الأكاديميين الإسرائيليين يعكس بعض هذا الجانب، ولعل الخسائر المعنوية الكبرى لن يشعر بها الكثيرون الآن، فخسارة القوة الناعمة لا تُقاس بالسنوات، كما أن الخسائر في الغالب تكون غير مرئية وغير منظورة، فحروب كسب

العقول والقلوب لا سوق بورصة لها، وإنما بورصتها غير مرئية محسوسة ملموسة غير مرئية، ولكن حصائدها بعد حين، تماماً كما أن خسارتها بعد حين.



ب- غزة وأسطورة الإعلام الغربي

تعرّض الإعلام الغربي عامةً والأمريكي خاصةً إلى زلزال حقيقي، شبيه بالزلزال الذي تعرّضت له دولة الكيان الصهيوني صبيحة السابع من أكتوبر، يوم اصطفّ الإعلام الغربي مع الجانب التاريخي الخطأ -وهو الكيان الصهيوني- في ترديد سرديته وروايته لما جرى، وقد تحمّل وزر ذلك رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو الذي تحدث عن بقر بطون وقطع رؤوس خُدّج، لتكرر ذلك وسائل الإعلام الغربية ثم تعتذر لاحقاً، فيفضح التحقيق المفصل في صحيفة الليبراسيون الفرنسية لاحقاً كذب وافتئات كل هذه الروايات التي روجت لها إسرائيل أملاً في حشد الدعم الغربي لها في مواجهة حماس.

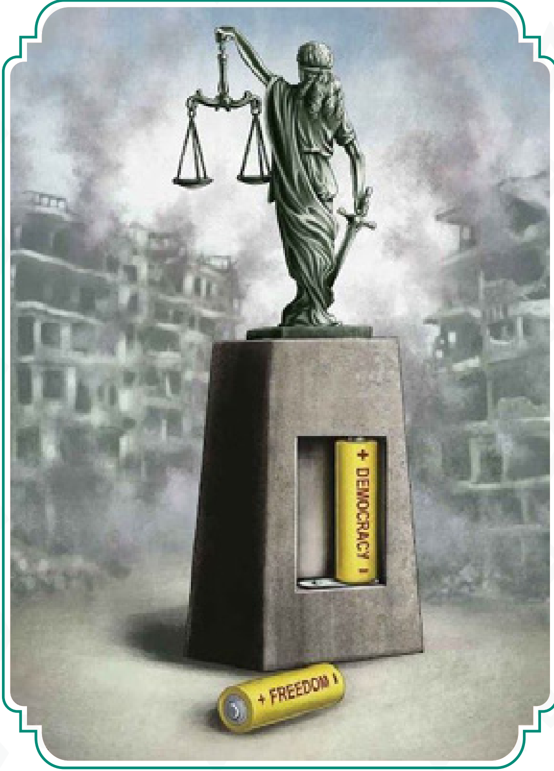
محطة فوكس نيوز أصرّت على بث أخبار الاغتصاب على شاشاتها، على الرغم من أن شيئاً من هذا لم يقع، وعجزت معه تل أبيب على عرض سيدة واحدة تؤكد ذلك، أو تأتي بمعلومات محققة في الأمر، إلا أن الوسيلة الإعلامية الغربية ظلت تبث هذه الأكاذيب، ولم تعتذر من مشاهديها بعد أن ثبت بطلانها. طبعاً هذا عدا عما بثته وسائل الإعلام الغربية وحتى العربية المتصهينة لشاحنة المعتقلين الذين اعتقلتهم القوات الصهيونية على أنهم مقاتلو حماس استسلموا في المعركة، ليتبين أنهم مدنيون وقد أفرج عنهم لاحقاً وبعضهم عمال في مؤسسات الإغاثة الدولية، أو في وسائل إعلام عربية، ومع هذا لم تعتذر وسائل الإعلام التي بثت

مثل هذه الأخبار لمشاهديها، ولا حتى من أجل مصداقيتها المستقبلية التي فقدتها أمام قرائها ومشاهديها ومتابعيها، وهي نفس الأكاذيب التي ذكرتنا بما تناقلته نفس وسائل الإعلام الغربية من امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وعلاقته مع تنظيم القاعدة، والتي كانت أكاذيب لتبرير الغزو الأمريكي/ البريطاني على العراق، ليتبين كذبها بعد أن دُمر العراق وقُتل وشُردت الملايين من أهله، وحتى اليوم لم تعتذر تلك المؤسسات عن تلك الجريمة بحق الإنسانية.

وحين وقعت مجزرة المستشفى المعمداني والتي راح ضحيتها ٥٠٠ شهيد مدني، سارعت الصحف الغربية إلى تحميل المسؤولية لحماس على أن معاقلها وغرف عملياتها في أنفاق تحت المستشفى مرددة بذلك أكاذيب الصهاينة، وبعد وقوع تدمير المستشفى تبين كذب الرواية، فلم تعتذر هذه الصحف العريقة من أمثال النيويورك تايمز والوول ستريت جورنال، بعد أن غيّرت الأولى عنوانها الرئيسي ثلاث مرات خلال أقل من ساعة لحرصها على تبرئة الجانب الإسرائيلي من قصف المعمداني وتحميله للمقاومة، في محاولات صبيانية لا يشتريها أحد. المفارقة أن هذه الصحف لم تُكلّف نفسها عناء مراجعة ما بثته من أكاذيب، ولا راجعت كل هذه الخطايا التي أقدمت عليها، أملاً على الأقل في استعادة مصداقية بددتها بنفسها، وروجت لآلات كذب حقيقية على رأسها وزير الخارجية أنتوني بلينكن، فكان من المفترض أن تعقد مقابلة معه ليشرح السبب الذي دفعه إلى الترويج لهذه الأكاذيب.


أنتوني بلينكن

في دراسة مهمة أجرتها المؤرخة الفلسطينية مها نصار، رصدت فيها بأنه منذ عام **١٩٧٩** وحتى الآن نشرت النيويورك تايمز **٢٤٩٠** مقالة لم يكن منها سوى **٤٦** مقالة لصالح فلسطين، وكُتبت بأيدي فلسطينيين. أما الواشنطن بوست فقد نشرت **٣٢٤٩** مقالة مؤيدة لإسرائيل بينها **٣٢** مقالة لصالح الفلسطينيين. وحين أجرت محطة سي بي إس مداخلة للقانونية الفلسطينية نورا عريقات، طالبت الأخيرة المذيع بوصف هجمات إسرائيل بالوحشية كوصفه هجمات حماس بالوحشية، لكنه رفض ذلك ولم يكتفِ بالرفض، بل عاقبت المؤسسة القانونية الفلسطينية بحذف مقابلتها كاملة من موقع المحطة.



لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ بينما طورد كل الصحافيين العرب العاملين في المؤسسات الإعلامية الغربية من خلال منعهم من عرض آرائهم على منصات تواصلهم الاجتماعي، كان زملاؤهم الغربيون يسرحون ويمرحون ويقولون ما يشاؤون عن الحرب في غزة تأييداً للكيان الصهيوني ودعماً له، وهو ما دفع زميلنا بسام بونني إلى الاستقالة من البي بي سي احتجاجاً على انحيازها في تغطية الحرب على غزة، كما طردت البي بي سي أيضاً ستة من الصحافيين بتهمة انحيازهم للفلسطينيين عبر حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي. ونشر موقع الجزيرة نت الإنجليزي رسالة من زملاء في محطة البي بي سي وتضمن أكثر من ٣٠٠٠ كلمة ينتقدون فيها موقف مؤسستهم لعدم تعاملها مع الشعب الفلسطيني كبشر خلال تغطية حرب غزة بحسب توصيف الرسالة. وحين قُتل زميلنا المصور في قناة الجزيرة سامر أبو دقة علّق المتحدث باسم الخارجية الأمريكية ماثيو ميلر بكل برود بأنهم لم يعثروا على دليل يثبت استهداف إسرائيل للصحافيين، وهي التي

قتلت في سبعين يوماً من العدوان أكثر من ٩٠ صحافياً، فكانت حصيلته أكثر مما فقدته المهنة خلال ست سنوات من الحرب العالمية الثانية.



ت- هوليود (تاج القوة الناعمة) تتصدّع

الخسارة الأعظم على صعيدة القوة الناعمة الأمريكية ما تعرضت له درة تاج القوة الناعمة الأمريكية، وهي مؤسسة هوليود للإنتاج السينمائي، فظهر انحيازها الكامل والسافر للسردية الصهيونية خلال العدوان على غزة، فاستُبعدت النجمة سوزان ساراندون من التمثيل لانتقادها العنجهية والبلطجة الصهيونية، وتدخل الممثل المعروف توم كروز لمنع استبعاد وكيلته الممثلة الليبية الأصل مها الدخيل، فعبر لها عن دعمه ومساندته، وذلك لنفس السبب، كما طُردت الممثلة ميليسا باوريا ٣٣ عاماً وهي ممثلة فيلم الرعب (سكريم) المعروف بعد أن نشرت على مواقع التواصل الاجتماعي منشورات تتهم إسرائيل بالعنصرية والتطهير العنصري.

وقد واجهت رابطة الكُتّاب الأمريكيين انتقاداً لعدم شجبها حماس، بعد أن التزمت الصمت إزاء غزة وأحداثها، ووصل الخلاف إلى اتحاد الممثلين البريطانيين الذي يضم ٧٤ ألف عضو، لانتقاده القصف والاحتلال والعنصرية الصهيونية، كما طالب في بريطانيا أكثر من ٢٠٠٠ ممثل وفنان بريطاني وقعوا على رسالة مفتوحة من بينهم تشارلز دانس وتيلدا سوينتن وميريام مارغوليز وستيف كوغان، والمخرجين مايك لي ومايكل وينتربوتوم وغيرهما إلى الوقف الفوري للحصار والقصف الإسرائيلي على غزة وجاء في رسالتهم: «إننا نشهد جريمة وكارثة، لقد حولت إسرائيل جزءاً كبيراً من غزة إلى أنقاض، وقطعت إمدادات المياه

والكهرباء والغذاء والدواء عن ٢,٣ مليون فلسطيني». كما أسسوا موقع: فنانون من أجل فلسطين. وقد انعكس ذلك على دور السينما الإسرائيلية، إذ سحبت إدارة مهرجان ستوكهولم السينمائي الدولي دعوة الممثلة الإسرائيلية أليزا تشانوفيتش من المشاركة في المهرجان وأفادت بأن قرارها جاء «نتيجة للأحداث المأساوية المستمرة والصراع الحالي».

شظايا حرب غزة وصلت إلى أدوات ناعمة أمريكية وغربية مهمة أخرى، حين طالت حملات المقاطعة العربية والإسلامية المنتجات الأمريكية، والتي قدّمت أمريكا للعالم، وجعلت جيل الشباب معجباً بأمريكا بسببها، كمطاعم الماكدونالدز، وستار بكس والبيبسي كولا، والجينز وغيره، فكانت النتيجة تجاوب الشباب مع حملات المقاطعة كردّ على العدوان على غزة، لنستيقظ في غضون أيام على صراخ ماركات عالمية من جراء هذه المقاطعة، واعتذار بعضها كماركة زارا عما أقدمت عليه من إعلانات مسيئة، وإنهاء شركة بوما الألمانية للألبسة الرياضية لعقدها مع فريق كرة القدم الإسرائيلي، لتثبت المقاطعة من جديد أنها سلاح قوي وفعال بأيدي الأفراد، حين تستقيل الحكومات عن وظائفها ومهامها، وقد غصت مواقع التواصل الاجتماعي بالمنشورات والصور التي تندد بأمريكا وبسياساتها، ولقيت هذه المنشورات والفيديوهات المنددة بالسياسة الأمريكية تفاعلاً ضخماً على مواقع التواصل الاجتماعي من إعجابات ومشاركات ومشاهدات على نطاق واسع، الأمر الذي قد يساعد القوتين المنتظرتين وهما الصين وروسيا على حساب التراجع الأمريكي والغربي.



لقد كان الانحياز الأمريكي الأعمى الفاضح للصهاينة ضربة قوية للدبلوماسية الأمريكية لها ما بعدها، وآثار ذلك لن تظهر فقط خلال أيام، بل ستكون هناك تداعيات سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية وإعلامية وثقافية كبيرة، فبعد أن كانت أمريكا إلى حد ما لديها تلك الصورة الذهنية بالقدرة السياسية على وقف المعركة، ظهرت منحازة للقوة الصهيونية بسفور، فبددت بذلك صورتها وقدرتها على وقف العدوان. هذا الواقع انعكس بخطورة وأثّر على الصورة الأمريكية والغربية عامةً، فعلى صعيد شريحة الشباب برز الانعكاس واضحاً من خلال استطلاعات الرأي الذي أجرته النيويورك تايمز عن تقدم بايدن على منافسه ترامب بنقطتين، ٤٤ مقابل ٤٦، كما كشف الاستطلاع عن قناعة ثلاثة أرباع المشمولين به أن معالجة بايدن للوضع في غزة خطأ. وعلق مهندس مبرمج كومبيوترات بالقول: لا أريد أن أدعم أحداً لا تتفق قيمه مع قيمي. ورأى نصف المشمولين بالاستطلاع أن إسرائيل تقتل المدنيين، بينما رأى ثلثهم أنها تحاشى قتل المدنيين، مما يعكس مدى الفجوة بين طبقة الناخبين والقيادة السياسية الأمريكية.



ربما لأول مرة تقسم الحرب الساحة الأمريكية الحزبية بحيث جعلت أمريكا منقسمة وفق الخطوط الحزبية، فجعلت الحزب الجمهوري -والذي ينتمي إليه ترامب- حليفاً لليمين الصهيوني المتطرف، وهو أمر مقلق لكل عاقل أمريكي، وقد تعدّى التأثير هذا للمؤسسات الدولية التي كانت على مدار عقود بعيداً عن التجاذبات الغربية على الأقل، فقد هاجمت ميريانا سبولياريتش رئيسة اللجنة الدولية للصليب الأحمر المجتمع الدولي بقولها: (إن المجتمع الدولي فشل أخلاقياً في غزة حين عجز عن وقف الحرب فيها). ومعلوم أن هذه

المؤسسات تعمل بصمت دون توجيه الاتهامات وبسرية، وذلك من أجل كسب كل الأطراف، ولكن يبدو أن الفضيحة الغربية أخرجتها عن صمتها، لا سيما بعد أن طالبها الكيان الصهيوني بنقد حماس ومهاجمتها.

ولعل المظاهرات التي خرجت لأول مرة بهذه الضخامة والكثافة في عواصم القرار الغربي عكست ما يدور في تضاعيف المجتمعات الغربية من تغير في الرأي العام ومزاجه، فحين يصل الأمر إلى رئيسة البرلمان الفرنسي اليهودية الأصل يائيل برون أن ترفض طلب الوقوف دقيقة صمت على موظف في خارجيتها قُتل بغارة إسرائيلية في رفح، فهذا يعني أن الوضع وصل إلى درجات خطيرة على المصالح القومية الفرنسية والغربية عامةً، من أجل عيون إسرائيل، وهو ما وصفته نائبتها في البرلمان بأنه مقلق ومخجل، بل إن الحكومة الفرنسية لم تضع حتى أسماء أولاد القتيل الموجودين في رفح على قائمة الأشخاص المشمولين بالإجلاء.

شظايا العدوان على غزة أصابت الغرب وقواه الناعمة في مقتل، وفضحت الكثير من أكاذيبه، ولكن الأهم من ذلك كله أن حالة غربية جديدة اليوم تظهر، وهي تغيُّر المزاج الشعبي الغربي تجاه إسرائيل، ولا أدلّ على ذلك من مطالبة الكثير من الشباب بتسليم فلسطين للفلسطينيين، لا سيما بعد وصول حكومة متطرفة إلى تل أبيب، وهو الأمر الذي تسبب في هجرة معاكسة لليهود الليبراليين إلى أوروبا، وهو مقلق للغرب، الذي أوجد هذا الكيان الصهيوني لليهود الليبراليين من أجل التخلص منهم، وليس من أجل يهود متطرفين. كل هذه التفاعلات سيكون لها نصيب كبير من الانعكاسات في مرحلة ما بعد العدوان على غزة، ويبدو أن اليوم التالي للغرب وللصهاينة هو أهم من اليوم التالي لغزة والغزيين والفلسطينيين، بعد كل هذه الخسائر المرئية وغير المرئية التي لحقت بالصهاينة وداعميهم الغربيين.

فتح القلوب قبل فتح السيوف

المعالم الحضارية للفتح الإسلامي



د. علي الصلّابي

المؤرخ الإسلامي

كانت وما زالت الفتوحات الإسلامية المادة الدسمة للمؤرخين والمستشرقين الراغبين بتشويه التاريخ الإسلامي، والطعن في قيَمه الدينية ومبادئه الأخلاقية وسلوك جيل الفاتحين الأوائل الذين يمثلون صفوة المسلمين وقدوتهم العليا، وقد عمد الحاقدون على الإسلام إلى تشويه هذا التاريخ بتزوير الحقائق وتحريف الروايات وأخضعوها للتأويلات الباطلة والتفسيرات المتحيزة، ولكن معظم جهودهم ذهبت أدراج الرياح، إذ كانت حقيقة التاريخ أقوى شاهد على بطلان

ادعاءاتهم، فقد اعترف الكثير من المؤرخين والمستشرقين -غير المسلمين- بتميّز الفتوحات الإسلامية وسموّها من الناحية الأخلاقية على غيرها من فتوحات السابقين واللاحقين من الأمم والإمبراطوريات الأخرى، وأقرّوا بعظمة أخلاق المسلمين وحملهم لقيم التسامح والعدالة والرحمة إلى الأمم المغلوبة والبلاد التي افتتحوها.

لقد حاول بعض المؤرِّخين من النَّصارى والمستشرقين تشويه الفتح الإسلامي في العصر الرَّاشدي؛ فزعموا أنَّ الفتوحات كانت حروباً دينيَّةً وقالوا: إنَّ المسلمين أصحاب عقيدةٍ ولكنَّهم توسَّلوا بالتَّعصُّب الأعمى وأخضعوا النَّاس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدَّم والقسوة، وأنَّهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم، والسَّيف باليد الأخرى!


كارستن نيبور

وممَّن ركَّز منهم على هذه الفكرة (سيديو) و(ميور) و(نيبور)؛ إذ ينقل (ميور) عن نيبور قوله: «وكان من الضَّروري لدوام الإسلام أن يستمرَّ في خطَّته العدوانيَّة، وأن ينفِّذ بحدِّ السَّيف ما يطالب به من دخول النَّاس في الإسلام كافَّةً، أو بسط سيطرته العالميَّة على الأقل، غير أنَّه لا مناص لأيٍّ من الأديان أن يجنح أتباعه للحرب في إحدى مراحل حياته، وكذلك كان الحال في الإسلام، ولكنَّ الزَّعم: أنَّ المسلمين هدفوا إلى بثِّ الدَّعوة بالقوَّة، أو أنَّهم أكثر عدواناً من غيرهم، زعمٌ يجب إنكاره إنكاراً تامَّاً».

وقد ردَّ بعض المستشرقين على هذه التُّهم، ووصفوا الفتح الإسلامي بالمثُل العالية، والأخلاق الكريمة، فهذا (فون كريمر) يقول: «وكان العرب المسلمون في حروبهم مثال الخلُق الكريم، فحرَّم عليهم الرَّسول قتل الرُّهبان والنِّساء والأطفال والمكفوفين، كما حرَّم عليهم تدمير المزارع، وقطع الأشجار، وقد

اتَّبع المسلمون في حروبهم هذه الأوامر بدقَّةٍ متناهيةٍ، فلم ينتهكوا الحرمات، ولا أفسدوا الزُّروع، وبينما كان الرُّوم يرمونهم بالسِّهام المسمومة، فإنَّهم لم يبادلوا أعداءهم جرماً بجرمٍ، وكان نهب القرى وإشعال النَّار قد درجت عليها الجيوش الرُّومانيَّة في تقدُّمها وتراجعها، أمَّا المسلمون فقد احتفظوا بأخلاقهم المُثْلى، فلم يحاولوا من هذا شيئاً». وقال روزنتال: «وقد نمت المدينة الإسلاميَّة بالتَّوسُّع لا بالتَّعمق داعيةً إلى العقيدة، مناقشةً لتلك الحركات الفكريَّة الموجودة. وفوق كلِّ ذلك تقدَّم الإسلام فتهاوت الحواجز القديمة من اللُّغة، والعادات، وتوفَّرت فرصةٌ نادرةٌ لجميع الشُّعوب والمدنيَّات لتبدأ حياةً فكريَّةً جديدةً على أساس المساواة المطلقة وبروح المنافسة الحرَّة».



إنَّ الحقيقة التَّاريخيَّة تقول بأنَّ المسلمين لم يكرِهوا أحداً على اعتناق الإسلام؛ لأنَّهم قد التزموا بقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. وأمَّا إقبال الشُّعوب على الإسلام؛ فكان بسبب ما لمسوه في الإسلام نفسه، فهو النَّعمة العظيمة، ولما لمسوه في المسلمين من التَّخلُّق بأخلاق الإسلام، والالتزام بأحكامه، وأوامره، ونواهيه، ولِما لمسوه في القادة والجند الَّذين كانوا يقومون بالدَّعوة بالتَّطبيق العملي، فتميَّزت مواقفهم بأنبل المواقف الَّتي عرفها التَّاريخ العالمي.

فقد كان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله والتَّقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدُّنيا، والإخلاص في الجهاد، وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذُّنوب، فكانت فيهم الرَّغبة الأكيدة الملحَّة



لإنقاذ الأمم، والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ونقلهم من ضيق الدُّنيا إلى سعة الآخرة، فكان قادة المسلمين على رأس جندهم يتلقَّون الصَّدمات الأولى في معارك الجهاد، واستشهد عددٌ كبيرٌ منهم، وقد كان القادة يسيرون خلف جندهم في وقت الأمن وفي العودة يرفقون بهم، ويحملون الكَلَّ، ويعينون الضَّعيف، وكان القادة دعاةً في المقام الأوَّل، طبَّقوا مبادئ الحرب الإسلاميَّة تماماً، والحقُّ: أنَّ المسلمين كانوا يخوضون جهاداً في سبيل الله، وليس حرباً كما كانت تفعل الدول الأخرى.

ولذلك كانت نتائج الفتوحات الإسلامية مختلفة تماماً عن فتوحات الأمم والإمبراطوريات الأخرى، فلم يكن مجرد توسُّع بقوة السيف لإخضاع البلاد والعباد لـمُلك أمةٍ ما، ولم يكن يهدف إلى نهب الأموال واستجلاب المزيد من الضرائب لخزينة الدولة، وإنما كان لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر دين الحق بالدرجة الأولى، فحمل المسلمون قيم القرآن الكريم وأخلاق الإسلام العظيم في قلوبهم وعقولهم، وتجلى ذلك في سلوكهم ومواقفهم، فنتج عن حركة الفتوحات تلك نتائج حضارية كان لها أثرها الكبير على التاريخ البشري، ومنها: إيجاد قيادةٍ عالميَّةٍ واحدةٍ للمنطقة الَّتي تقع في وسط الكرة الأرضيَّة كلِّها، والممتدَّة من حدود الصِّين شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن بحر العرب جنوباً حتَّى آسيا الصُّغرى شمالاً، قيادةٍ جديدةٍ بمؤهِّلاتٍ لم تعهدها البشريَّة، فهي محكومة مثلها مثل بقيَّة أبناء شعوب المنطقة بقيمٍ، ومثلٍ، ونظامٍ.

وأدت إلى هيمنة المنهج الرَّبَّاني على جميع النَّاس، دون ضغطٍ عليهم في تغيير معتقداتهم وديانتهم، ودون تفريقٍ بين الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، بل النَّاس كلُّهم أمام شرع الله سواء، ولا تفاضل

بينهم إلا بالتَّقوى، ولمس النَّاس ثمار تطبيق شرع الله في حياتهم من الأمن والتَّمكين والبركات والسَّعة في الأرزاق وغيرها. كما ظهرت في دنيا النَّاس أمَّة الإسلام الَّتي جمعت بين أفرادها عقيدة التَّوحيد، وشريعة المولى عزَّ وجلَّ، وترفَّعت عن آصرة الأعراق والأنساب والاعتبارات الأرضيَّة الأخرى، وبرزتْ في هذه الأمَّة قياداتٌ من كلِّ الأجناس العرقيَّة، فكان لها المكانة العالية في وسط هذه الأمَّة، ولم يوجد ما يشينها أو يغيِّر من مكانتها في الأمَّة، ولهذا كانوا يقولون لمن يقاتلونهم: فإنْ أجبتم إلى ديننا خلَّفنا فيكم كتاب الله وأقنا كم عليه، على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم بلادكم.

وبرزت حضارةٌ ربَّانيَّةٌ متكاملةٌ ومتوازنةٌ ومتناسقة، ضمَّت بين أرجائها تفاعلات الأمم، والشُّعوب المندرجة تحت شرع الله تعالى، وقبلت في عضويَّتها العالم بأسره، أسوده وأصفره وأبيضه وفق المنهج الرَّبَّانيِّ وأحكامه، وأصبح المسلمون فيها نموذجاً في قيادة الحضاريَّة للبشريَّة في زمانهم، يعطينا صورةً مشرقةً للإنسان القويِّ المؤمن العالم، الَّذي يسخِّر كلَّ إمكانات دولته وجنوده وأتباعه وعلومه ووسائله وأسبابه لتعزيز شرع الله وتمكين دينه، وخدمة الإنسانيِّ، وإعلاء كلمة الله، وإخراج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، ومن عبادة الناس والمادَّة إلى عباد الله، ونفَّذ قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

لقد أنتجت الفتوحات الإسلاميَّة حضارةً إنسانيَّةً رفيعةً في ظلِّ دين الإسلام، وبذلك نستطيع أن نعرِّف الحضارة الرَّبَّانيَّة بأنَّها: تفاعل الأنشطة الإنسانيَّة للجماعة الواحدة لخلافة الله في الأرض عبر الزَّمن، وضمن المفاهيم الإسلاميَّة عن الحياة، والكون، والإنسان.



غزة وطوفان الأقصى في خواطر مؤرخ (٣/٢)

قيمة طوفان الأقصى

محمد شعبان صوان

مؤرخ فلسطيني

كان مناصرو فلسطين في الغرب وفي بلادنا يقولون إن الاحتلال الصهيوني هو آخر احتلال على وجه الأرض، وإنه نموذج بالٍ عفى عليه الزمن وآن له أن ينتهي، وهذا كله ليس صحيحاً، فليس من المعقول أن يكون نظام خارج التاريخ يحظى بهذا التأييد والإجماع من الحكومات الغربية على كونه الديمقراطية الوحيدة في منطقتنا، هذا الإجماع استمر زمناً طويلاً في ظل جرائم ضخمة ارتكبها هذا النظام، والديمقراطيات العريقة تؤيده بالمال والسلاح والمهاجرين وفي المحافل الدولية، لا يمكن أن يكون هذا

وضع نظام خارج التاريخ، ولكننا نحاول المزايدة على الغربيين في مبادئهم وتعليمهم مخترعاتهم، هم يقولون عن الكيان الصهيوني ديمقراطية فريدة، ونحن ننفي كونه ديمقراطية، وننسى أنه مجرد صورة مصغرة من جرائم الديمقراطيات في تاريخها الطويل مع العالم كله، ولم تنف تلك الجرائم كون مرتكبيها ديمقراطيين.

كما أن القضية ليست مجرد ارتباط تاريخي واعتقادي بين بلاد نشأت على الاستيطان ومثيلها الصهيوني، ولا مجرد قضية دينية عاطفية، نعم قد يكون العلمانيون والملاحدة في الغرب يستلهمون من تراثهم ما تطمئن به قلوبهم، خلافاً لأمثالهم في بلادنا من الذين يعادون تراثهم وأمتهم ودينهم تبعاً لسادتهم، ولكن لولا وجود مصالح كبرى مستمرة عند من يغذون هذا الكيان لما استمر بهذه القوة، فقد وُجد الاعتقاد الصهيوني البروتستانتي بعودة اليهود قبل نفس المعتقد الصهيوني اليهودي بثلاثة قرون، ولكنه لم يتحقق إلا حديثاً، واستمد من هذا التراث ولكن التراث لم يكن دافعه الوحيد.

الكيان الصهيوني الذي نشأ مدافعاً عن مصالح الكبار -وما زال كذلك إلى اليوم- يمثل خلاصة المواجهة العالمية بين النخبة والبقية، حيث أقلية بيضاء أو محسوبة على عالم البيض، تستحوذ على معظم موارد فلسطين، وهي الأرض ومواردها في هذه الحالة، وتستبعد الأغلبية من المشاركة فيها وتسخرها لامتيازاتها الخاصة وخدمة النخبة الغربية التي تحتكر أيضاً موارد العالم وتسخّرها لخدمتها الخاصة وتستبعد عامة الشعوب من هذه الامتيازات المستقاة من ثرواتها، هذا النهب الصغير في فلسطين يحرس النهب الكبير في بلادنا، ولهذا يستميت الكبار في الدفاع عنه.



ولهذا أيضاً فتح طوفان الأقصى العيون على حقائق ليست متصلة بالصراع على الأرض مباشرةً، فقد فتحت ملفات مظالم الماضي التي ظنها الكثيرون قد انتهت ولم تعد مناسبة لقيم عصرنا، فتبين أن عصرنا لا يختلف عن ماضيهم وأنهم مستعدون للعودة إلى أي وحشية مارسوها سابقاً لو تطلب الأمر ثانية، وأن ظواهر الإبادة والاسترقاق والاستعمار العسكري وحروب الأفيون لم تختفِ لأن القيم تطورت بل لأنها أدت دورها في نهب العالم وأقرّت نظاماً دولياً بالقوة القاهرة يشرّع النهب بالقانون الدولي، وبأدوات حديثة مثل الاستعمار الجديد والمنظمات الدولية والديون والتجارة الحرة، والويل لمن يعترض فضلاً عن أن يخرج على هذه المعادلة التي تمنح ٢٠% من البشر ٨٠% من موارد الأرض، أو أن تكون ثروة ١% من البشر تعادل ثروة نصف البشرية، ولو صدر أي اعتراض يمكن عودة أي شكل من أشكال الوحشية التي ارتكبت في الماضي، وهذا يفسر تداعي حكومات الغرب وسباقها في تأييد الإجرام الصهيوني دون التفات إلى أي قيم متطورة.



ومن أهمية الطوفان أننا صرنا نسمع من الناس –لا سيما في الغرب- تتساءل عن الإسلام وعن معتقداته إلى درجة الإيمان به، وصار هناك من ينادي بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر بعد الاطلاع على الملف الكامل للجريمة وليس مجرد فصل منها، ورأينا مِن أقصى العالم ومِن وسط العمى والكذب مَن يرفض أكاذيب الإعلام الغربي عن المسلمين وأخلاقهم، حتى في دفاعهم العسكري عن أنفسهم، وعن أحكام الدين الإسلامي، ويتمنى لو أن هذه الأحكام حكمت، حتى ما كان يُشوَّه منها كأحكام النساء والأقليات، وإن لم يصبح هو مسلماً، ظهرت شعارات عن الظلم والاستغلال لم تُطرح فيما سبق، وعن زيف المنظمات

الدولية وخدمتها لمصالح الدول الكبرى بعيداً عن الشعارات الزائفة التي بررت وجودها في الأساس لمدة عقود، وظهرت الازدواجية والعنصرية والكذب والتضليل والكراهية والرأي الواحد على نطاق واسع خلافاً لشعارات الرضا الذاتي التي كانوا يروجونها عن أنفسهم وحضارتهم، والأكاذيب التي حشوا بها إعلامهم الذي صدعوا رءوس الأجيال بنزاهته، وهذا معنى أن تحكم الشعوب أنفسها لو طبقت ذلك ووصلت به إلى نهايته المنطقية.



قال لي أستاذ من الجيل التغريبي القديم يوماً إن الموجة القادمة هي أن الشعوب تريد أن تحكم أنفسها، وهو يقصد بعيداً عن الشرعية الدينية والقومية وغيرها من المبادئ التي يحفل منها الليبراليون، وجدت بعد ذلك بمدة قصيرة أن هذا ما نريده، أي أن تتطلع الشعوب إلى ما يتجاوز الظلم القائم في العالم وأن تحكم أنفسها فعلاً وليس بالشعارات الرنانة ولا بالحرية الضيقة التي أعموا بها عيونها لصرفها عن حرية النقد والمساءلة، فليس من ضرورات الحرية أن يتبع الإنسان هواه بغير هدى، وهذا ما صار يراه كثيرون من وسط الضباب اليوم، حيث إن تركّز العدوان على أمتنا لإجهاض نهضاتها وتغيير أفكارها وتحطيم بنيتها واحتلال أراضيها ونهب ثرواتها لا يمكن أن يكون مجرد صدف، وهو ما يربط بين ميادين المعارك ويجعلها كلها حرباً واحدة على الهيكل الإسلامي المقيم لعود هذه الأمة.

ولذلك تنبأ المفكر الراحل المهدي المنجرة بكون هذه حرباً حضارية، والعلمانيون والليبراليون والتغريبيون يجفلون من مصطلح الحرب الدينية، وكأن الأمر مجرد صراع على أفكار لا علاقة لها بالواقع، كما وصف

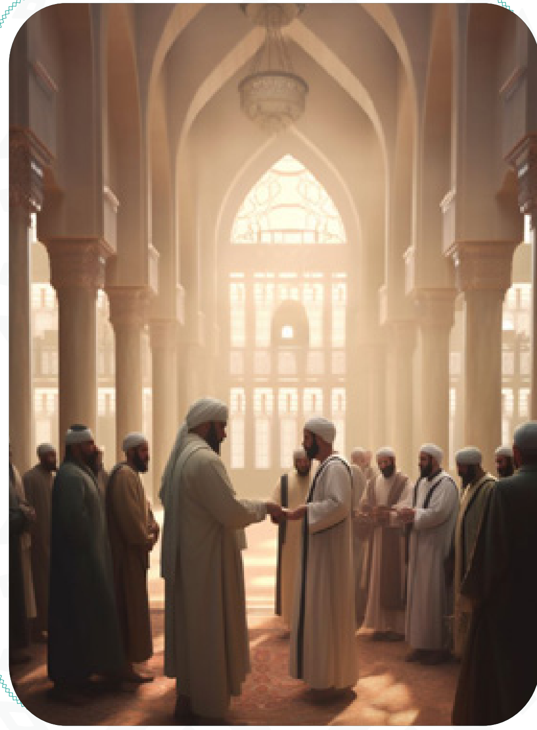
أحد زعماء الهنود الحمر صراع الطوائف المسيحية في بلاد الهنود، ولكن بيننا وبين الغرب ليست المشكلة هل هو إله واحد أم ثلاثة في واحد أم خاص بشعب واحد، ثم تسيل الدماء بحوراً لفرض تصور معين من هذه التصورات، كلا ليس الأمر بهذه الصورة الساذجة، الحرب الآن بين طرق عملية للحياة، طريق يوزع شعارات نظرية جميلة لتحقيق رفاهية عملية لنخبة من البشر تتركز في عِرق معين، ويحارب بكل قوته ضد فطرة الإنسان للحفاظ على هذا الاحتكار، وبيّن جنوحه الأخير بوضوح أن حروبه كلها من أجل فرض هواه.

ورأينا بالفعل تفسير الآية الكريمة ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، ظهر الآن أن كل ما فعلوه وغطوه بأقنعة العلم والعقل والحرية كان مجرد أهواء، كلفت العالم والحياة والطبيعة تكاليف باهظة من الفقر والجوع والتلوث والتخلف ونضوب الموارد وزوال الأحياء، وطريق آخر يفتح بابه لجميع البشر في ظل خالقهم ويقلص من جشع الإنسان وطمعه واستهلاكه لتكفي الموارد جميع الناس، ويكرس الفطرة البشرية ويضع خطوطاً حمراء لا تتعداها الرغبات والنوازع البشرية، لأن حياة الإنسان لا تهدف إلى الجمع والتراكم بل إلى مرضاة خالقه، ويرفض حصر أبعاد الإنسان في المادة والغريزة، والحرية في نظره ليست القدرة على اتباع الهوى بل القدرة على مقاومة هذا الهوى، فالحياة أغلى من الدعارة والشذوذ على حساب دماء الناس.



وهذا هو سبب شن الحروب العسكرية والاقتصادية والإعلامية والسياسية والثقافية والاجتماعية على

الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَـٰعُواْ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧]، فمشركو قريش فهموا الدلالات العملية للإسلام وأنه ليس مجرد صراع نظري على عدد الآلهة، واليوم يحاربونه لأنه هو النموذج المتكامل الوحيد الذي يعطي بديلاً حياً للأطماع الرأسمالية السائدة التي يحرمها، وكل الأيديولوجيات البديلة سايرت حتى انهارت، مثل الكنيسة والماركسية والأحلام الإنسانية المتناثرة، وهو ما رآه قلة في البداية والدائرة في اتساع، وهذه كانت رسالة الفتوحات الإسلامية، أي ترك الناس تفكر بلا عوائق، ولذلك لم يعم الدين الإسلامي إلا بعد قرون طويلة من إنجاز الفتوحات وفي كثير من المناطق التي لم يصلها جندي مسلم واحد، بعدما عاش الناس في ظل الإسلام أو رأوا أمثلته الحية أمام أعينهم ولم يعد بينهم وبينه حواجز نفسية ولا مادية.



هذا ما حصل عند بقية الشعوب أما في بلادنا فقد أحيا الطوفان المثل العليا التي جهدت الدول العميقة لوأدها بعد فشل هبة الشعوب في إزاحة كوابيس الطغاة، أحيا الطوفان النفوس فعادت الروح إلى الأبدان السجينة وانتفضت الأيدي المقيدة وتذكر الناس المسلمات التي نسوها، واتحدت الآراء على بوصلة واحدة، ونسيت العداوات الجانبية التي عمل سادة العالم على النفخ في نيرانها، وظهر المؤمنون وتميز المجرمون، لم يعد هناك نفاق، فخندق إيمان وخندق كفر، خندق الإيمان مع المقاومة وضد عدو الأمة، وخندق الكفر ينصر العدو ويخذّل عن مقاومته، وكأننا في معارك صدر الإسلام والجيوش هي أنفسها، وكأن الآيات تنزل اليوم: «وترى الذين في قلوبهم مرض»، «الذين قال لهم الناس»، «لو نعلم قتالاً لاتبعناكم»،



«لو كان لنا من الأمر شيء»، «إن بيوتنا عورة»، «ولئن نصروهم ليولن الأدبار»، «لأنتم أشد رهبة في نفوسهم من الله»... والحمد لله على فضيحة القوم، فلا يظن أحد أن تأثيرهم سيء، تأثيرهم سيء عليهم بعدما فضحهم الله، لتحرق عليهم مساجد الضرار ولو بعد حين.

كما فهمنا من الطوفان بوضوح أن عدونا ليس الكيان الصهيوني وحده، ورغم توالي الأدلة التاريخية على عداء الغرب وأنه هو الذي زرع الكيان الصهيوني لحماية مصالحه المتغيرة في بلادنا على مر الزمن، فقد فهم الجميع اليوم أن الكبار من حكومات أمريكا وأوروبا هم الأعداء وهم الذين يحركون الكيان الصهيوني لينبح أو يعض أو ينهش أو يسكت حسب أوامرهم، فبغير دعمهم لا حياة له، وهم ليسوا مجرد عشاق له ليغدقوا عليه هذا العون غير المسبوق، ومن هنا يتضح سخف اتخاذ الولايات المتحدة وسيطاً في التفاوض مع الصهاينة في حين أنها هي التي تدفع عدوانه كما بدا في كثير من الحوادث، ونحن بحاجة إلى وسيط للتفاوض مع أمريكا صاحبة الأمر والنهي وليس مع تابعها الذي ليس له من الأمر شيء إلا بمقدار ما يعطيه سيده من المزايا مكافأة له.

الخلاصة أن مكاسب المعركة كبيرة، والتضحيات بعين الله وليست عبثية، وسواء تم النصر اليوم أو بعد حين لحظة المعركة قد أضيفت إلى النتيجة النهائية من النقاط، ولو قرأنا عن أي انتصار في التاريخ فلن نجده وليد لحظة معينة بل نتيجة تراكمية لسلسلة من الأحداث، وهذا ما نرى إحدى حلقاته اليوم، وإن المهزومين الذين روجوا بين أمتنا أن «إسرائيل وجدت لتبقى» مرة بحجة الواقعية وأخرى بذريعة الإنسانية وثالثة لمجرد

الغرق في لحظة عابرة وعدم الاعتبار ببديهيات التاريخ البشري الطويل حيث لم يخلد كيان سياسي، لم يعد كبار الصهاينة يشترون بضاعتهم الكاسدة وما زال وهم الزوال يهيمن عليهم صعوداً وهبوطاً حسب تردد الحوادث منذ بداية نشوء كيانهم، فلم ولن تنفعهم الهزيمة الداخلية لبعض شراذم المبهورين بهم.

الآفاق المستقبلية



لا يمكن أن نتوقع ماذا تفضي إليه الأحداث اليوم وما ينجلي عنه غبار المعركة، لكن يمكن أن نحذر من الالتفاف على التضحيات الضخمة ليسفر الأمر عن مشروع سياسي رخيص، كما التف على انتفاضة الحجارة لإنجاز اتفاق أوسلو، وكما التف على حرب رمضان ١٩٧٣ لإنجاز كامب ديفيد، وكما التف على معركة بيروت ١٩٨٢ لتحقيق الاعتراف بالكيان الصهيوني تحت غطاء إعلان استقلال فلسطيني وهمي، ولكن لا يحق لي مطالبة المجاهد بالانتحار ولا التسليم، لقد طالبه زعماء عرب بذلك في معركة بيروت ولكنهم لم يقدموا له ما يصمد به، فلا يفتي قاعد لمجاهد، لاسيما بعدما بلغت القلوب الحناجر وصعدت كل هذه التضحيات لبارئها تشكو العدوان والخذلان والتواطؤ على حد سواء، الفرق بين معركة اليوم والمعارك التي تم الالتفاف عليها في الماضي هو اختلاف نوايا المنفذين، ففي معركة رمضان كان الهدف ظاهراً وهو تحريك عملية السلام وليس تحرير الأرض، ودارت رحى معركة بيروت في ظل اعتراف القيادة الفلسطينية بجميع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، وهي قرارات تجمع على الاعتراف «بحق» الكيان الصهيوني في الوجود، وهو ما تم الإعلان عنه بعد ذلك بجلاء

في ١٩٨٨، ولكن المجاهد اليوم يقاتل في ظل أهداف عليا مختلفة، حتى لو هُزم عسكرياً فقد حقق النقاط المطلوبة، لقد فتحوا على الصهاينة باباً لن يتمكن أحد من إغلاقه، وجرأوا عليهم من سيأتي بعدهم، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وتلك الأيام نداولها بين الناس، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهذا يقودنا إلى وجوب التدبر في قيمة المعركة الحالية كما سبق تفصيله.

أمريكا الإسرائيلية وفلسطين الهندية الحمراء

هذا عنوان كتاب كبير لي، يهدف إلى كشف المخفي من تاريخ أمريكا، وهذا المخفي هو الجزء الأهم لنا، ففيه تم التعامل مع السكان الأصليين الذين كنا نظراءهم في المشرق، والاطلاع على تجارب انطبقت علينا فيما بعد مفيد لفهم ماضينا والتعامل مع واقعنا واستشراف مستقبلنا، وقد تشابهت التجربتان في نواحٍ عديدة، الأولى تتعلق بسياسات المستوطنين وحكوماتهم الأوروبية والأمريكية، والثانية تتعلق بردود أفعال أصحاب الأرض الأصليين.



فمن الناحية الأولى، كان المسلم هو النموذج البدئي الذي رسم الأوروبيون عدوهم المقبل في أمريكا على شاكلته، حيث كانت حروب الاسترداد الإسبانية ضد الأندلس هي آخر ما قام به الإسبان قبل أن يلاقوا الهنود الحمر في أمريكا، وكانت التبريرات القانونية التي فتح بها الأوروبيون بلاد الهنود الحمر وسلبوها تعتمد على صياغة بابوية منذ زمن الحروب الصليبية في المشرق، وتشابه المعتقد البيوريتاني الذي اعتنقه أوائل المهاجرين إلى أمريكا مع المعتقد اليهودي الصهيوني وصاغ مفرداته وتبريراته من التوراة اليهودية، وبدا



واضحاً منذ البداية أن المستوطنين في أمريكا وفلسطين يحملون نوايا إحلال أنفسهم محل السكان الأصليين، ولهذا كانت الشعارات المعلنة عن جلب الحضارة والتقدم لتلك البلاد مجرد زيف، ولم يكن الإنسان المتحضر هو المفضل عند المستوطنين، ولم يكن تحضره يعني لهم شيئاً.

واستُخدم الدين في المشروعين الأمريكي والإسرائيلي لتبرير امتلاك الأرض وطرد أهلها، واستخدم الغزو الفكري في الحالين لصناعة الأتباع والعملاء لخدمة المستوطن الأوروبي وليس لضم الهندي أو الفلسطيني لدائرة رفاهيته، وقد اعترف كبار المشروعين بأن السكان الأصليين ضحايا وليسوا أهدافاً للتمدين، ولكن هذه الاعترافات لم يكن لها نتائج عملية بتصحيح أي مسار خاطئ.

- وفي المشروعين كذلك استخدمت الحقوق التاريخية لتبرير الغزو، ولم يقتصر الأمر على مزاعم اليهود في فلسطين، بل حاول المستوطنون الأمريكيون بشكل ولع إيجاد «أسلاف» لهم بين قبائل الهنود الحمر، وبرز الطمع في ثروات الأرض الطبيعية بعد الاستيلاء على الأرض نفسها في المشروعين، ولدينا تجارة الذهب والفراء والرقيق الهنود في البداية، ثم المياه والنفط والغاز واليورانيوم والفحم بعد ذلك، وفي المشروع الصهيوني برز الطمع في المياه والنفط الغاز، وشهد المجتمع الأمريكي انقسامات اجتماعية وسياسية وطبقية، ولكنه توحد في مواجهة صاحب الأرض الأصلي، وكذلك في المجتمع الصهيوني الذي يعج بالانقسامات ولكنه يتوحد في عدائه للفلسطيني صاحب الأرض، وكانت مكانة صاحب الأرض هي الدنيا لو عاش في مجتمع المستوطنين في كلا المشروعين، وما زال الملون هو صاحب المكانة الدنيا في العالم الذي يهيمن عليه

الرأسماليون ويحتكر معظم موارد الأرض للنخبة الأوروبية البيضاء، ولهذا نقول إن فلسطين تلخص علاقة سادة العالم بالآخرين من المنهوبين، بل لقد اعتمد ازدهار المشروعين في أمريكا والكيان الصهيوني على تدمير اقتصاد السكان الأصليين الذي اعتمد على الأرض، والأرض هي مطمع المستوطن.

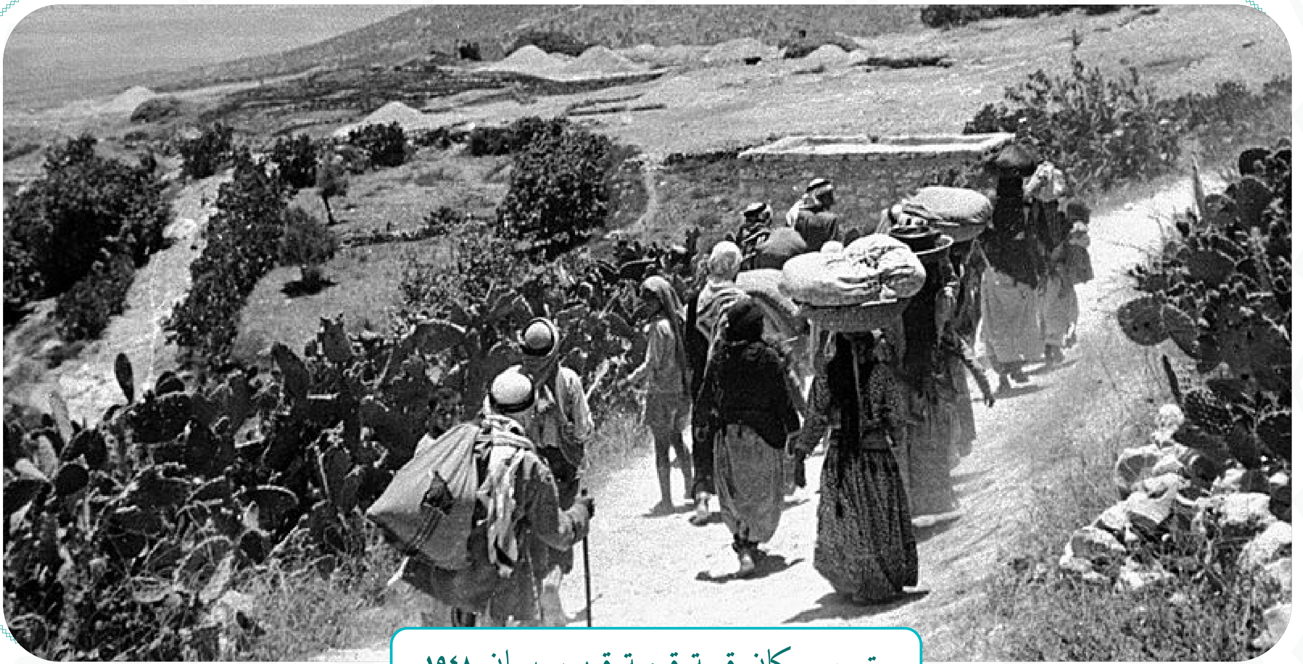
- وفي كلا المشروعين كانت الحرب أكثر كلفة من تحقيق «السلام»، وهذا ما يفسر الولع بأحاديث السلام دون أن يكون المقصود منها سوى الإخضاع والاستعباد للساكن الأصلي، وكانت المفاوضات في المشروعين هي وسيلة انتزاع التنازلات من السكان الأصليين، وهي وسيلة أرخص كثيراً من خوض الحروب، وفي فترة الحروب الهندية شاع القول إن قتل هندي واحد يكلف مليون دولار، وهو ثمن أعلى كثيراً من إطعام قبيلة كاملة من المؤن التالفة، ولهذا وزعت المؤن على الهنود بنفس البطاقة التموينية التي توزعها وكالة غوث اللاجئين.

- وفي المشروعين الأمريكي والصهيوني قام مجتمعان ديمقراطيان كان الاستيلاء على أرض السكان الأصليين شرطاً لازماً فيهما لتحقيق الديمقراطية للمستوطنين الوافدين، وظهر في المجتمعين الأمريكي والصهيوني متعاطفون مع السكان الأصليين ومعاناتهم، ولكن هذا لم يؤدِ إلى أي إنصاف، بل كانت هذه الأصوات تتخذ دليلاً لمديح الذات عند المستوطنين أن لديهم حرية في التعبير، واستخدم المشروعان الإبهار التقني والعلمي للسيطرة على السكان الأصليين وإقناعهم بتفوق المستوطن وقوته، وفي المشروعين


قطاع غزة بعد نكسة ١٩٦٧

ظلت أملاك السكان الأصليين تتراجع حتى بقي لهم جزر معزولة في محيط الوافدين، وفي كل مرة تُطلَق الوعود الجذابة بدولة مستقلة للسكان الأصليين، وفي كل مرة تُنكَث أمام الطمع والجشع لمزيد من الأراضي.

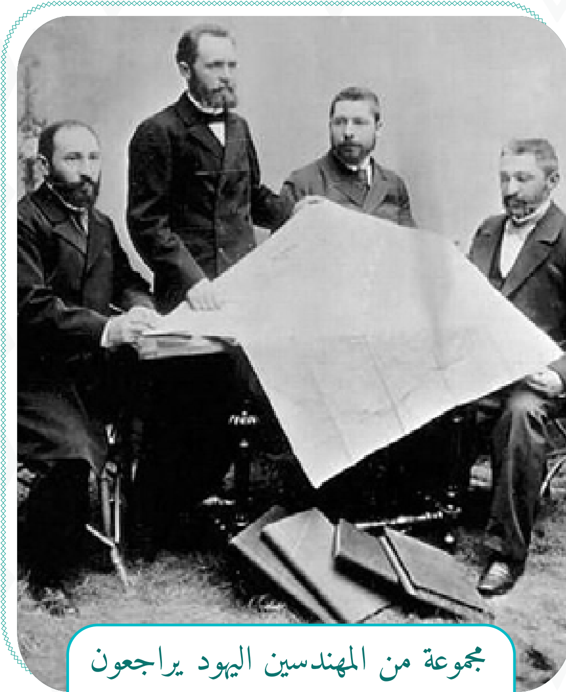
- وفي المشروعين استغل المستوطنون الخلافات الداخلية بين السكان الأصليين وأشعلوا الحروب بين فرقائهم، وكانت المعاهدات مع السكان الأصليين مبهمة وتحتمل التفسيرات المتعددة ولم يُلتزَم بالحد الأدنى منها، وفي التاريخ الأمريكي ٨٠٠ معاهدة لم يلتزم بها جميعاً.



تهجير سكان قرية قومية قرب بيسان ١٩٤٨

- وفي المشروعين حرص المستوطنون على صناعة عملاء لهم من السكان الأصليين وتُوج الأمر بإقامة سلطات وطنية تسيطر عليهم وشرطة محلية تضبط حركاتهم، وفي المشروعين استخدم المستوطنون الرشاوي للوصول إلى التنازلات من الزعماء، وكثيراً ما تخلوا عن شركاء السلام واحتقروهم ونبذوهم وقتلوهم، واستخدموا القوة لتهجير الناس من بلادهم، والمجازر للإرهاب، وقد أدى نجاح الاستيطان في المشروعين إلى تدمير المجتمعات الأصلية.

- وفي المشروعين كانت بريطانيا هي الراعية الأولى للمستوطنين الذين ما لبثوا ان انقلبوا عليها وأعلنوا استقلالهم عنها، وفي التجربتين كانت الدول الكبرى تتصرف بأراضي السكان الأصليين دون رغبتهم ولا إذنهم، ودائماً كان المستوطنون ينتخبون مواقعهم من أفضل الأراضي ويتركون المساحات القاحلة للسكان الأصليين، ولم يكن الصراع القانوني ضد المستوطنين مجدياً في الحالتين، لأنه لا يُتصور أن يشرع المجتمع الاستيطاني قوانين تنقض أسسه، ولهذا لم تجد كل لجان التحقيق التي أرسلت لاستطلاع شكاوي السكان الأصليين في فلسطين وأمريكا، وكلها انتهت إلى لا شيء.


مجموعة من المهندسين اليهود يراجعون مخطط لمستعمرة (رحوبوت)

- وفي المجتمعين الأمريكي والصهيوني جاءت القيادة من المؤسسة العسكرية ومن الذين اقترفوا الجرائم ضد السكان الأصليين فرفعت مكانتهم عند المستوطنين.

- وفي المشروعين كان المستوطنون يعرضون على الأهالي شراء أراضيهم ولا يفهمون كيف يرفض إنسان بيع أرضه بمبالغ ضخمة، وبعد فوات الأوان وانتهاء المواجهات بسحق السكان الأصليين تصحو ضمائر المستوطنين على طريقة ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]، فبعد انتهاء الإبادة الأمريكية خرجت أمريكا على العالم بوجه مشرق بصفتها عدو الاستعمار ولم يدرِ أحد بما اقترفته أياديها لتقوم بنفس دورها السابق مع الأمم خارج قارتها وتخدعهم بمسوح الأولياء، ووجدنا اليسار المزعوم في المجتمعين يُسهِم في إخضاع الضحية وتسهيل العدوان على حقوقها مع رفع شعارات براقة كاذبة، وفي المجتمعين سهّل الاستشراق وسلفه «الاستئصال» تحريف صورة السكان الأصليين وشيطنتهم لتمرير العدوان عليهم.

هذا عن المستوطنين الغرباء، فماذا عن السكان الأصليين الهنود الحمر والفلسطينيين؟

في المكانين تمسكوا بأراضيهم بعناد، وفي البداية رحّبوا بالوافدين بصفتهم لاجئين بائسين، لينالوا الجحود والنكران بعد ذلك، فحملوا السلاح وقاوموا بشدة مؤثرة في مسار الاحتلال، وكانوا يحثون عن الطرف الأقل عدواناً من الدول الكبرى للاستقواء به على عدوهم المستوطن، كما حاولوا صدّ الخطر بتجارب وحدوية شهيرة، وكانت العودة للأصول من وسائل المقاومة الفعالة، وقاوم الشعبان محاولات تقسيم بلادهم والتلاعب بمصائرها بين الدول الكبرى، وفي التجربتين كان السكان الأصليون يقدمون حلولاً عقلانية يرفضها المستوطنون بسبب الجشع والطمع، وفهم الشعبان طبيعة الصراع وكونه صراع وجود لا مكان فيه لشعبين وليس صراع حدود، ورداً على محاولة الإبهار بالعلم والتقدم نفذ حكماء الشعبين إلى الخلل السلوكي الكبير في حضارة الوافدين ولم تبهرهم القوة المادية، وفي التجربتين الفلسطينية والهندية تعرض الشعبان للهجرة واللجوء والاضطرابات الاجتماعية الناشئة عن الترحيل، وظهر في المجتمعين حزب مسالم إلى جانب حزب المقاومة، وما زالت المعاهدات والمواثيق هي سلاح الطرف الضعيف في التجربتين، ودائماً يخرج الضعيف صفر اليدين من عملية السلام.

وبعد كل هذا ليس من المفاجئ أن تكون أمريكا نفسها هي العدوة التي تحرك الشر ضد أمتنا، ومن ضمنه الشر الصهيوني.

آلام الأطباء

ما وراء الصور في حرب غزة



د. أحمد شتيوي

أخصائي طب الأسنان

قرر الوالد أن لا يعطي ابنه البكر جرعة الكيماوي وأن يسلمه لقدر الله سبحانه وتعالى، وأن يحتضن ابنه هذه الشهور والأسابيع المتبقية من حياته التي بالكاد تصل إلى الخمس سنوات، وبدأ بتهيئة أمه لهذا الأمر إيمانياً بل وهيأ الطفل نفسه وهو في ساعاته الأخيرة بأنه ذاهب إلى الجنة، تلك الجنة المليئة بالألعاب والأصحاب والمروج.. تحت ظل عرش الرحمن المنان.. كان القرار صعباً على الوالد، ولكنه كان مفهوماً عند أم الطفل نفسها، تلك المكلومة التي ستذوق مرار الفقد.. كانت تتفهم القرار..

ببساطة لأن زوجها طبيب. كان الأب يعلم جيداً أن ابنه في مراحله الأخيرة وأن العلاج الكيماوي ليس إلا تعذيباً لفلذة كبده، وليس له أي طائل طبي على الإطلاق، إلا زيادة بعض الأسابيع في المعاناة؛ فقد استشرى السرطان شرس النوعية في جسد ابنه وتمكّن!

هذه القصة كانت في بداية التسعينيات الماضية، ولربما أصبح لنفس الحالة علاجات الآن، ولكن ومع كل يوم في دنيانا تتكرر مثل هذه القصة مع الأطباء.. هذا الحمل النفسي الذي يحمله الطبيب فور إلقائه نظرة على مريضه، وهذا التسلسل من الأحداث الذي تتفجر مشاهده في مخيلته فور أن يفهم الحالة ويشخصها..

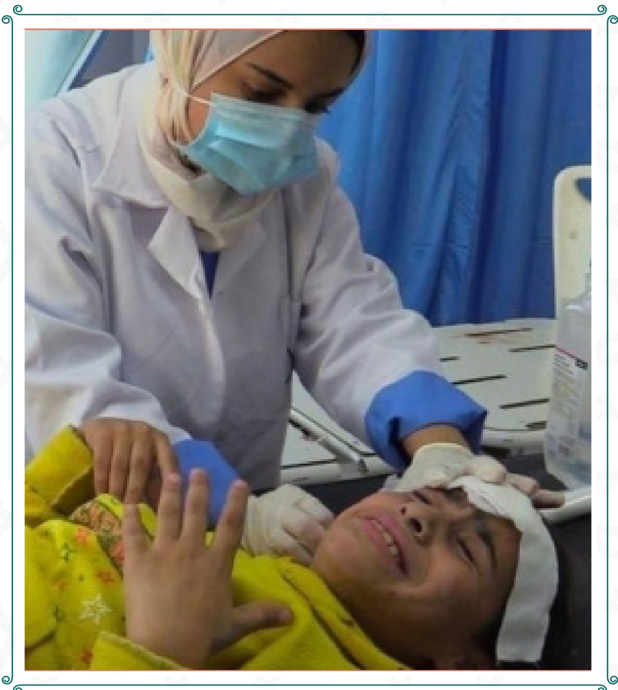
ذكر الشيخ فايز الكندري في سرده لقصة اعتقاله في (جوانتانامو) أنهم رُزقوا في لحظة نادرة داخل السجن بطبيب أمريكي ذو إنسانية، وذكر أن الطبيب عندما فحص رقبته وعموده الفقري دمعت عيناه! دمعت عين ذلك الطبيب الأمريكي ذي البشرة والشعر المختلفين لأنه يعلم مقدار المعاناة التي يعانيها شخص يحمل مثل تلك الإصابة!


الشيخ فايز الكندري

قدّر لي في أحداث زلزال تركيا الأخير أن أزور أحد الأطفال السوريين المصاب بكسر في الفك السفلي والعلوي والوجه والقدمين، ورأيت بعيني كم المعاناة التي يعانيها الطفل حين يريد أن يأكل أو يشرب أو يقضي حاجته، فضلاً عن أن يمشي أو يفكّر في اللعب، هو و أمه التي ترافقه، وقُدر لي أن أعلم وأفهم كيف أن الإصابات التي تستغرق وقتاً طويلاً في التعافي تحوّل حياة المصاب إلى سلسلة من المعاناة التي لن يشعر بها إلا من ذاقها أو من كان معه يرعى شؤونه! هذا إن كانت الإصابة نستطيع أن نسميها (من وجهة نظري لتقريب الفكرة) إصابات غير نازعة لجزء من أجزاء الجسد.

لكن هناك نوع آخر من الإصابات له قصص أخرى، تلك الإصابات التي تأكل شيئاً من الجسد! كمن أصابته قذيفة في ظهره أو عينه أو أحد فكيه أو أحد فخذيه! ولنأخذ هذا الذي أصابته شظية أو طلقة حارقة في فخذه، هذا بعد أن ينظف جرحه وتقيم صحة أنسجته سيحتاج إلى عملية ترقيع.. وعملية الترقيع ستُقرر نسبة نجاحها على قدر تلك الإصابة، فرُب إصابة لم نجد لها في الجسم مكاناً يؤخذ منه رقعة كافية لتغطيها، فضلاً عن تقبُّل المكان الجديد لها تقبلاً كاملاً، وخوضها لمعركة جديدة ضد الميكروبات والجراثيم، ثم تجميل المكان الذي أُخذت منه! ثم تحمُّل المريض لما يفرضه عليه وضعه الجديد، فقد أصبح جريحاً بجرحين وليس بواحد! وأريدك أن تتخيل حركة جريح بجرح كهذا، كيف سينام أم كيف سيقوم أم كيف سيجلس ليقضي حاجته؟ فضلاً عن آلام الشفاء وتمددات الأنسجة والجلد في فترات التئامها وتنظيفها الدوري!

دعنا نصعد في جغرافيا جسدنا إلى إصابة أكلت جزءاً منه وليكن مثلاً الفك، وليكن الفك السفلي، بالطبع كما ذكرت سنأخذ جزءاً من الجسم ونزرعه في الفك لنرمم هذا الجزء التالف، فهل تستشعر معي ما معنى ذلك؟ ما معنى أن تعيش بفك غير كامل؟ أو لسان غير كامل ولو لفترة من الزمن؟ هل تستسيغ الفكرة؟ هل ستستسيغ الطعام؟ هل ستطمح أصلاً إلى استساغته؟ أم سيكون أقصى همك أن يمر سريعاً إلى جوفك دون أن يؤلمك؟ سيتحول الطعام -تلك اللذة التي هي من أسس ملذات الإنسان- إلى كابوس طويل إلى حين. لا زلت لا أنسى هذا الشاب العشريني الذي جاءني ليسألني عن إمكانية زراعة أسنان في نصف فكه السفلي حتى يستعيد قدرته على مضغ الطعام.. هذا الفك الذي فقد نصفه وعوّضه



بجزء من عظم وجلد ساقه.. لا زلت لا أنسى نصف لسانه الأيسر والشعر نابت فيه! فنصف لسانه قد تهتك في الإصابة وما أراه الآن هو تعويض لنصف اللسان بجلد من تلك الرقعة التي أخذها من ساقه!

الذي ذكرته هذا بعض ما في تلك الإصابات الآكلة المهتكة لجزء من الجسد، فهل يا ترى تتحمل معي أن أحكي لك عن الإصابات التي فيها حروق؟ لنأخذ منها لمحة سريعة، تلك الحروق هل وقفت فقط عند الجلد؟ أم أكلته ثم غاصت لنسيج آخر تحته فشوته أو أكلته هو الآخر؟ لا زلت لا أنسى راحة قسم الحروق في مستشفى مدينتنا، تلك الرائحة الصعبة المفزعة لكل من يعرف ماذا تعني، هذه الرائحة المميزة ليست رائحة الحريق إنما هي رائحة الجلد والدواء في رحلة الشفاء!



سامحوني فقد استدعيت إلى ذهنكم صوراً بشعة ولعل منكم من فاضت عينه أو توقف! سامحوني أنا لم أكتب هذا إلا لشعوري أنه حق لإخواني في غزة عليّ.. ما ترونه يا إخوة في الشاشات ليس بشيء! هذه إشارات عابرة.. بعض لحظات من عمر معاناة لبعض من لقطتهم عدسة الكاميرا! وما بقي كان أعظم. إن كل يوم يمر في هذه الحرب له سنوات قادمة من الأثر تُدفع فيها أثمان لا يعلمها إلا الله، فاستشعروا عِظم الأمر وداوموا تذكير الناس بجراح إخوانكم، ولا تبرد مشاعركم ولتبقَ جراحهم جراحكم حتى يشفيهم الله وينصرهم على عدوهم.

وأخيراً أوصيكم ونفسي أن نكون أطباء لأمراض أمتنا.. فكل هذا ليس إلا عرضاً لأمراض أمتنا الكبرى! وكما يصبح الطبيب خائناً إن علم كيف يداوي ولم يفعل.. داووا الأمراض فقد علمتم وشهدتم الأثر!



الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ
أصلها في الجهاد

عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج

باحث شرعي

الحمد لله وحده.. نصَر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على مصطفاه وعبده محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن توحيد الله أصل الأصول لكل خير، وقسيم توحيد الله اتباع رسوله ﷺ والتأسي به وطاعته، وإذا كان التوحيد هو إفراد الله عز وجل بالعبادة، والنفي والبراءة من كل معبود دونه، فإن التوقير والاتباع والنصرة لرسول الله ﷺ تكون بجعل القدوة والأسوة الحسنة فيه ﷺ.

والآيات القرآنية التي أوجبت طاعته ﷺ واتباعه وعدم مخالفة أمره تزيد على الأربعين آية، قال الإمام أحمد رحمه الله: «نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا»، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: «وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه»، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥][١].

وقال الآجري: «فرَضَ على الخلق طاعته ﷺ في نيِّفٍ وثلاثين موضعًا من كتابه»[٢]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكَرَ الله طاعة الرسول ﷺ وأتباعَهُ في نحوٍ من أربعين موضعًا من القرآن كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. وقال أيضًا: «وقد أمر الله بطاعة رسول الله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا وذكر معه»[٣].



الآيات الآمرة بطاعة النبي ﷺ ارتبطت بالجهاد

وهذا أمر يجب التنبه له بوضع هذه الآيات في مواضعها وتصحيح المفاهيم نحوها، فإن من يتأسّى بالنبي ﷺ ويلزم سنته وطاعته.. يجب عليه أن يعلم

١ الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١)، وطبقات الحنابلة (١/ ٩٧ - ٩٨)، الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٥٦).
٢ الشريعة (١/ ٤١١).
٣ مجموع الفتاوي (١/ ٤) (١٩/ ١٠٣).

ارتباطها بالجهاد والحركة والسعي ومحاربة الظلم والفساد. وسُنة النبي ﷺ هي الحكمة، وهي وحي من الله سبحانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. وأكّد ذلك النبي ﷺ بقوله: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ»[٤].

ومثلما كان جمع القرآن في عهد الصديق أبو بكر رضي الله عنه وفي عهد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبب الجهاد، فإن إيجاب طاعة الرسول ﷺ وعدم مخالفة أمره واتباعه والتأسي والاقتداء به كان في مواطن الجهاد. وكذلك أكرم الله تعالى الأمة بأحكام التيمم وقصر الصلاة في السفر في أثناء الغزو والجهاد.

إن الآيات الواردة في الأمر بطاعة النبي ﷺ واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم. واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صيغها مع اتحادها جميعها في الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ وطاعته في جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله تبارك وتعالى، وهذا تقسيم للآيات على حسب ما اتحدت به في السياق على النحو التالي:



أ. الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ.

ب. الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه.

---

٤ أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٠- ١٣١) وغيره من حديث المقدام بن معدي كرب، وهو حديث صحيح.

ت. الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له[٥].

وهنا نتحدث عن صيغة واحدة تنوع ورودها وهي صيغة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ و﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ وأشباهها ونظائرها ومثل قوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ومثل قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.



نجد هذه الصيغ الصريحة الموجبة لطاعة النبي ﷺ قد وردت في ما يزيد على ستة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم بخلاف صيغ أخرى المجال لا يتسع لسردها منها:

- (سبع مواضع) في سورتَي (النساء وآل عمران) وكلها في معرض الجهاد والحديث عن غزوة بدر وغزوة أحد. و(موضعان) في سورتي (المائدة والأعراف)، في معرض الحديث عن أهل الكتاب في المائدة، وفي الأعراف عند الحديث عن اليهود. وفي سورة (الأنفال) ثلاثة مواضع، وهي السورة التي تحدثت عن غزوة بدر والغنائم. وفي سورة (التوبة) في موضع واحد، وكان نزولها بعد غزوة تبوك في ذي القعدة أو ذي الحجّة سنة (٩هـ).. وفيها نبذ العهود للمشركين جميعهم الذين لم يفوا بعهودهم[٦].

٥ حث الأتباع على تجريد الاتباع (ص١٧٩).
٦ الموسوعة القرآنية - خصائص السور (٣/ ٢٣٧) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص٧٥).



- وفي سورة (النور) في موضع واحد، وقد «نزلت سورة النور بعد سورة الحشر، ونزلت سورة الحشر بين صلح الحديبية وغزوة تبوك»[٧]، مرجع الناس من غزوة بني المصطلق، وقال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى فى ذلك براءة عائشة أم المؤمنين ما أنزل»[٨].

- وفي (الأحزاب) ٤ مرات، عن ابن عباس أنه قال: «نزلت سورة الأحزاب بالمدينة»[٩] بعد غزوتي «بني قريظة، والخندق»[١٠].

- وفي سورة (محمد) موضع، «وسُميت أيضًا سورة القتال؛ لبيان أحكام قتال الكفار فيها في أثناء المعارك وبعد انتهائها: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[١١]، وفي سورة (الفتح) في موضعين وهي التي نزلت في صُلح الحدَيبية والبشرى بفتح مكة.

بخلاف سورة الحجرات والمجادلة، نزلت سورة «الحجرات بعد سورة المجادلة ونزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون، ونزلت سورة المنافقون بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة؛ فيكون نزول سورة المجادلة، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك"[١٢].

---

٧ الموسوعة القرآنية - خصائص السور (٦/ ٧٥).

٨ جوامع السيرة (ص٣٦١)، راجع الآيات: ١١- ١٥ من سورة النور، وفيها براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٩ انظر: الإتقان ١/ ٢٣، زاد المسير ٦/ ٣٤٧، روح المعاني ٢١/ ١٤٢، الجامع ١٤/ ١٣ الدر ٥/ ١٧٩.

١٠ البدء والتاريخ (٤/ ٢٢٠).

١١ فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٥)، تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧/ ١٢٠).

١٢ الموسوعة القرآنية (٩/ ١٦٧) (٨/ ٢٢٥).

وفي سورة التغابن جاء الأمر بطاعة النبي ﷺ في موضعين، قال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ بحملهم إياكم على المعصية وترك الطاعة، ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تقبلوا منهم، ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ فلا تعاقبوهم على خلافهم، وتثبيطهم إياكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٣].



وهنا نسلط الضوء على آية واحدة لو لم ينزل غيرها في وجوب طاعة النبي ﷺ واتباعه لكفت ووفت ولكنه فضل الله جل جلاله، وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فقد جاءت بعدما أخبر تعالى عن أهل النفاق وما وقع منهم من الأحوال التي هي غاية في الدناءة، في قوله:

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ

---

١٣ أخرجه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» للسيوطي ٦/ ٣٤٢، والطبري في «جامع البيان» ٢٨/ ١٢٥، والبغوي في «معالم التنزيل» ٨/ ١٤٣ عن عطاء بن يسار فقط. وشيخ ابن إسحاق في هذا الإسناد مبهم. ولكن أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣١٦، ٣/ ١٢٢ بسند قال عنه السيوطي في «الإتقان» ١/ ٥٠: وإسناده جيد.



ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الأحزاب: ١٨-٢٠].

وانظُر إلى مفردات «معوقين»، واغراءات القعود «هلم إلينا»، وسوء الأفعال «أشحة عليكم»، و«سلقوكم بألسنة حداد» و«أشحة على الخير».. لتعلم مدى إجرام هؤلاء الذين يؤذون المؤمنين بالتخذيل والتثبيط وهم من بني جلدتهم ويتحدثون بألسنتهم!

«وَالشح أَصْلُهُ: عَدَمُ بَذْلِ الْمَالِ، وَيُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي مَنْعِ الْمَقْدُورِ مِنَ النَّصْرِ أَوِ الْإِعَانَةِ وَالْمَعْنَى: يَمْنَعُونَكُمْ مَا فِي وُسْعِهِمْ مِنَ الْمَالِ أَوِ الْمَعُونَةِ، أَيْ: إِذَا حَضَرُوا الْبَأْسَ مَنَعُوا فَائِدَتَهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَاعُوا وَمِنْ ذَلِكَ شُحُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكُلِّ مَا يُشَحُّ بِهِ. وهم أيضاً أَشِحَّةً فِي الظَّاهِرِ، أَيْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَيْكُمُ الْهَلَاكَ فَيَصُدُّونَكُمْ عَنِ الْقِتَالِ وَيُحَسِّنُونَ إِلَيْكُمُ الرُّجُوعَ عَنِ الْقِتَالِ»[١٤].

و«الخير يعني الظَّفر في القتال، وذلك قوله في سورة الأَحزاب: ﴿وَرَدَّ اللهُ الذين كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا﴾ يعني لم يصيبوا ظفراً ولا غنيمة. وقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الخير﴾. والخير القتال»[١٥].

هذا مع جُبنهم ورعبهم وخوفهم الذي هو دليل على ضعف إيمانهم، إن لم يكن دليل على ذهاب الإيمان من قلوبهم.

١٤ التحرير والتنوير(٢١/ ٢٩٦).
١٥ التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص١٧٦).

فالجهاد هو السُّنة.. والأسوة في رسول الله ﷺ واتباعه أصله في الجهاد وردّ المعتدي والوقوف في وجه الظالم، وتحمُّل الأذى في سبيل الله في النفس أو المصاب في الغير. ومع أن هذا هو الأصل فالعبرة فيها بعموم لفظها ليعم تأسّي الناس به ﷺ في الإيمان والإسلام وكثير من الأحكام، وفي عموم الأفعال.

قال نجم الدين الطوفي: «واعلم أن الاستدلال بهذه الآية على التأسي مبني على أن الآية في نفسها عامة، ثم على أن الاعتبار في العام بعموم لفظه لا بخصوص سببه؛ لأن هذه الآية إنما وردت على سبب خاص، وهو اعتزال المنافقين القتال في غزوة الأحزاب مع مباشرة النبي ﷺ لها، فقيل لهم: هلّا تأسيتم برسول الله في لقاء العدو، فلقد كان لكم فيه أسوة، ألا تراه يقول: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا * لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٠-٢١]»[١٦].



وعامة أهل التفسير على أن معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إنما هو في الجهاد أصالةً، وفي باقي الأمور بالتبع؛ حيث إنه ﷺ حضر الجهاد بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل «قال مقاتل بن سليمان: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أن كُسرت رباعيته، وجُرح

---

١٦ الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (ص٥٠٤) بتصرف.

فوق حاجبه، وقُتل عمُّه حمزة، وآساكم بنفسه في مواطن الحرب والشدة ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ يعني: لمن كان يخشى الله سبحانه وتعالى، ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال»[١٧].

فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ قدوةً حسنةً، وسُنة صالحة، لأنه كان أسبقهم في الحرب، وَتَصْبِرُوا عَلَى مَا يُصِيبُكُمْ كَمَا فَعَلَ هُوَ، بأَنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ وَتُؤَازِرُوا الرَّسُولَ وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَنْهُ، فَوَاسَاكُمْ مع ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، في مواطن الحرب، فَافْعَلُوا أَنْتُمْ كَذَلِكَ أَيْضًا وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فباشروا معه القتال، وَلِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ عز وجل، دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تعالى لِلَّذِينَ تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يومَ الْأَحْزَابِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَيْ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٨].

قال الشيخ السعدي: «﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله ﷺ بنفسه فيه؟» فَتَأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره[١٩].



١٧ تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٣)، موسوعة التفسير المأثور (١٧/ ٧١٢).
١٨ تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٥)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١)، الكشف والبيان (٨/ ٢٢)، وانظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٦٦)، الجواهر الحسان (٤/ ٣٤٠)، تفسير الماتريدي (٨/ ٣٦٧)، وبحر العلوم (٣/ ٥٣)، تفسير البغوي (٦/ ٣٣٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٥٦٦)، التيسير في التفسير (١٢/ ١٥٨)، تفسير الألوسي (١١/ ٢٧٥).
١٩ تفسير السعدي، (ص٦٦١).

الأصل الثاني في اتباع الرسول ﷺ



والأصل الثاني المشهور في سنته واتباعه والتأسي به وطاعته هي قول الله عز وجل: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وهذه الآية نزلت في الغنائم، وعمَّت سائر الأشياء، فدخل فيها ما أَمر به وسَنَّه ﷺ، وما نهى عنه بالسُّنة، فلا يجوز مخالفته في شيء من أوامره، إلا ما خُصَّ عليه من الخبر، مما لم يتفق المسلمون على إيجابه لا بكتاب ولا سُنة، فإنه ﷺ قال في هذا الجنس الذي هذا صفته: «فخذوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا»، وقد نزلتْ هذه السورةُ والآياتُ في بني النَّضيرِ حينَ أجلاهُم رسولُ الله ﷺ [٢٠].

إن الآيات الآمرة بطاعة النبي ﷺ والموجبة لاتباعه والتأسي به أكثرها إن لم يكن جلها نزلت أثناء الجهاد والغزو وهي عامة بلفظها وإن نزلت على سبب خاص وذلك «من خَصَائِصه ﷺ حيث أَن الله تَعَالَى فرض طَاعَته على الْعَالم فرضا مُطلقًا لَا شَرط فِيهِ وَلَا إستثناء فَقَالَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنهُ فَانْتَهوا﴾ وَقَالَ: ﴿من يطع الرَّسُول فقد أطَاع الله﴾ وَإِن الله تَعَالَى أوجب على النَّاس التأسي بِهِ قولاً

٢٠ أحكام القرآن لبكر بن العلاء (٢/ ٥٠٢)، والصارم المسلول (ص١٨٦)، تيسير البيان لأحكام القرآن (٤/ ٢١٥).

وفعلاً مُطلقًا بِلَا إستثناء فَقَالَ: ﴿لقد كَانَ لكم فِي رَسُول الله أُسْوَة حَسَنَة﴾ وَاسْتثنى فِي التأسي بخليله فَقَالَ: ﴿لقد كَانَ لكم أُسْوَة حَسَنَة فِي إِبْرَاهِيم﴾ إِلَى أَن قَالَ: ﴿إِلَّا قَول إِبْرَاهِيم لِأَبِيهِ﴾»[21].

هذا فليست سنة النبي ﷺ ترفاً ولا خلوداً إلى الأرض واتباعاً للأهواء، وليست كذلك تشدقاً وثرثرةً، بل إن اتباع الصادق الأمين وطاعته والتزام سنته شرف لا يحوزه أهل الأهواء والبدع ومرضى النفوس ممن يتطاولون على أهل الإسلام ويؤذونهم ويدعون أهل الأوثان ويسالمونهم، فمن يوالي أعداء الله بموافقته لهم في مواقفهم فهو منهم، ومن يكثّر سواد الظلمة والفاسدين فليس من الله في شيء، وهؤلاء كما قال ابن عقيل الحنبلي: «إذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ»[22].

ولهذا قال ابن حزم: «وَلَا إِثْم بَعْد الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ مَنْ نَهَى عَنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَأَمَرَ بِإِسْلَامِ حَرِيمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ»[23]. وقال الإمام محمد عبده: «فَالْقِتَالُ لِحِمَايَةِ الْحَقِيقَةِ كَالْقِتَالِ لِحِمَايَةِ الْحَقِّ.. كُلّه جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ»[24].

وإن ألزم الأحوال في التأسي به وطاعته واتباعه ما كان في الحال الذي نزلت بسببه الآيات، وهو حال الجهاد الذي جعله الرسول ﷺ ذروة سنام الإسلام، وحقيقته ومقصده تعظيم الخالق والرحمة بالخلق، بقمع الظلمة لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

---

٢١ الخصائص الكبرى (٢/ ٣٤٢).
٢٢ الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٧)، الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٤٣٢).
٢٣ المحلى بالآثار (٥/ ٣٥٢).
٢٤ تفسير المنار (٢/ ٣٦٥).

الجهاد الإسلامي
رحمة للعالمين



د. أنس عيروط

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم..

خلق الله عز وجل الخلق ليعبدوه ويوحدوه، فأرسل الرسل وأنزل الكتب، وشرع بذل الأنفس والأرواح والأموال رغم مشقتها وكرهها على النفوس من أجل الحفاظ على هذا الدين وإحيائه، والذي فيه حماية البشرية ورحمتهم وسعادتهم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. إن الحرب والغزو والقتال كان محتماً في عصر ما



قبيل الإسلام؛ لأن طبيعتهم المعيشية تفرض عليهم القتال والغزو لأسباب منها: رد غارات الروم والفرس وأحلافهما عليهم، ومنها للسلب والنهب حصولاً على المؤن والمواد الحياتية، ومنها لأمور تتعلق بالقبيلة وإبراز مكانتها ورد اعتبارها وإثبات وجودها بين القبائل، وهذا قانون يتبع للعشائرية وأحكامها المعمول بها.



وقد جرتْ حروب كثيرة، منها معركة ذي قار، فيوم ذي قار هو يوم هزمت به العربُ العجم قبل بعثة النبي ﷺ، حيث وقع فيهِ القتال بين العرب والفرس وانتصر فيه العرب. وكان سببه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وحرب أخرى جرت بين الأوس والخزرج، وهما قبيلتان من بلد واحدة وقد استمرت أكثر من مائة وأربعين سنة، وكان سببها قتال مردّ جُل أسبابه إلى العصبية القبلية. وحرب البَسوس وحرب داحِس والغَبراء ويوم بُعاث وغيرها من الحروب..

إلى أن جاء الإسلام فأصلح المعتقدات والعادات الجاهلية، ووجّه القتال والحرب لغايات سامية لا يدركها إلا من هداه الله؛ فحذّرهم من دعوى الجاهلية المقيتة المُهلِكة للحرث والنسل؛ فهذّبهم ورباهم على القتال لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ونبذ ما سواها. فقد جاء رجل إلى رسول الله فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ما القِتَالُ في سَبيلِ اللَّهِ؟ فإنَّ أحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ (وما رَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ إلَّا أنه كانَ قَائِمًا) فَقالَ ﷺ: «مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ»[1].

---

١ متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري، البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).



وشرع من التعاليم والأحكام ما يحفظ للبشر مقدساتهم وأغلى ما عندهم؛ من حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعِرض؛ فشرع الجهاد لحفظ الدين ونشره، وشرع القصاص الذي هو قتل النفس من أجل إحياء نفوس العباد، قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]، كما حرّم الخمر والمخدرات حفظاً لعقل الإنسان، وأمر بقطع يد السارق لحفظ المال، وأمر بالزواج وحرم الفواحش وعاقب عليها لحفظ العِرض والنسب.

وقد لخص الصحابي الجليل رِبعيّ بن عامر رضي الله عنه حقيقة الجهاد، وهو أحد قادة الفتح الإسلاميّ للعراق، في حديثه مع قائد جيش الفرس (رستم)، عندما سأله الأخير عن السبب الذي جاء بهؤلاء الفاتحين من الصحراء القاحلة إلى عقر ديار الفرس؟ ليجيبه ربعيّ بن عامر بكلماتٍ جليلةٍ بليغةٍ خلّدها التاريخ: «إنَّ الله ابتعثنا لِنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جَورِ الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدُّنيا إلى سَعة الدُّنيا والآخرة».

فالجهاد ظاهره العذاب، وباطنه الرحمة، فهو إنقاذ للغرقى، وحماية للمستضعفين، ونصرة للمظلومين، ورد للجائرين والمعتدين. فالجهاد وسيلة وليس غاية لذاته، بل شُرِّع إذا دعت الضرورة إليه، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، والعالم من قبل وحتى اليوم بدوله وأنظمته

يعمل على محاربة الإسلام بحجة الإرهاب، وأنه دين متطرف، يجب القضاء عليه وعلى أهله والتخلص منهم! فجَنَّدوا لذلك الأنظمة والحكام وكثيراً من المشايخ والمفكرين لتنفيذ خططهم وتحقيق أهدافهم.

وقد تكشفت ألاعيبهم وخداعاتهم ومكرهم في ثورات الربيع العربي، ثم في غزة اليوم وما يجري فيها من انتهاكات في حق البشرية، وفي حق الإنسانية.. فقد أرهقوا وصدعوا رؤوس العالم من قبل بحديثهم عن القانون الدولي والقانون الإنساني وحقوق الإنسان.. وهذا ممنوع في القانون.. وهذا محظور.. وأنشأؤوا مؤسسات ومنظمات تزعم حماية الحقوق، وطلابنا -وللأسف- يدرسون ويدرّسون هذا القانون ونظرياتهم وشروحاتهم ظناً منهم أنه لا يمكن لأحد أن يتفلّت من هذا القانون، وأن القائمين عليه منصفون يعملون جاهدين على تطبيقه لمحاسبة الظالمين والمنتهكين لقانون الحروب، كما أنه من غير المتصوَّر أن لا يرد الحقوق لأصحابها!

لكن هيهات هيهات، فما هو إلا كالمستجير بالرمضاء من النار.. والحمد لله أن الواقع كذّبهم، وجرائمهم في العراق وفي سوريا واليوم في غزة شاهدة عليهم وعلى كذبهم واقترائهم.. رأينا ذلك في سوريا.. رغم كل المجازر واستعمال الأسلحة الكيماوية والمحرمة دولياً من قبل النظام المجرم الطائفي السادي، ما زالوا مؤيدين له ومعترفين به، بل يسعون لتعويمه.. ادعاءات كاذبة، وشعارات براقة.. فقط هم سمحوا بدخول بعض المساعدات، وكأنهم يقولون لهذا الحيوان البشري: نحن نسمنهم لك وأنت تقتلهم! وصنعوا الفيتو ليستعملوه لامتطاء القانون في مجلس الأمن لتبرير تخاذلهم وتخليهم، وإعذارهم تجاه ما يحدث من مجازر وجرائم واعتقالات طالت شعب سوريا بأكمله.



وكأن سفك الدماء وإزهاق الأرواح لا قيمة له إن لم يقابل مصالحهم، حتى رأيناهم في غزة يؤيدون ويدعمون ويشاركون المجرم اليهودي في قتل الآلاف من أهل غزة وتدمير مدينتهم عليهم، حرب إبادة في كل القوانين والأنظمة والأحكام السماوية والبشرية.. أين القوانين الدولية، وأين حقوق الإنسان، وأين النظريات التربوية والنفسية؟



بكل ما تعنيه الكلمة: لقد داسوا على شيء اسمه القانون وحق الإنسان في الحياة وهو أبسط تلك الحقوق. والذي يزيد الجرح ألماً ونزفاً هؤلاء الذين يسمَّون حكام العرب، يصطفون بكل سرور مؤيدين ومناصرين لما يحصل في العالم العربي والإسلامي، وآسفاه على تلك الرؤوس التي ركعت تتعبد أربابها الظلمة وتصفق لهم مشجعة. هذا هو العالم الكاذب وهذه هي الحضارة المزعومة التي ينبهر بها كثير من شبابنا، وهذه هي مدنية القرن الحادي والعشرين؛ فهذه السادية وهذا التطرف في الإجرام وانتهاك الحقوق وخرق المعاهدات والقوانين تفتي بوجوب قتل وإهراق الدماء البريئة.. هذا الظلم والإجرام.

لا يمكن أن ينتهي إلا بعد أن يأخذ المسلمون دورهم ويملكون زمام المبادرة والحكم.. الإسلام هو الحل الذي أنقذ الله به البشرية من براثن الطغاة والبغاة والظلام، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بالجهاد. فنحن متعبدون بإقامة حكم الله في الأرض حتى يرفع الظلم، ويخف الشر، وينتصر للضعيف.. فليس هناك تناقض في الإسلام، وليس هناك قوانين لا تطبق عندما يحكم المسلمون؛ فالإسلام قنن



الجهاد وجعل من الأولويات حماية الإنسانية، فأمر أن لا تُقتل المرأة ولا الشيخ ولا الطفل ولا الراهب في صومعته، وأن لا تُهدم دور عبادتهم، ولا يجوز تخويف العباد الآمنين.. هذا لم يكن مجرد كلام بل واقع، وإلا لما دخلت الناس في دين الله أفواجاً.. فهذا رسول الله ﷺ عندما بعث رجلاً إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان على مقدمة الجيش فقال: «قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً». والعسيف: الأجير الذي لا يقاتل[٢]. فليس في الإسلام دعوات أو شعارات متناقضة تظهر الرحمة وتضمر السوء والعذاب.. فلن تجد في التاريخ ظلم المسلمين لشعوب البلاد التي فتحوها، وما رأينا خرقاً لمعاهدات أو قوانين اتُّفق عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

أكتفي بذكر قصة فتح سمرقند في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث أرسل أهل سمرقند رسالة إلى عمر رضي الله عنه، وقالوا بأن الفتح الإسلامي لسمرقند فتح باطل؛ لأن الجيوش دخلت سمرقند عنوة، ولم تدعُها إلى الإسلام، ولم تفرض عليها الجزية. فما كان من عمر بن عبد العزيز إلا أن أرسل إلى قاضي قضاة المسلمين ليحقق في هذا الأمر، ويرسل القاضي إلى عمر رضي الله عنه بأن الفتح الإسلامي لسمرقند فتح باطل، فيصدر عمر الأوامر إلى قائد الجيوش المسلمة في سمرقند بالانسحاب فوراً، ثم يدعو أهل سمرقند إلى الإسلام فإن أبوا فليفرضوا عليهم الجزية، فإن أبوا فالقتال! فلما خرج الجيش عن بكرة أبيه، خرج أهل

---

٢ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

سمرقند بين يدي الجيش الفاتح العظيم المنتصر على نفسه، وهم يقولون: نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله. هذا غيض من فيض في احترام المسلمين للعهود والمواثيق.

وفي اليوم المعاصر لو أردنا مقارنة سريعة بين أعمال إسرائيل في غزة، وكذلك أعمال وكلاء إسرائيل في سوريا، وبين أعمال أهلنا المسلمين، لعجزت الكلمات والصفحات عن إحصاء المفارقات بينهم.. انظر في سوريا فقد فاق عدد الشهداء المليون شهيد من الذين سقطوا على أيدي النظام المجرم وبرعاية دولية، وكذلك عدد المعتقلين والمعتقلات الذين غُيبوا في السجون وقُتلوا بطرائق في منتهى الوحشية وكل العالم شاهد على ذلك، هذه صور قيصر التي تمت مصادقتها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن! أين المحاسبة؟ وما الذي عملوه لردع هذا الوحش الكاسر، بل ما زادوه إلا طغياناً وكفراً، وفي الوقت الذي دمر فيه بشار الأسد سوريا ومدنها ومساجدها وأهلك الحرث والنسل، فإن ثوار سوريا يعمرونها ويتنافسون في تشييدها وبنائها رغم كل ما نزل بهم، شعب ثابت على ثورته ومبادئه، ما زال يطالب بإنسانيته وكرامته وحريته، ورغم كل ما سُلط عليه من عذاب وانتقام، لم يُعرف عنه أي غدر ولا خيانة.

وهذه غزة اليوم والتي ما زالت محاصَرة، لم تقتل أسراها ولم تعذبهم ولم تنتقم منهم رغم كل ما فعلوه بها، ولا حتى رداً على العدوان البربري والهمجي، وهي تخوض الحرب تلقن العالم دروساً في الأخلاق واحترام العهود والمواثيق وقوانين الحرب. فالأيام المقبلة كفيلة بأن تجعل العالم يعترف أن الإسلام بجميع تعاليمه وتشريعاته وأنظمته هو الحل للعيش بسلام في هذا العالم، وأن في الجهاد إصلاحاً وتقويماً لاعوجاج هذا العالم الفاسد الذي يعيش في ظلمات الجهل والطغيان، وأنه لن يهنأ لهم بال حتى يعيش المسلمون في أمان وينالوا حريتهم. وليعلم الجميع أن هذا الكيان الصهيوني وحلفاءه لا بقاء لهم على هذه الأرض بعد الآن.

والحمد لله رب العالمين

سر قوة المقاومة الفلسطينية



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

يتعجب كثير من الباحثين في شأن الحروب والعسكرية، بل والعلوم السياسية والاجتماعية، وكذا عامة الناس ممن يتابعون الحرب الشرسة الدائرة بين المقاومة الفلسطينية الباسلة الفتية، وبين القوى العالمية العظمى والتي تجمعت بأكملها على حرب أهل غزة الأبطال، وسر العجب هو من أين للمقاومة الفلسطينية هذه القوة التي تواجه بها محور الشر متمثلاً في الصهاينة والأمريكان والبريطانيين والألمان والفرنسيين والإيطاليين، جميعهم في وقت واحد، وكذا من يساعدهم من حكام العرب وغيرهم من الخونة والمنافقين؟! إن هذا شيء يثير العجب حقًا. لكنَّ من يدرس أسباب القوة التي

تؤدي للنصر دائمًا -وليس من بينها كثرة العدد ولا العدة- ساعتها سيزول عجبه، عندما يرى أن جل أسباب النصر قد تحققت في هذه الفئة المناضلة على أرض فلسطين، في حين أن نقيضها -أسباب الهزيمة- قد تحقق جلها أيضًا عند عدوهم أقصد الكيان الصهيوني.

وأسباب القوة والنصر تمثل فيما يلي:



- **أولًا: قوة الإيمان بالله تعالى، وبما وعد الله سبحانه وتعالى به من النصر والظَفَرِ،** وهذا يتولد منه قوة التوكل على الله عز وجل، فما كان لموسى عليه السلام أن يقول لقومه: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] لولا قوة إيمانه بربه، وما كان لرسول الله ﷺ أن يقول لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1]، لولا قوة إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وهؤلاء المجاهدون الأبطال ما كان لهم أن يخوضوا معركة كهذه، وهم يعلمون أن العالم سينقلب عليهم لولا قوة توكلهم على الله تعالى والمنبثقة من قوة إيمانهم بالله، وقد رأينا وسمعنا منهم في ذلك ما يثلج الصدر، فهذا قبل أن يرمي يقول: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وآخر وهو يدنو من العدو دون وجل ليضع قنبلته وهو يردد: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وثالث لا يخطو ولا يصوّب إلا باسم الله، وهذه تودع أطفالها وهي تقول: «رضينا يا رب فكن أنت راضٍ عنا»، وهذا لما سُئِلَ من أين تأكل؟ ما تردد ولا فكر بل رفع أصبعه للسماء على الفور وقال:

---

١ متفق عليه.



«من عند الله». وعشرات الأطفال بكل عفوائية دائمًا يرددون: «طالما أن الله معنا فلا خوف علينا». وغيرهم آلاف وملايين ممن يضربون الأمثلة التي تبيّن جليًا قوّة توكلهم وإيمانهم بالله تعالى.

- **ثانيًا: حفظهم ومُدارستهم وفَهمهم للقرآن الكريم،** ونحن جميعًا نعلم ما يفعله القرآن في ثبات القلب وقوّة الإيمان والثبات عند اللقاء، فقد رأينا أنهم كانوا يسردون القرآن في جلسة واحدة، وعندهم من صفوة الحفاظ في غزة أكثر من عشرين ألفًا يستطيعون سرد القرآن في جلسة واحدة، وعندهم كتيبة تُسمى «كتيبة الحفاظ» لا يدخلها إلا مُتْقِنٌ في حفظه، ثم إنهم تدارسوا القرآن وأخذوا منه عوامل الثبات والتي بسطها الله في كتابه، ومثلهم مثل أصحاب النبي ﷺ، الذين قال عنهم ربنا: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، كما فهموا منه طبيعة اليهود والتي فصَّلها ربنا في القرآن وبيّن لنا كيف نتعامل معهم، فلما فهم المجاهدون هذا زاد من قوتهم وثباتهم وجرأتهم على عدوهم.

- **ثالثًا: أنهم أصحاب الحق، وأصحاب الأرض،** لأن صاحب الحق قوي في طلبه.. قوي في استرداده.. بخلاف غيره، ولكن يشترط أن يكون مطالبًا ومقاومًا ومضحيًا من أجل استرداد حقه، فإذا سكت عن حقه ضاع الحق، ولو رأينا كيف تحررت (فيتنام) لقلنا يستحيل هذا، فلقد حفر أبناؤها الأنفاق ومات منهم تحت الردم من مات، حفروا شبكة أنفاق استعصت على طائرات وجرافات وقنابل الأمريكان،

وكانوا يقاومون بأسلحتهم التقليدية الخفيفة كالعصي والسكاكين حتى تطورت أسلحتهم بعد، واستطاعوا بهذا طرد الأمريكان وتحرير بلادهم، بل وجعلوا للأمريكان عقدة للآن تسمى بـ«عقدة فيتنام»، كل هذا لأنهم أصحاب حق وأصحاب أرض، وهَبُّوا لمقاومة المحتل وانتزاع حقهم، ولأن الحقوق تُنْتَزَع ولا تُسْتَجْدَى، رغم كونهم كفارًا أي لا عقيدة سليمة عندهم، فكيف بالمجاهدين الأبطال الذين تربوا في حضن المسجد وعلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقدوتهم سلف الأمة الذين فتحوا البلاد شرقًا وغربًا؟! ولقد رأينا أسود الأفغان كيف استطاعوا إذلال أمريكا وتحالفها المجرم، وغدًا بإذن الله سنرى إذلال محور الشر وأحزاب الضلال التي تقودها الصهيونية إلى الهاوية السحيقة بإذن الله تعالى.

- **رابعًا: هؤلاء الشباب والرجال أبطال المعركة،** والذين وُلِدُوا تحت قصف الطائرات، وأول ما سمعوا هدير المدافع وصوت الدبابات والمجنزرات، ورضعوا من لبن المعارك والحروب وكما قال عنترة بن شداد في قصيدته التائية الجميلة:

خلقتُ من الحديدِ أشدَّ قلباً •• وقد بلِيَ الحديدُ وما بليتُ
وفي الحَرْبِ العَوانِ وُلِدْتُ طِفْلا •• ومِنْ لبَنِ المَعامعِ قَدْ سُقيتُ



وهؤلاء كذلك رضعوا من لبن المعامع، وتربوا في المعارك والمصائب والأهوال التي شاهدوها في طفولتهم، فقدوا آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم وأصدقائهم بل وفقدوا فلذات أكبادهم، فماذا بقي لهم كي يحبوا الحياة من أجله؟ فلسان حالهم عند قتلهم لليهود الغاصبين يقول: فلتناموا اليوم أيها الشهداء الأطهار

الأحباب هادئين فقد ثأرنا لكم ممن قتلكم، لذا هم يقاتلون بشراسة حتى الموت، فهم لا يبايعون على النصر بل يبايعون على الثبات حتى الموت، لحبهم اللحاق بأحب الناس إليهم الذين فقدوهم من قبل، وهم يثأرون لهم اليوم، وهذا مما يزيدهم قوة على قوتهم.



خامسًا: سُمو الغاية ووضوح الهدف ونُبلُ المطلب عند المجاهدين، فهؤلاء غايتهم رضوان الله تعالى، وما أسماها من غاية! بل لا غاية صحيحة غيرها، ووضحت تلك الغاية حتى في كلام نسائهم الراضيات المحتسبات، فكيف بالمجاهدين الذين يخرجون لقتال عدوهم وهم حفاة؟ فهؤلاء ما حركهم إلا مرضاة ربهم، وكذلك وضوح هدفهم مع سمو الهدف وهو تحرير المسجد الأقصى وتحرير كل أرض فلسطين، وهل شُرِع الجهادُ لشيء أسمى من هذا؟!

ثم إن طلبهم الشهادة في سبيل الله تعالى، وليس ثمة طلب أغلى من هذا، لأنه لا جزاء للشهادة إلا الجنة، أي أن هؤلاء باعوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى والله عز وجل اشترى منهم ومنحهم الثمن وهي جنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، **فوضوح الغاية والهدف ونُبل الطلب جعلهم في قوة ما بعدها قوة، وماذا يفعل عدوٌ أمام مجاهدٍ لا يريد إلا الموت؟! في حين أنه هو يفر من الموت من شدة جُبنِه.**

سادسًا: تشوقهم لتحرير أرضهم وخروجهم من الذلة التي يحيونها، فالمسلم الأصيل لا يرضى الذلة ولا يستكين أبدًا، بل العربي الأصيل لا يرضى هذا، فكيف بالمسلم المعتز بدينه، يقول عنترة بن شداد المعتز بنفسه، في بيان أنه لا يرضى الذلة أبدًا:

لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ •• بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ



فهذا رجل أبيٌّ رغم كونه كان على الشرك، فكيف بمن اعتز بالإسلام؟! لا شك أنه لا يرضى الذلة ولا الاستكانة ولذا فهؤلاء يتشوقون لحريتهم وتحرير أرضهم ومقدساتهم، ويعلمون أن ذلك لن يكون إلا بتضحياتهم بأنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون في سبيل تلك المطالب السامية، فذلك أيضًا يعطيهم قوة فوق قوتهم، خاصة وقد تيقنوا أنه لا سبيل لتلك الحريات ولا للتحرير إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى.

سابعًا: دفاعهم عن حرماتهم عن نسائهم عن أطفالهم عن منازلهم، فهم يعلمون خسة عدوهم ونذالته، فكم من حرمة انتهكها، فلقد قاموا هم للثأر لحرماتهم والحفاظ على ما تبقى منها، ولأجل العيش الكريم، فالحر لا يقبل المهانة لنفسه ولا لأهله، فلما لم يجدوا سبيلًا غير هذا خاضوه وهم يعلمون تبعته، وهم عازمون على المضي فيه لآخره، مهما كان الثمن، ومن هنا يستمدون قوتهم.

- **ثامنًا: ثبات وصبر أهاليهم،** من الآباء والأمهات والزوجات، وحتى الأطفال، فهذا شيء مُبْهِر حقًا، فكم سمعناهم وهم ينادون على رجال المقاومة بالثبات والقوة، وأن لا يبالوا بما يحدث لهم، وكم سمعنا الأطفال وهم يتوعدون العدو عند كبرهم، وما نراه من ثبات الأهالي وهم يودعون شهداءهم، وفي نفس اللحظة ينادون على المقاومة أن تستمر، ويقولون: كلنا فداء المقاومة، بل يخرج أحدهم من تحت الأنقاض وهو لا يبالي بل يصرخ متوعداً العدو بأنه سيكمل المسير إلى التحرير، وما سمعنا من الأهالي رغم شدة آلامهم وعظمة مصابهم، ما سمعناهم أبداً يعزون ما حدث للمقاومة، ولا يلومونهم عليه، فذلك من العوامل الهامة لثبات وقوة المقاومة.

- **تاسعًا: عامل مهم رغم كونه ليس منهم لكنه من عدوهم،** وهو جُبن عدوهم وخَوَره، فهم يعلمون عن عدوهم هذا، وأنه لا يقوى على المواجهة، لذلك هم يحملون على عدوهم كالليوث البادية أنيابها، فلا يرون من عدوهم إلا الاستسلام والهرب -إن استطاع ذلك- فهذا مما يجعلهم دومًا في مرحلة الإقدام والانقضاض على العدو بقوة وشراسة.

وإن كانت الأسباب كثيرة، لكن محصلتها واحدة، ألا وهي قوة هؤلاء الأبطال، تلك القوة التي أبهرت العالم، وزلزلت كيان المجرمين من الكفرة والمنافقين.

اللهم احفظ على إخواننا المجاهدين الأبطال قوتهم، وزِدْهم قوة على قوتهم، وأمِدّهم بجندك، وانصرهم نصرًا عزيزًا مؤزرًا، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

وقود معارك المسلمين



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

لقد أكرم الله أمة الإسلام بإكمال الدين، وإتمام الدين، والرضا بما شرعه الله تعالى، وجعل ذروة سنامه الجهاد في سبيله ليكون درعاً في حماية بيضته، وسيفاً حامياً لعزته، وكلما بعُدت الأمة عن الإسلام أصابها الوهْن والخنوع، وركنتْ إلى الدنيا الفانية، والذِلة القاتلة، واستنسر عليها البُغاث، ولم تجد من به تُستغاث، وكلما تمسّكت بدينها عزّت وارتفعت، وسادت وقادت، فإن رفَعت علم الجهاد واقتحمت ميادينه المتعددة، ورابطت بثغوره الكثيرة، هابها البعيد والقريب، واستنصر بها الضعيف والغريب.

وإن لمعارك المسلمين وجهادهم عبادات متنوعة ينبغي ألا تغفل عنها، ولا يتوانى في فعلها صالحو الأمّة عند التحامها، فلا التوجع والبكاء بكافٍ في نصرة المجاهدين، ولا الأماني الوردية في رغبة القاعدين تنزل الملائكة على المجاهدين بوارد، بل العمل الجادّ في الإعداد الروحي والبدني والمالي وغير ذلك هو سبيل النصر.

القدوة الحسنة والعبادة في الجهاد

لقد أمرنا ربنا سبحانه في أوقات الرخاء والشدة أن نستعين بأمرين عظيمين، هما من الزاد الروحي والمثبتات الربانية في طريق الدعوة والجهاد، فقال سبحانه: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ فالاستعانة بالطاعات والصبر عليها وعلى مقادير الله مما يصيب الإنسان سواء في الجهاد أو غيره، هما من العُدة التي يعدّها المجاهد في سبيل الله.



ولقد كان النبي ﷺ إذا حزَبه أمر هرع للصلاة، فما أحوج الأمة جمعاء أن تهرع في هذه الأوقات الصعبة إلى مضاعفة الطاعات، والتضرع لرب الأرض والسموات! وما أجملها وهي تقتدي بنبيها ﷺ في أحلك الأوقات، وقد كان نبيّنا ﷺ سيّد المجاهدين، وقدوة العابدين، ورحمة الله للعالمين، يجتهد في إعداد العدة كلما أراد أن يخرج لغزوة أو يبعث سرية، ثم يشفّع ذلك بكثرة الذكر والشكر، وأن يجأر لربه بالدعاء قبل الالتحام وأثناءه وبعده، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القِبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة

[الجماعة من الناس] من أهل الإسلام لا تُعْبد في الأرض. فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبِل القِبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة»[1].



قال ابن حجر: «قوله «اللهمّ إنّي أنشدك» أي: أطلب منك. وقال الخطابيّ: لا يجوز أن يتوهّم أحد أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان أوثق بربّه من النّبيّ ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنّبيّ ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنّه كان أوّل مشهد شهِده، فبالغ في التّوجه والدّعاء والابتهال، لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ وسيلته مستجابة»[2].

قال النّوويّ: «قال العلماء: هذه الْمُنَاشَدة إنّما فعلها النّبيُّ ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال، فتقْوَى قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، لكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين»[3].

---

١ رواه مسلم.

٢ فتح الباري (٧/ ٢٨٩).

٣ شرح مسلم للنووي (١٢/ ٨٥).

وقال ابن حجر: «فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته: «اللَّهُمَّ لَا تودِّع مِنِّي، اللَّهُمَّ لَا تَخْذُلنِي، اللَّهُمَّ لا تَتِرْنِي، اللَّهُمَّ أَنْشُدك مَا وَعَدْتَنِي». وعند الطّبراني بإسنادٍ حسن عن ابن مسعود قال: ما سَمِعْنا مُنَاشِداً يَنْشُدُ ضَالَّة أَشَدَّ مُنَاشَدَة مِنْ مُحَمَّد لِرَبِّهِ يوم بدْر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدك مَا وَعَدْتَنِي»[٤].

وهكذا الصّحابة كانوا رضوان الله تعالى عليهم يستغيثون ربهم سبحانه، ويستنزلون نصره بالدّعاء والتّضرّع أيضاً، وقد قال الله تعالى عن حالهم في غزوة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. قال ابن جرير: «ومعنى قوله (تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنّصر عليهم»[٥]. وقال السّعدي: «أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربّكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم (فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ) وأغاثكم بعدّة أمور»[٦]. ومن المعلوم يقيناً أن النصر من عند الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ولذلك كان النبي ﷺ في غزواته كلّها شديد الاجتهاد في الدعاء لربه بطلب النّصر، وفي ذلك تربية للصّحابة رضوان الله عليهم، ونحن من بعدهم.



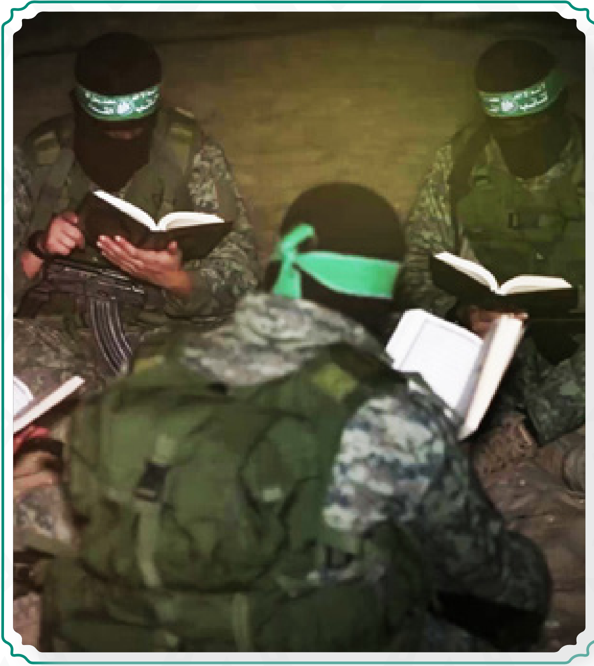
على أنّ الدّعاء في الجهاد والحروب، مع الأخذ بالأسباب وإعداد العدة: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، من أسباب النصر على الأعداء، فلا يُهوَّن

٤ فتح الباري (٧/ ٢٨٨).

٥ تفسير الطبري (١٣/٤٠٩).

٦ تفسير الكريم الرحمن للسعدي (١/٣١٦).

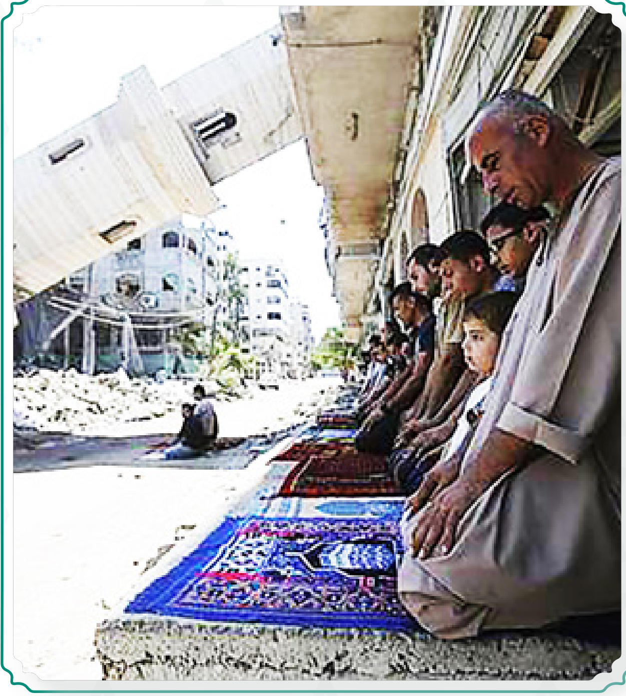
من أمره، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الدعاء هو العبادة». ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][٧].



ولقد كان ﷺ يعرف أقواماً بتثويرهم آيات القرءان آناء اللَّيل وأطراف النهار، حينما ينزلون منازلهم، عاكفين على تلاوة كتاب الله يتزوّدون من نوره وهداه، خاشعة قلوبهم، مطمئنة نفوسهم بما يلاقونه مع أعدائهم ابتغاء نصر مجيد، أو استشهاد في سبيل رب العبيد، فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ [أَوْ قَالَ: العَدُوَّ] قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ»[٨]. يعني: أنه ﷺ يعرف محلّ نزول الأشعريين في الليل برفع أصواتهم في قراءة القرآن، وإن لَمْ يرَهم في النهار حين ينزلون تلك المنازل، والله تعالى أعلم.

ولا تزال الأمّة تعتقد في صالحي الأمة من ضعفائها أنّهم مادّة النّصر والخير، وسر من أسرار الظفر والنصر، فلذلك أوصانا بهم النبي ﷺ خيراً، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ». وعند النّسائي: مصعب بن

٧ رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
٨ البخاري (٤٢٣٢)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، رقم (٢٤٩٩).



سعد عن أبيه: أنّه ظن أن له فضلاً على مَن دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تُنصرون إلاّ بضعفائكم». زاد النسائي: «بدعوتهم وصلاتهم لإخلاصِهم»[9].

قال الحافظ في (الفتح): «قال ابن بطال: تأويلُ الحديثِ أن الضعفاء أشدُّ إخلاصاً في الدعاء، وأكثرُ خشوعاً في العبادة لِخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا. وقال المهلبُ: أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع ونَفْي الزُّهُو على غيره، وتركِ احتقار المسلم في كلّ حالة». ثمّ أورد الحافظ حديث (المسند) وجمع بينه وبين حديث البخاري وقال: «فالمرادُ بالفضل إرادة الزّيادة من الغنيمة، فأعلمه ﷺ أن سهامَ المقاتلة سواء، فإن كان القوي يترجح بفضل شجاعته، فإنّ الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه»[10].

وهذا محمد بن واسع (٤٠-١٢٣) رحمه الله، رجل من سادات قومه الأزد، وقد ساد في البصرة زمنًا، وهو من التّابعين العابدين الثقات، الذين اجتمع فيهم من الصلاح والخير والعبادة والعلم، وكان من صلاحه تفقده في معارك المسلمين طلباً لدعائه وقربه من ربه سبحانه، يقول الأصمعي: «لما صافّ قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة يبصبص بإصبعه نحو السّماء، فقال قتيبة: تلك الأصبع الفاردة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير، فلما فتح عليهم، قال له: ما كنت

---

٩ النسائي (٣١٧٨) وصححه الألباني.

١٠ الحافظ في (الفتح)، (٦/٨٩).

تصنع في وقت التحام المعركة حينما كنت ترفع أصبعك نحو السّماء؟ فقال: إني أطالب الله عز وجل بهذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]».

إن رفع أصبع هذا الرجل الصّالح أفضل من ألف مدفع، ومن راجمات الصّواريخ، وطائرات الحديد، لا سيما حينما يصحبها الإخلاص والإخبات وإظهار الضعف لصاحب الملكوت. إنَّ تكبيرة واحدة من فم المجاهد الصنديد تطير منها عقول الأعداء، وتجثو أمام قوتها أكبر القوة الماديّة، ولقد سُئل أحد الجنود الرُّوس في أفغانستان فقيل له: ما أشدّ شيء كان يؤثر عليكم؟ فقال: تكبير المجاهدين، إذا كبّر أحدهم بال الواحد منّا في سراويله. لقد أمر الله أهل الجهاد أن يكثروا من ذكر الله تثبيتاً للنفوس وصقلاً للقلوب، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقفْ عند قوله تعالى: (واذكروا اللهَ كثيراً)، إنّ هناك اقتراناً واضِحاً بين الحثِّ على الثَّباتِ، وبين الحثّ على ذكر الله سبحانه وتعالى، ذكر الله حياة للقلوب، ذكر الله سبحانه وتعالى نورٌ للقلوب والأفئدة، وللأبصار والبصائر، هل نتصوّر أن يثبت في المعركة مَن كان قلبه ميتاً؟ مَن كان قلبه مُعرضاً عن الله؟ مَن كان قلبه في حالة غفلة عن الله سبحانه وتعالى؟! أبداً! إذاً الذين يثبتون في المعركة لا بد أن تكون قلوبهم منوّرة بذكر الله، عامرة بالإيمان؛ لأن ذكر الله جِلاءٌ لِما في الصدور، جِلاء للهموم والأحزان،



ذهابٌ لكل الضيق الذي يعيش في صدر بعض الناس، والله سبحانه وتعالى عندما أمَرنا أن نذكره كذكرِنا آباءَنا أو أشدّ ذكراً، فلكي يعيش المؤمن حالةَ تواصلٍ مع الله سبحانه وتعالى، لذلك هدّدَنا: إذا أعرضنا عن ذكر الله بالمعيشة الضَّنك، بمعيشة المشقة والشدة والكآبة والقلق والاضطراب: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

إذاً.. من يثبُت في المعركة ينبغي أن يكون من أهل الذكر، ومن أهل القرآن، ومن أهل الاستقامة، ومن أهل قيام الليل، ومن أهل التّهجد في الأسحار، ومن أهل التّلذذ في خطاب الحقّ سبحانه وتعالى. ألم نسمع أن أولياء الله الصالحين قالوا عن أنفسهم وهم يصفون حالة التذوّق وحالة التلذذ التي يعيشونها مع الله سبحانه وتعالى: «نحن في لَذّةٍ لو عرفها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف»؟ ولقد كان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى يتفقّد أحوال جيشه بالليل في خيامهم، فإذا سمع دوي القرآن حمد الله ودعا الله أن يثبّتهم، وإذا وجد أحوال بعض الخيام تغطّ في غفلة ونوم، وقف وقال: «من هاهنا يأتي العدو».

إن الزاد الروحي هو عدة من أقوى العدد لمجابهة العدو المتربص بالأمة، وهو البناء الحقيقي لأفراد المجتمع الذي يرنو إلى تحقيق إقامة شرع الله الحكيم. ولئن كانت الطاعات سبباً للنصر وهزيمة للأعداء فإن المعاصي سبب الخذلان، وفي غزوة أحد عبرة ودرس عظيم ينبغي على المجاهد قراءاته بنياط القلب لا بإنسان العين وأسلة اللسان، والله المولى ونعم النصير.

بين مواثيقنا
ومواثيق العالم الآخر



د. أيمن الجمال

عضو مجلس أمناء المجلس الإسلامي السوري

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فما أسرع ما يتكشّف للعاقل زيف المبطلين وتحريفهم وانتحالهم، ولا يصمد في ميزان عقله أيّ تناقض بين القول والفعل، ولا يستقيم في نظره أن يرى من يقول ولا يفعل، ويكبر عنده مقتاً أن يشاهد مَن يجتهد في نقض غزله من بعد قوّة ظاهرية أنكاثًا!



كذبة حقوق الإنسان في العالم الغربيّ



يخبرنا القرآن الكريم عن قبح طويّة العالم الغربي التي ما يزال يُظهرها في كلّ معركة من معارك الأمة، وفي كلّ موقف من المواقف التي يتغنّى بالعناية بها نظريًّا، فها هو يرى النساء والأطفال يُقتلون ويُشرّدون ولا يَهتزّ له جفن، ولا يُلقي لهم بالاً، فلم نرَ مطالباتٍ بحفظ حقوق هؤلاء الأطفال، ولا بإيقاف القصف العشوائيّ لأجلهم، ولا للسماح لهم بالخروج من المناطق المحاصرة، أو بفتح المستشفيات الخاصة بتضميد جروح أبدانهم، ولا بإيصال الدواء إليهم، لم نرَ منظّمة نسويّة واحدة تفتح فمها مطالبة أن يمكّنوا الغزاويات من مصادر المياه أو موارد الغذاء، لم نرَ من المطالبين بحقوق الإنسان مَن طالب بحقوق المرضى المزمنين أو المعوّقين ذهنياً مِن المجانين ومن في حكمهم.

أثبت العالم الغربيّ أنّ حقوق الإنسان عندهم لهم، ومسخّرة ضدّ ديننا وشريعتنا ومقدّساتنا، وأنّه مجرّد صنمٍ يأكل نفسَه، ويأكله أتباعه حين يتعلّق الأمر بأمّتنا، فحين يتعلّق الأمر بإحراق القرآن وتدنيسه يتناسون كلّ أدبيّاتهم ولطفهم المزعوم، وحين يتحدّثون عن بلادنا يتّخذون كلّ وثائقهم ومعاهداتهم وقوانينهم وراءهم ظهريًّا، فقد شهدنا من يقول إنه يريد مسح مدن كاملة من الخريطة فيهدم بنيانها ويهجّر سكّانها بحجج «رومانسية» مثل أن يرى المحتلّون البحر!

منهج التعامل مع أعدائنا في القرآن وسيرة الحبيب ﷺ



في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى يخبرنا سبحانه عن طويّتهم، ويعلّمنا منهج التعامل معهم، ويوضّح لنا أهدافهم، وينبغي أن نتّخذ من هذه الآيات منهجًا في نظرنا إليهم، فالأصل في علاقتهم بنا العداوة وإرادة السوء لنا والمكر بنا والكيد لنا، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].. ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا...﴾ [النمل: ٥٠].. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟...﴾ [المائدة: ٨٢].. ومن المشركين: المتنسبون إلى النصرانيّة من المثلّثين في إلههم الذي يعبدونه!

وكذلك نجد في سيرة الحبيب ﷺ مواقف واضحة من المفاصلة مع المشركين، والبراء من الكافرين، ووضوح الرؤية في التعامل معهم، والقسوة في موضعها مع كبار أئمة الكفر ومع المجرمين منهم ومع الذين لهم شوكة يؤذون بها المؤمنين، وكما نجد في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ من اللين في موضعه مع من يُرجى إيمانه أو مَن لا تكون له شوكة أو لا يؤذي المؤمنين ما يدلّنا على منهجٍ متوازنٍ يفرّق بين المسيئين وغيرهم، ويميّز بين المنعزلين في صوامعهم وبيوتهم ومزارعهم من أصحاب الأرض الأصليين وبين المحاربين والمحتلّين والمقاتلين، فيرأف بالأولين ويأخذ الآخرين بلا رأفة في دين الله تعالى.

ولا ريب أنّه قد يوجد في الغربيين اليوم بعض الذين لا يرتضون مثل هذه السياسات الجائرة مع المسلمين المسيئة لهم بناء على دينهم وإن كانوا أطفالاً أو نساء، ولكنّ الغالب الأعمّ فيهم: أولئك الذين

وصفَهم القرآن بعداوتنا والكيد لنا، ومن الغربيين من يظنون أنّ من وضعوا تلك القوانين أراد تطبيقها علينا كما أرادها عليهم، وأراد مصلحة الأمم بها، لكنّ هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الأنظمة والقائمين عليها في تلك المجتمعات، وتسليطها للطغاة والمجرمين وتمكينها للمستبدّين ليحكموا أمم الأرض من غيرهم، ويستأثروا بموارد تلك الأمم فيسرقونها ويرسلونها إلى العالم الغربيّ.

إنّ التعامل مع العالم الغربيّ ببراءة أو حسن ظنّ خلاف المنهج القرآنيّ الواضح، الذي يأمرنا أن نتّخذ العدوّ عدوًّا: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وقد أخبر سبحانه أنّ ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ومفهوم اتّخاذ العدوّ يوجب ألا نأمن كيده أو مكره، وألا نغفل عن مخطّطاته وتدبيره، وأن تكون لنا خطط مقابلة تردّ كيده بالاعتماد على الله تعالى، وأن نجتهد في التعرّف إلى مشاريعه، وأن نقاطع منتجاته الفكرية كما نقاطع منتجاته المادّيّة.

إنّ من أهمّ ما يخطّط له أعداؤنا صدّنا عن دين الإسلام وردّنا عنه، وذلك لأنّ المشروع الإسلاميّ بما يحمله من أفكار وقيم وأخلاق ومبادئ يمنع التجاوب مع المشروع الغربيّ بما يحمله من مهلكات وسفاسف وسخافات وانحلالات، فلا يمكن أن يُقبَل في المشروع الإسلاميّ الإلحاد وإنكار الخالق وحقوقه، ولا الشذوذ وما بُني عليه، ولا المادّيّة ولا إنكار الآخرة، ولا يقف في وجه المشروع الغربيّ مشروعٌ آخر لا شيوعيّ ولا رأسماليّ ولا ليبراليّ ولا علمانيّ ولا بوذيّ ولا متديّن بدين آخر سوى دين الإسلام! فكلّها لا ثوابت حقيقية لديها، ولا رسالة سماوية قطعيّة فطريّة تفخر بها، ولا انتماء تراثيّ إلى منهجيّة يقيها من الانحلال والذوبان في أسانة المشروع الغربيّ.



لا يسعى العالم الغربيّ بالضرورة لتنصيرنا، بل هدفه المحقّق صدّنا عن الإسلام، وردّنا عنه، وإبعادنا عن قيمه وأخلاقه، وعن الانتماء إليه بأفكاره، ويرى كثيرون من المفكّرين الغربيّين أن إدخالنا في النصرانية فخر لنا لا نستحقّه، ولذلك فإنّ المطلوب إبعادنا عن الإسلام لا إدخالنا في النصرانية، فهم يريدون من المسلم أن يبقى معلّقًا في الهواء تتجاذبه أفكار البشر التي يزعمونها صالحة لإدارة الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [سورة البقرة: ٢١٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، إنّهم يريدون من استعباده والسيطرة عليه أن يكون إنسانًا مؤتمِراً بأوامرهم يسير وراء تحقيق رغباتهم وشهواتهم لا رغبات نفسه وروحه ولا حتى رغبات جسده، ولذلك روّجوا للوجبات السريعة في الطعام والمقاطع المرئيّة وطريقة طلب العلم، وزهّدوا الناس في الطرق التقليدية التي تزرع فيهم بذرة المعرفة بالطرق السليمة وتمنع من الانحدار إلى مستوى التلقّي غير المسؤول، وقبول كلّ ما يتناقل عبر وسائل التواصل والمعرفة الموهومة المعاصرة.



إنّ الإسلام الذي يقرّر حقوقًا عادلة للإنسان ذكرًا كان أو أنثى، صغيرًا أو كبيرًا، محاربًا أو مدنيًّا، يراعي في قوانينه حالة الحرب والسلم، ويضع قوانين مناسبة لكل حالة منهما، وينظّم علاقة المتحاربين فيما بينهم بحيث لا يعتدي أحدهما على الآخر اعتداء يؤذي فيه الضعَفة من النساء والأطفال والمزمنين وكبار السن وغير العقلاء!

من أعدائه، وهي الحقوق التي يجب أن يتعلّم منها العالم الغربيّ، وهي الحقوق التي طبّقها المجاهدون في غزّة حين أسروا النساء والأطفال والعاجزين والمرضى فاهتمّوا بصحّتهم ولم يؤذوهم في خاصّتهم جسدياً ولا نفسياً، ولا في حيواناتهم الأليفة التي يربّونها! فأين هذا من تعامل الأعداء معنا؟

إنّ ما يصدّره إلينا العالم الغربيّ من منتجات فكريّة ملوّثة تسعى للقضاء علينا وردّنا عن ديننا، ومن ذلك المواثيق والمعاهدات الدولية، أو القوانين واللوائح والتوصيات وكل ذلك لا يريد منه العالم الغربيّ يقيناً نفع هذه الأمّة وأبناءها، ومن الواجب، أن نتعامل مع منتجاته كلّها وفق المبادئ القرآنية التي علّمنا الله إيّاها للتعامل مع الأعداء، ووفق سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، ومن الواجب أن يكون لنا مواثيقنا الخاصة نري العالم بها سبق ديننا الحنيف وتفوّقه البالغ على كلّ ما في الأرض من نظمٍ ومواثيق، ويجب أن ندفع العالم للتوافق على هذه المواثيق، والنزول عليها، فهي مستمدّة من شرع الله تعالى، وهو الخير كل الخير للبشريّة كلّها.





بين زيَف العلمانية
وربانيّة الخلافة الإسلامية



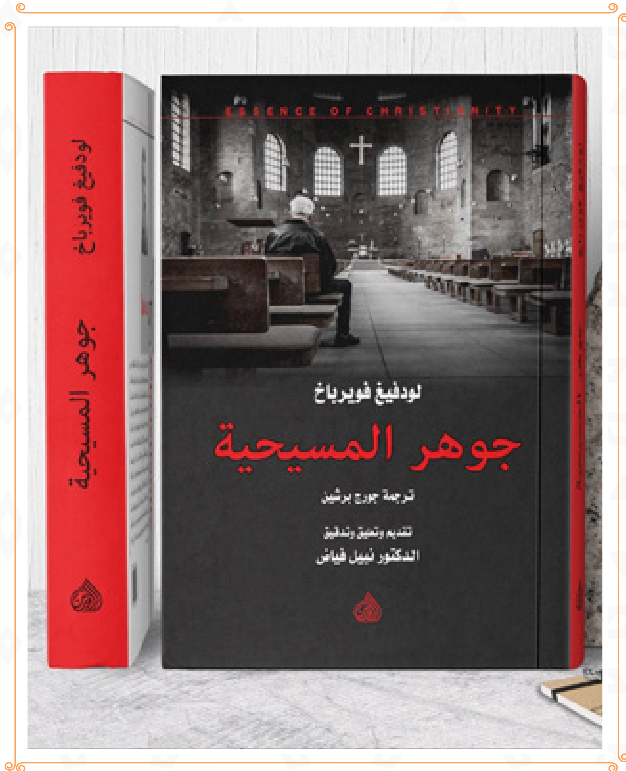
بادية شكاط

أمين عام منظمة (إعلاميون حول العالم) بالنمسا

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وبعد:

لقد أصبح استدعاء أمتنا الإسلامية لكل ما هو أيديولوجية غربية معضلة حقيقية، تحتاج منا إلى أن نتوقف عن الانجراف في سياقات لا تعنينا، وكأننا أمة قد نفد رصيدها الفكري وأطفئ سراجها الحضاري وباتت قاب قوسين أو أدنى من الانحلال والاضمحلال في دوائر غربية، تلك الدوائر التي لا يمكنها أن تَسبَح في فلكها إلا إذا أرادت أن تحرق هويتها، وتنسلخ من عقيدتها، فهل أصبحت يا ترى عقدتنا في عقيدتنا؟

فمصطلح كمصطلح العلمانية بما يعنيه من فصل للدين عن الدولة، ما كان ينبغي طرحه في ساحتنا الإسلامية، كونه وليد تجربة غربية خالصة، وكوننا أصحاب مرجعية إسلامية لم تستند في بناء حضارتها الإسلامية إلى أي علمانية. فكيف أصبح الدخيل علينا أصيلاً فينا؟ وكيف أصبحنا نتلقّى الأفكار الغربية بكل تسليم دون غربلة العليل منها من السليم؟ فِمن بين القناعات التي لم يكن يَرقى إليها كثيرٌ من الشكِّ لدى مفكِّري الدول الغربية في القرن التاسع عشر أنَّ المكانة المركزية التي يَحتلها الدين في الثقافة والمجتمع قد غدت شيئًا بدائيًا، إذ عدّ هيغل ومَن قبلَه من مفكِّري عصر التنوير أنَّ العقل بذكائه المتفوِّق قد تخطَّى الدين، في حين صوَّر فويرباخ في كتابه جوهر المسيحية (١٨٤١) علاقةَ الإنسان بالألوهية على أنها لعبةُ قوًى محصِّلتها الصفر، ورأى أنَّ الإلحاح على الإيمان والتقوى يَنتقِص من رفعة الغايات الإنسانية، فظهرت بذلك تيارات الحداثة الثلاثة الرئيسية وهي:



- التيار الأول: النقد الماركسي بزعامة كارل ماركس، الذي رأى أنَّ الإنسان بوصفِه عالم الإنسان والدولة والمجتمع، هو الذي يَخلق الدين بوصفه الوعي المقلوب لعالم مقلوب، وليس الدين هو الذي يخلق الإنسان، ذلك أن الدِّين -في نظره- هو: «**زفرة المخلوق المضطهَد، قلبُ عالم بلا قلب، وروح عالم بلا روح، الدين أفيون الشعوب**»، وهذا ما يقتضي -حسب رأيه- إلغاء الدِّين كسعادة وهمية من أجل سعادة البشر الواقعية، لا بنَقدِ الدين واللاهوت، بل بنقد الأرض والحق والسياسة التي تخلق الدين واللاهوت.



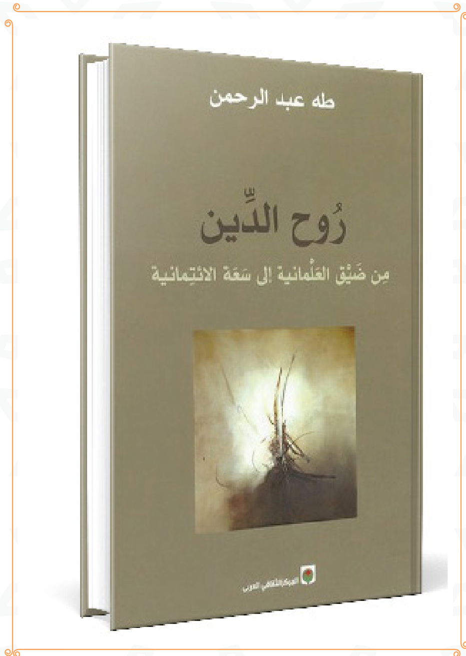
أما التيار الثاني: فهو الجينالوجية النيتشوية، وهي ما أعلنه نيتشه على لسان زرادشت، ووصَفَ المسيحية بأنها «أخلاقية العبيد»، أو مَنظومة اعتقادية عامية تلائم الخانعين الجبناء، ولم يقوّض من بين ممثلي المسيحية سوى أولئك الذين وجدوا متعة بالغةً في وقوفهم أمام محاكم التفتيش التي كانت تأمُر بإحراقهم، فنظَر هذا الأخير بازدراء كبير إلى الدين، ورأى أنه مجرَّد ملجأ للضعف وعقبة في طريق السوبر مان.

ثم تناول بعد ذلك الفيلسوف دريدا -من خلال مساحة واسعة من التفكيك- تلك التيارات في بُعدِها الإيماني والباطني فالعهدي. فمن هيغل إلى دريدا بقيت فكرة العلمانية وفصل الدين عن الدولة الحل البديل للتحرر من أهوال حكم كهنوتي تشيب له نواصي الولدان.

ففي الوقت الذي تعدّ المسيحية مثلاً مملكة السماء منفصلة عن مملكة الأرض، فإن الإسلام يجعل من الإنسان خليفة الله في الأرض، وكذلك في الوقت الذي ترى فيه المسيحية ضرورة أن لا يقاوم الإنسان الشرور التي تصيبه من الآخرين، حيث ذكر ذلك الإنجيل متّى على لسان المسيح قائلاً: **«لا تقاوموا من يسيء إليكم»** فإن الإسلام الحنيف بالمقابل يقول في كتابه الحكيم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡىُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]. ولقد كانت للعديد من فقهاء الإسلام ومشايخهم انتقادات للعلمانية، خاصة منهم من عاشوا في الغرب، **كالشيخ رفاعة الطهطاوي رحمه الله، الذي انتقد بشدة عدوان القانون الفرنسي العلماني على الفقه الإسلامي، فقال:** «إن لأهل أوروبا في العلوم الحكمية (الفلسفية) حشوات ضلالية مخالفة

لسائر الكتب السماوية، وكتب هذه الفلسفة محشوة بكثير من البدع... وإن بحر الشريعة الغراء، على تفرع مشارعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأحياها بالسقي والري، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية؛ لأنها أصل وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع».

غير أنَّ الدول الإسلامية راحت تمجِّد مِن غير فهم للمسببات، ولا وعيٍ بالإشكالات هاتِهِ الأيديولوجيات، وصارت منقسمةً بين علمانيِّين يُريدون فصل الدين عن الدولة، وآخرين يريدونها دولة دينية، فكان للأسف كلا الفريقين على ضلالة، ذلك أن العلمانية هي نتيجة تجربة تخصُّ الغرب وحده، كما أنها تَقتضي -كما بيَّن طه عبد الرحمن للواقع ولما هو واقع- الإفادة بأنَّ الدِّين شيء والدولة شيء آخر، فيكون الدين هو ما يتعلَّق بالمعتقدات الخاصة، والدولة هي ما ارتَبط بتدبير المعاملات العامة، في حين أنَّ الدين هو نهج تدبيري للسلوك في الحياة، متكامل العناصر ومُتداخِل الجوانب، أمَّا أهل التأسيس القائلون بدمج الدين في السياسة، فهم كما **قال طه عبد الرحمن أيضًا:** «هم الإسلاميون قولاً، العلمانيون فعلاً»، فانحصَرَ الدِّين عندهم في جملة شعائر وطقوس، وجعلوه تابعًا للسياسة، ولو كان ذلك مخالفًا للشريعة، فكان دمجهم للدين في السياسة هو من أجل خدمة أغراض تسييسية تُتيح للدولة السيطرة على المواطنين دون رقابة، فتجعل الأحكام التشريعية على مقاساتها. **أو كما قال طه عبد الرحمن أيضاً في كتابه (روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية):** «تدبير للدين يخدم أغراض التسيد، لا أهداف التعبّد».



فكانت تشريعاتهم أكثر علمانية من الدول العلمانية، كما نلاحظه في بعض التشريعات التي هدمت نواة مجتمعاتنا الإسلامية، ففككت الأسرة بقوانين تخلع عن الرجل القوامة، لتقيم للمرأة حقوقاً تسلبها كامل الحقوق، خاصة ما أعطاها الإسلام من عزة وكرامة، فظهرت لتحقيق ذلك بعض الظواهر الصوتية كتلك التي يدعونها «الفيمينيست» لتشويه الفطرة البشرية، فحثت مثلاً على تمرد الزوجة على زوجها لحفظ إنسانيتها، كما حثت الزوج على إطلاق حريتها، وكل ذلك إنما هو لهدم وتفكيك أسرة إسلامية بُنيت على أواصر وشيجة من المودة والرحمة.

كما أنَّ فكرة إقحام الدين في السياسة وهي تفنِّد العلمانية وتريد أن تكون بديلاً عنها هي في الحقيقة تُثبتها من حيث أرادت نفيها؛ لأنه لا يُراد إثبات عكس الشيء ونقيضه إلا إذا كان ذاك الشيء موجودًا على الحقيقة؛ إذ العلمانية غير موجودة أصلاً، بل هي فكر على دولنا دخيل، وليس له أي قواعد أو أصول، إنما هو مجرد خبَلٍ ينبغي أن يزول، فما كان يومًا الدين مُنفصلاً عن السياسة، وفكرة ضم الدين للسياسة في الدول الإسلامية أشبه تمامًا لفكرة ضم الأبجدية إلى اللغة. **يقول المفكر محمد عمارة:** «قد تكون العلمانية مبررة في الغرب، لأن المسيحية رسالة روحية، ووظيفة كأسها خلاص الروح وليست دولة، ولكن إذا كان إسلامنا دينًا ودولة، فكيف تُبرر هذه العلمانية؟ وهل نحن قردة ترقص على أنغام الآخرين، أم أمة لها شخصيتها ومثّلت العالم الأول في الدنيا لأكثر من عشرة قرون؟»».

ثم علينا غربلة المفاهيم التي تخلط بين الدولة الدينية والدولة الإسلامية، فالدولة الدينية هي دولة تقوم على الشريعة، إنما المستخلَف في تطبيق الشريعة ليس الأمة بل الحاكم، تمامًا كنظام ولاية الفقيه بإيران، بينما الدولة الإسلامية هي دولة تقوم على الشريعة إنما المستخلَف في تطبيق الشريعة ليس الحاكم بل الأمة، والأمة في الدولة الإسلامية تختاره وتعزله أيضًا.

إشكال لدى رافضي الدولة المدنية



وهنا يقع إشكال كبير لدى رافضي الدولة المدنية، **فيقال:** كيف يمكن أن تكون دولة مدنية إسلامية، إذا كانت جذور الدولة المدنية في الأصل راسخة في التربة الغربية؟ ونجيب بمنطق بسيط أنّ كل متأمل للدولة المدنية يرى أن أسسها لا تتعارض مع القيم الإسلامية، إنما هي لا تتوافق مع المسيحية الكهنوتية، فمثلاً قيمة الحرية، ألم يدْعُ الإسلام إلى الحرية فقال الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الكهف: ٢٩]؟

ألم يدْعُ إلى العدالة والمساواة وكان ضد العنصرية التي تضج بضدها اليوم الشوارع الأمريكية والأوروبية؟

فقال رسول هذا الدين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، حين خَطَبَ أصحابَه في حَجَّةِ الْوَداعِ: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ ربَّكم واحِدٌ»، فقدَّم النَّبيُّ ﷺ بهذا الكلام؛ لأنه أراد أنْ يَنفي فضل البعض على البعض بالحسَب والنَّسب، كما هو في زمن الجاهليَّة؛ لأنّه إذا كان الرَّبُّ واحدًا، لم يَبْقَ فضلِ بغيرِ التّقوى مُوجَب، ثم قال: «ألَا لا فضْلَ لعرَبيٍ على أعجَميٍّ»، والأعجميّ هو الذي لا يَتكلَّمُ العربيَّةَ، «ولا لعَجَميٍّ على عَرَبِيٍّ، ولا لأحمَرَ على أسْوَدَ، ولا لأسْوَدَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوى». أي: لا فضل لإنسان على آخر إلا بتقوى اللهِ عزَّ وجلّ.

ألم يكن الإسلام هو الداعي لعدم استبدادية الحاكم، فقال الله تبارك وتعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو يقص القصص عن فرعون وجنوده: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا

مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. فبيّن تفاصيل السيكولوجية الاستبدادية، التي ترى أن رأيها هو الأحق بالاتباع، وتسقِط جام فسادها على غيرها، فتلصق الفساد بمن يأبى الاستبداد ويرفض الفساد. حتى بلغ بفرعون الأمر أن يطالب بقتل النبي موسى عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦]. فكانت إذن قيَم الدولة المدنيّة الغربية لا تختلف في شيء عن القيم الإسلامية، إما بالفطرة اهتداءً، أو إعجابًا بقيم هذا الدين واقتداءً.



فمن يعتقد أن الدولة المدنية في الدول الإسلامية، تقتضي استبعاد كامل للدين فقد جانب الصواب، إذ كيف يمكن أن تستبعدها وهي توافقها؟ يقول **الشيخ العلامة محمد الغزالي**: «إذا كانت السنة النبوية هي التجسيد والتطبيق للبلاغ القرآني، إذن إسلامنا علّمنا أن محمدًا ﷺ أقام دولة، وأنّ الدولة واجب مدني دونه يستحيل إقامة الواجب الديني». وقال رحمه الله: «حضارة الغرب ما استقامت إلا بمواريث الدولة الإسلامية».

«إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»

نحن جميعاً نعلم أنّ رسالة الإسلام طافحة بالقيم الأخلاقية، بما فيها قيمة الحرية التي سبقت الإشارة إليها، قال النبي ﷺ: «إنما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق». أي أنّ الإسلام جاء ليتمّم المكارم التي جُبل عليها الإنسان بأخرى غير مجبول عليها؛ كالحرية، فهذه الأخيرة كثيرًا ما نرى الإنسان يُجرِّد

منها قبل حتى أن تستوعِب رئتاه هواء هذا العالم، فيولَد مطوَّقًا بسلطات عليا كتلك التي في الجاهلية، وما تعلّق منها بوأد البنات، حيث تُكبَّل الفتاة بحتمية جنسها بسلطة عليا مستبدة، تُنهي إلى الأبد حياتها، يقول عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩]، وكأنّ الله جلّ وعز بقوله: «بأيّ ذنب» أراد تنبيهنا إلى قيمة أخرى جعلها السبب الأول في إرسال رسولنا محمد ﷺ، وهي قيمة «الرحمة»، قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]؛ فإذا كانت الأخلاق برأينا طائرًا، فإن جناحه الأول هو الرحمة، وجناحه الثاني هو الحرية.

إذ لا يمكن أن تتحقق الحرية بقيمها السامقة بعيدًا عن الرحمة، فلا معنى مثلاً لتلك الحرية الغربية التي تعيث في الأرض فسادًا بدعوى ممارسة للسلطة بكل حرية، فمكّنت لنفسها حق (الفيتو) وحكمت العالم بأن جعلت لنفسها دون دول العالم حق التصويت على ما يحكم العالم، فنرى مثلاً أمريكا تصوّت لأجل استمرار الحرب الفظيعة في غزة بما فيها من جرائم حربية كرجم مدنيين عزّل، أكثرهم نساء وأطفال بصواريخ وقاذفات فوسفورية، بدعوى الممارسة لسلطاتها الأممية بكل حرية. فأصبحت بذلك حاجة العالم ملحة لضبط حدود الحرية، كي لا تخضع لطغيان الأهواء التي لا حدّ لها ولا اكتفاء، والرحمة هي أحد تلك المَسدّات التي ستضرب على يد الظالم فتردعه عن الفساد، وتمنع القويّ من الاستبداد، والغني من الاستعباد، والكبير من أن يستكبر، والحاكم من أن يتجبّر.



ففكرة العلمانية إذن لن تكون أبدًا هي ما يجعل الدول الغربية دولاً ديمقراطية، تتمتع بالتعايش السلمي كما هو ظاهر الأمر، بل على العكس من ذلك تمامًا، ستبقى تلك الدول تعاني الاستبداد سواء في فضاءات سياساتها الداخلية أو الخارجية، لأنها لم تتعرّف بعد إلى المعنى الحقيقي للدِّين الذي يربط الحرية بالرحمة، فإذا ما أرادت الشعوب نظام حكم رشيد، فهي بحاجة لتفعيل الديمقراطية التي تؤهّل الشعب لاختيار الحاكم الذي يريد، شرط أن يكون هذا الحاكم ذا قدَم راسخة في تربة القيم الأخلاقية، فلا يسلب الشعب حرية التعبير، ولا ينفرد بالحكم وكأنه بكل شيء عليم، ولا يتولى السلطة والقضاء، وكأنه على كل شيء قدير. أما ما تعلّق بالحاكم غير المسلم فلكلٍّ من الدول الغربية والدول الإسلامية شأن يغنيه، فلا تتدخل الدول الإسلامية في غيرها باسم أنّ الإسلام للناس كافة، بل عليها أن تكتفي بتطبيق ما يناسبها من أنظمة حاكمة، دون أن تلتفت إلى يمين أو يسار الأنظمة الغربية، وفي المقابل لن تكون الدول الإسلامية مُلزَمة بالانحناء للدول الغربية بتبني العلمانية. فيكون بذلك لكل نظام حكم إسلامي دائرتان يسبح في فلكهما: الدائرة الأولى هي دائرة الحكم الداخلي التي تكون إسلامية، والدائرة الثانية هي دائرة الحكم الخارجي والتي تكون علمانية.

فلا تتدخل إيران مثلاً في الدول الإسلامية بهدم المساجد وتحويلها إلى مزارات حسينية، ولا في تغيير شعيرة من الشعائر الدينية، ولا أمريكا بما نشهده من تناقض رهيب في سياستها، خاصة وأنها من أبرز الدول الموظفة للدين في سياستها الخارجية، رغم أنّ نظامها الدستوري ينص على فصل الدين عن الدولة؛ ففي عام ١٩٨٩م صدر تشريع من الكونغرس بإنشاء منصب سفير متجوّل للحريات الدينية، وكذلك أسست الهيئة


رشاد حسين سفيرًا متجولًا للجنة الأميركية للحرية الدينية الدولية.

الأمريكية للحريات الدينية، إلى جانب الثورة الإسلامية الإيرانية التي راحت تمدد خارجياً بغرس طائفة الشيعة في المناطق السنية.

أما ما تعلق بالأمور الاقتصادية والمعاملات الدبلوماسية، ففي ذلك سَعة من المواثيق الدولية، والتي وإن كانت علمانية، فإنها ستكون خاضعة لمرجعية معرفية بما لا يتعارض أغلبه مع المرجعية الدينية؛ فحين نخلق علمانية خارجية في علاقة الدول الإسلامية بالدول الخارجية، فإننا بذلك نفصل التعاملات الدينية عن العلاقات السياسية، بما فيها الاهتمام بالتنظيمات الإسلامية، ونجعل ذلك متعلقاً بكل دولة ومن صميم سيادتها الداخلية، فنقضي على ذريعة تدخل الدول الغربية ومحاولة فرض هيمنتها السيادية بأن تجعل مثلاً من المقاومة الإسلامية كمقاومة (حماس) الجهادية مقاومة إرهابية، وغيرها من التدخلات الخارجية في سياسات الدول الإسلامية.

هذا خلاصنا: حُكم إسلامي رشيد

وهكذا فإنّ خلاص الدول الإسلامية من تمزقاتها الداخلية إنما يكون بنظام إسلامي قائم على حاكم عادل، لا يرى إلا ما يراه شعبه، يُنتخَب منهم، ويُعزَل مِن أجلهم، كذلك تكون السلطة التشريعية فيه ذات مرجعية دينية، والقضاء فيه مفصول عن السلطة، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها سلطة الرأي، إنما لا تتدخل في الشرائع ولا العبادات، بل تكتفي بالترهيب والترغيب فيما يتصل بالشأن العام. وأما سبيل خَلاصِها إقليمياً ودولياً فهو بفرض سيادتها الخارجية، وإحاطة سلطتها بسياج متين، يمنع أي دولة من التدخل في شؤونها الداخلية، بما فيها أنظمتها الإسلامية.

دور علماء الأمة الربانيين

وعلى علماء الأمة الربانيين الذين لا يخشون في الله لومة لائم واجب إرشاد الأمة إلى حيث رشادها، فلا يتوارون خلف عدم زرع الفتنة بفتنة يزرعونها، فلن تستبين سبيل الأمة إلا ببينة ساطعة، تكشف للشعوب الإسلامية زيف الحكم الجبري الذي لن يجبر لها كسراً ولن يجعل من بعد عسرها يسراً،



كما تكشف حقيقة الدولة القومية المتوحشة التي تشكل الوحدة السياسية المركزية للنظام الدولي القائم حالياً، وزور الوثيقة الشهيرة التي كتبها فلاسفة التنوير في أعقاب الثورة الفرنسية باسم حقوق الإنسان والمواطن والتي أقرتها الأمم المتحدة فيما يُدعى بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي عالجت أزماتهم وصراعاتهم التي نأت بهم عن المواطنة والإنسانية، والتي كان المسلمون بعيدين عن أزماتها إلى أن أتت تلك التشريعات لتكون توقيعاً منها على ما ستوقعه من أزمات بداخلها، فكانت جميعها شرائع وضعية تكيل بمكيالين وتحكم بازدواجية صارخة، لا علاقة لها بالعدالة والمساواة ولا بجميع قيم الحرية والديموقراطية التي تشدقوا بها، ما يجعل من واجب العلماء والمفكرين المسلمين أن يضعوا البديل الذي يخدم الإسلام والمسلمين، ويقولوها علانية دون خشية من الذين حياتهم لا تعنيهم، بأن على المسلمين التطبيع مع أمجاد خلافتهم الإسلامية، فقد آن الأوان لنفض ما علق بنا من مذلة وهوان.

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



دورة علمية يقدمها الدكتور/ **حاتم عبدالعظيم**، تتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ، ونسبهن وإسلامهن، وقصة زواج النبي بكل واحدة منهن، وكذلك الحديث عن التعاملات الأسرية في بيوت النبي ﷺ، والقواعد النبوية لبناء البيت المسلم، كما تستهدف رد الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ، وبيان الغاية والحكمة من ذلك.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

بيوت النبي

16 محاضرة — 8 ساعات

أهداف الدورة

- التعريف بزوجات النبي ﷺ، ونسبهن.
- التعريف بقصة زواج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته.
- بيان أهم المواقف في حياة كل زوجة من زوجات النبي ﷺ.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ معه كزوج.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ فيما بينهن.
- دفع الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ.



دورة علمية قدمها ثلة من العلماء المعتبرين تتناول الحديث عن أخلاق النبي ﷺ ومعاملاته مع كافة شرائح الناس، مثل تعامله مع أهل بيته، وأصحابه وأتباعه، وكذلك مع الشرائح الدعوية المختلفة، وكيف كانت أخلاقه مع مختلف أصناف البشر، وحتى مع غير البشر، من الجن والدواب وحتى الجمادات.

أهداف الدورة

- تكوين صورة متكاملة لأخلاق النبي ﷺ، ولكيفية تعامله مع الناس جميعًا.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع أهله وأقاربه.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الدعوية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع عموم النساء وكبار السن والصغار.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع غير البشر.
- بيان مركزية الأخلاق في الإسلام.
- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- تعظيم قيمة الاقتداء بالنبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- بيان الأسس النبوية لبناء البيت المسلم.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

كيف عاملهم

22 محاضرة — 10 ساعات

الدورات العلمية القادمة



السيرة النبوية



غزوات النبي ﷺ



فقه الزكاة

لمتابعة كل جديد يرجى الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي

@ansaracademy_

مناشط الأكاديمية في شهر رمضان





أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

- ندوة هدي النبي في شعبان.
- برنامج هدي رسول الله في رمضان.
- دورة فقه الصيام.
- ندوة الاستثمار الأمثل لرمضان.
- ندوة هدي النبي في العشر الأواخر من رمضان.
- ندوة زكاة الفطر؛ الحِكَم والأحكام.

مساحة إعلانية



سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية

لأنصار النبي ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية

التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية



سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة

للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾

- السيرة النبوية الفرنسية



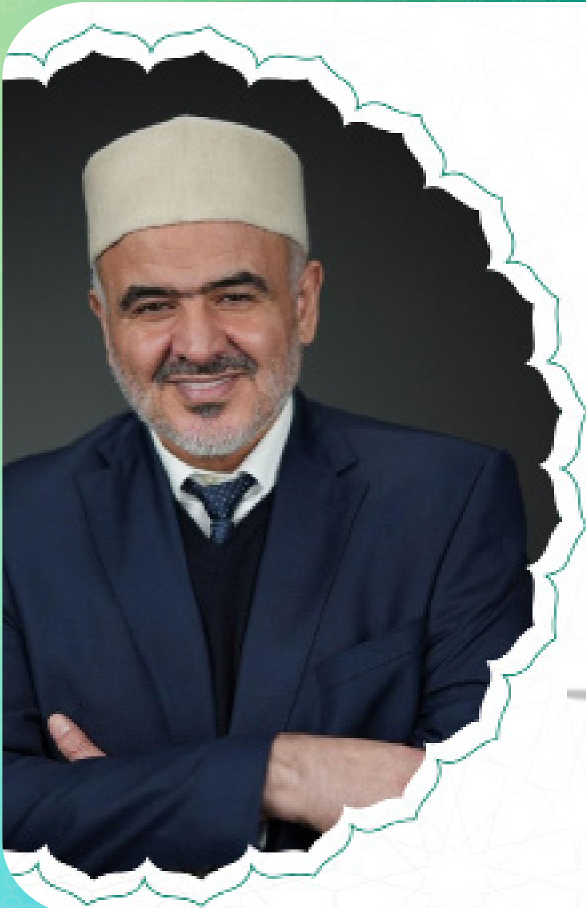
سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

 سلسلة شرح كتاب الشفا



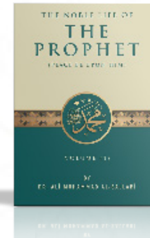
كتاب السيرة النبوية بعدة لغات

الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



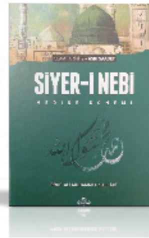
١ ٢

١ ٢ ٣



١ ٢

١ ٢


مساحة إعلانية



الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال
أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

 الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

كتاب رياض الصالحين
للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها
الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

 رابط الكتاب المسموع

 يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا

أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

•• من تراث علمائنا الراحلين ••

أينما وُجد الصهاينة
ستجد كتائب القسام



القائد الشهيد أحمد الجعبري

تقبّله الله

- يجب أن نحافظ على السلاح حتى التحرير ولن نسمح لكائن من كان أن يتطاول على سلاحنا
- صبرنا على أذى السلطة طويلاً جداً لكن كان لا بد من إيقاظهم ليعلموا أن أمامهم قوة إسلامية تستطيع أن تغير الواقع
- حتى لو عُرض علينا كل شيء سنبقى جنوداً لهذا الشعب الصابر
- ليس ضرورياً أن نرى النصر بأعيننا لكن واجبنا أن نروي النصر بدمائنا

---

* أجرى الحوار ياسر أبو هين، الشبكة الإعلامية الفلسطينية، سبتمبر ٢٠٠٩م.

في صيف عام ٢٠٠٥م، بدأ الانسحاب الصهيوني الذليل من قطاع غزة أو ما عُرف لدى إسرائيل بـ«خطة فك الارتباط»، فأُخليت المستوطنات ومعسكرات الجيش الإسرائيلي من غزة، بعد معركة (أيام الغضب) التي فشلت فيها إسرائيل في تحقيق أهدافها بمنع إطلاق الصواريخ من غزة، رغم توغل القوات الصهيونية بأكثر من مائة دبابة ميركافا تحت غطاء من أسراب طائرات الأباتشي داخل قطاع غزة واستمرت المواجهة سبعة عشر يوماً، وبعد يوم من الإخلاء بدأت احتفالات الفلسطينيين في القطاع وخرج اليهود في تظاهرات احتجاجية على هذا الانسحاب المذل. وفي هذا السياق أُجري الحوار التالي مع القائد الشهيد القسّامي أحمد الجعبري، تقبله الله:



نص الحوار

المحاور: الآن وبعد الانسحاب ما هي أولويات كتائب القسام للمرحلة القادمة في قطاع غزة؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: لكتائب القسام دور مهم في المجتمع الفلسطيني وعلى أرض الوطن، الدور والأولويات التي يوليها جهاز الكتائب بعد الانسحاب هي تطوير الذات والكفاءات والقدرات والإمكانيات وإعداد الذات جيداً حتى ننهض بجهاز عسكري قوي ومهيأ، وهذه هي أولوياتنا بعد الانسحاب. ثم إن لدينا واجباً كبيراً وهو بقية مشوار النصر والتحرير الذي بدأناه من غزة وسيستمر بإذن الله لباقي فلسطين.

المحاور: إذاً هل سيصبح قطاع غزة منطلقاً للمقاومة في أماكن أخرى مثل الضفة الغربية أو مدن الداخل؟



القائد الشهيد أحمد الجعبري: أكيد أن فلسطين كلها هي أرض واحدة، ونحن لا نفرق بين غزة والضفة وبين حيفا ويافا وتل الربيع، هي أرض فلسطين، وطالما أن هناك محتلاً واحداً على أرض فلسطين فحقنا مشروع في مقاومته حتى ندحره عن آخر هذا الوطن.

المحاور: بعد الانسحاب ما هو مصير سلاح كتائب القسام؟ وما هي مبررات الاحتفاظ به؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: سلاح كتائب الشهيد عز الدين القسام هو السلاح الذي حمى الوطن وسهر الليالي على ثغور الوطن حتى يرد العدوان عن كل غزة، هذا السلاح وهذه السواعد التي حملت السلاح يجب أن تبقى قويةً ويجب أن نحافظ على هذا السلاح وهذه السواعد حتى نكمل ونواصل مشوار التحرير ولن نسمح لكائن من كان أن يتطاول على سلاحنا أو على سواعدنا.

المحاور: كثُر الحديث من قِبل السلطة أنه لا يوجد سلاح شرعي غير سلاح المقاومة، ماذا لو حاولت السلطة نزع سلاحكم بالقوة؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: السلطة لن تستطيع أن تنزع سلاحنا بالقوة؛ لأنها لن تقدر على ذلك، هي ترغب في نزع سلاحنا ولكنها غير قادرة، ونحن سنواجه هذا بكل ما نملك وما أوتينا من قوة، وسنقف سداً منيعاً في وجه كل المؤامرات التي تحاول أن تنقض على سلاحنا.

المحاور: كيف ستواجهون ذلك؟



القائد الشهيد أحمد الجعبري: نحن لا نرغب في هذه المواجهة مع السلطة ولا نحبها، ولكن إن أرادت السلطة أن تقترب من سلاحنا فسوف تجدنا أقوياء أشداء، ولن نسمح لها ولا لغيرها بالتطاول على سلاحنا الذي حصلنا عليه بدماء الشهداء وبكل ما نملك من هنا وهناك، وزودتنا به حركتنا حتى نقوى ويصلب العود، هذا السلاح الذي واجه الاحتلال ممنوع ومحرم على أي إنسان كائن من كان أن تمتد يده إليه بالسوء.

المحاور: في حال الانسحاب وتوقف المقاومة في القطاع ألا تخشون أن يُستخدم هذا السلاح في غير هدفه أو محله؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: سواعدنا طاهرة نظيفة على مدار التاريخ والكل يعرفها ويشهد لها، هذه السواعد التي تحمل السلاح هي سواعد أمينة حملت روحها على كفها؛ فهذه السواعد ستحمي الوطن والسلاح، ولن يقبل المجاهدون أن يُستخدم السلاح في غير مكانه وسيبقى سلاح المجاهدين موجهاً فقط للاحتلال وعملائه.

المحاور: ما مصير جناح المرابطين في كتائب القسام، هل سيستمرون في عملهم؟ وهل سيتم اتباع تكتيكات مختلفة لشكل عملية الحراسة لتفادي الاحتكاك مع أجهزة الأمن (أي تقنين عدد وأماكن الرباط وجعله رمزياً)؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: سيبقى الرباط قائماً، ولكن نفكر جيداً وملياً في نقل مواقع الرباط إلى أماكن وثغور متقدمة، حتى لا نسمح للمحتل أن يتوغل أو يتقدم مرة أخرى أو يحتل أماكن ويبني مواقع له فيها، لذلك فإن المرابطين سيسدون ثغور الوطن على امتداد الحدود وأماكن التماس مع المحتلين، وسيكون لنا تكتيكنا الخاص بنا، بما يتلاءم مع طبيعة المرحلة التي يحياها شعبنا وسنتجنب أي احتكاك مع الإخوة في الأمن الوطني أو الشرطة.

المحاور: هل لديكم خطط معينة لاستيعاب هؤلاء المقاومين وتوفير حياة كريمة لهم؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: هم أصلاً يعيشون حياة كريمة وهم من أفضل أبناء الشعب الفلسطيني في حياتهم وفي رباطهم وجهادهم، وحياتهم الكريمة محفوظة ومكفولة لهم وسيبقون كما كانوا يعيشون حياة كريمة سعيدة سواء قبل أو بعد الانسحاب، فمجاهدونا ما زالوا على عهدهم، وجهازهم العسكري سيبقى على عهده أن يبقى دوماً معهم وإلى جانبهم يتحسس مشاكلهم ويسعى الى حل أي إشكالية.

المحاور: كثرت الأقاويل عن شكل احتفالات كتائب القسام بالانسحاب الإسرائيلي، ما هو شكل احتفالات الكتائب بزوال الاحتلال، وما هي حقيقة الأرقام المتداولة عن تنظيم استعراض ضخمة لعناصر القسام؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: إن شاء الله حين يندحر الاحتلال ويخرج آخر جندي عن غزة العتيدة حينها سنحتفل بالنصر والتحرير، ولا أريد الآن أن أفصح عن شكل الاحتفال ولكن أقول إنه سيكون احتفالاً مميزاً وواضحاً، وستكون احتفالاتنا تليق بما قدمنا من شهداء وجرحى وتضحيات وجهد وجهاد ورباط حتى نصل لهذا التحرير. هذه السواعد التي رابطت وجاهدت ورصدت ليل نهار والسواعد التي

نفذت العمليات ضد المحتلين هؤلاء يحق لهم الاحتفال بهذا النصر والتمكين الذي منحه الله إياها.



المحاور: هل ستدخلون المستوطنات أم هل ستتركون المشهد للأمن الفلسطيني، أم ماذا ستفعلون؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: لكل حادث حديث.

المحاور: في حال بقاء الاحتلال للبحر والجو وربما لبعض المعابر، هل سنشهد عمليات مقاومة لهذا الوجود الإسرائيلي؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: نحن نريد غزة وكل فلسطين محررة أرضاً وبحراً وجواً ومعابر، وإن بقي الاحتلال على جزء أو هامش من هذه الهوامش فمن حقنا أن نرد عليه بالشكل الذي نراه مناسباً، وكما قلعناه عن الأرض نسأل الله أن يمكننا لنرده عن الجو والمعابر إن بقي عليها.

المحاور: هل أنتم مستعدون لحدوث عملية عسكرية إسرائيلية مفاجئة قبل الانسحاب ليظهر شارون أنه انسحب منتصراً؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: صحيح.. نحن جاهزون والمرابطون على أهبة الاستعداد واستنفار دائم، وهم يحسبون حساباً لأن المحتل غادر وممكن أن يحاول أن يوهم شعبه ببعض الضربات الخاطفة، فالمرابطون على ثغور الوطن وبوابات المستوطنات، وهم يتابعون كل حركة لهم، واستعداداتهم كما كانت تماماً في شمال القطاع وغزة وخان يونس ورفح، والرباط كما هو بل في تطور من حيث الإمكانات.

المحاور: شهدت انتفاضة الأقصى إعلان كتائب القسام عن تصنيع الكثير من وسائل المقاومة أبرزها صواريخ القسام، ما هو مصير التصنيع العسكري للكتائب خاصة صواريخ القسام في غزة؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: كما أسلفت فإن الجهاز العسكري سيبقى بعافيته وبدوائره المختلفة قائماً وفاعلاً، ويسعى للتطوير والتجهيز وإكمال الاستعدادات حتى يعدّ جيش قوياً يستطيع أن يحمي وطنه وشعبه وحركته، ويردّ أي عدوان على أبناء شعبنا، ويمنع أي إنسان تسوّل له نفسه أن يواجه هذه الحركة، ونحن نرى أنه واجب شرعي علينا جميعاً أن نعد ونقوي أنفسنا، ولهذا سنحافظ على دوائرنا ونستعد حتى لا نؤخذ على حين غرة.



المحاور: بعض فصائل المقاومة أعلنت أنها تمكنت من نقل خبراتها العسكرية إلى الضفة، هل كتائب القسام تسعى لذلك؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: بالطبع! فكتائب القسام في حرب دائمة مع الاحتلال، وأينما وُجد الاحتلال فستجد كتائب القسام هناك، كتائب القسام تسعى لتجهيز وتطوير نفسها لمواجهة الاحتلال سواء في الضفة أو القدس أو أي مكان في فلسطين، لهذا نشعر بأنه واجب شرعي أن ننقل خبرتنا إلى كل أبناء فلسطين حتى يستطيعوا أن يطردوا هذا المحتل.

المحاور: هل سيتم هذا الأمر بالتنسيق بين فصائل المقاومة الأخرى؟ وما هو تقييمكم للتنسيق بين أجنحة الفصائل العسكرية؟



القائد الشهيد أحمد الجعبري: بداية ليس لدينا مانع أن يتم التنسيق مع الفصائل العسكرية التي واجهت الاحتلال وقاتلت وجاهدت وقاومت، وشاركت معنا في عمليات كثيرة، وهم إخوة لنا وأحباب على قلوبنا، نعمل معهم ويعملون معنا لأن فلسطين لكل أهلها على اختلاف أشكالهم وألوانهم، ونستطيع القول إن العلاقة ستزداد تطوراً وتوثيقاً بيننا وبين كل الشرفاء الذين حملوا السلاح لهذا الوطن حتى نواصل المشوار.

المحاور: البعض رأى في خطاب القائد العام للقسام محمد الضيف رسالة للسلطة الفلسطينية، ما مدى دقة هذا الرأي؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: خطاب الأخ القائد محمد الضيف -حفظه الله ورعاه- هو خطاب موجه لكل إنسان يعادي هذه الحركة وهذا الدين ولكافة الأعداء، وعندما يقول الآية: «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا» فهو يخاطب كل من يقف في وجه هذا الدين، وفي تصورنا أن من يقف في وجه أبناء القسام وحركة حماس ويحاول أن يناصبها العداء فهذا الكلام موجه له، سواء كان من المحتل أو من غيره.

المحاور: قادة الاحتلال أكدوا أكثر من مرة أن هناك مجموعة من قادة المقاومة سيبقون على قائمة الاستهداف حتى بعد الانسحاب من غزة، منهم محمد الضيف وأحمد الجعبري، كيف تنظرون إلى ذلك؟ وما تصوركم لنمط معيشتكم بعد الانسحاب؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: أصدقك القول بأن نظام حياتنا سيبقى على ما هو عليه قبل الانسحاب وبعده؛ لأننا لم ننهِ المشوار بعد حتى نخرج للتنزه! ومشوارنا ما زال طويلاً؛ لذلك نحن نعلم أن من يكمل المشوار لا بد أن يستهدفه الأعداء لذلك نحن نعمل على أن نبقى بعون الله تعالى متمسكين بحقنا بمقاومة المحتل حتى ينقشع الاحتلال ويحيا هذا الشعب حياته السعيدة بإذن الله.

المحاور: مصادر أمنية وعسكرية إسرائيلية تدّعي أن أحمد الجعبري هو رئيس الأركان لقوات حماس المسلحة، هل هذا صحيح؟ وهل ترى فيه مقدمة ومبرراً لمواصلة استهدافكم بعد الانسحاب؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: في تصوري عندما استهدفنا الاحتلال بصواريخه واستشهد ولدي محمد وأخي فتحي وحسين وصهري صلاح وابن عمي برهان وصديقي علاء الشريف، لم يكن يقول إن أحمد الجعبري هو رئيس الأركان المسلحة لحركة حماس، لكنه استهدفنا لأننا نطأ الموطئ الذي نغيظه فيه ونحب أن نطأ دائماً الموطئ الذي يغيظ الاحتلال والكفار، حتى يكتب الله لنا به عملاً صالحاً، ونحن لا نثق ولا نؤمن بهذه المسميات المدعاة، ونحن جنود في هذه الحركة وفي القسام وأينما كان خير شعبنا وحركتنا سنكون بإذن الله.



المحاور: هل ستُخفف الإجراءات الأمنية المتبعة لدى قادة الكتائب في غزة، خاصة بعد ما رأينا بعضهم لأول مرة بوجوههم على شاشات التلفاز؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: نحن سنبقى على إجراءاتنا الأمنية على ما هي عليه، ولن نتنازل عنها وسنبقى كذلك لأننا أصحاب مشروع تحرير وطن ولم يكتمل تحرير الوطن، نحن حررنا جزءاً من هذا الوطن، فرحتنا بهذا الانتصار الذي صنعناه بدماء الشهداء من الجند والقادة جعلنا نبرز إخواننا ونتواصل معهم ونسعد وإياهم بهذا الانتصار، الذي منحه الله إياهم: «مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ...» [الحشر: ٢] ورب العالمين أكرمنا بإخراجهم بعد الجهد الذي بذلناه فنحمد الله على هذا النصر، وكان هذا أحد الأسباب التي دعتنا لنخرج ونحتفل بالنصر؛ ليرانا مجاهدونا وإخواننا أننا بينهم كما كنا قبل ذلك.

المحاور: هل سيصبح أفراد الكتائب وجوهاً معروفة لدى الشارع؟ أي تخفيف حالة السرية لدى الأفراد غير المطلوبين، مع وجود بعض الإشاعات بأن الكتائب ستفتتح مكاتب علنية لها؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: لا يمكن أن تُفتح مكاتب للجهاز العسكري، فالكتائب ما زالت جهاز عسكري سري، ولم تحول إلى حزب سياسي حتى يفتح مكاتب ومقرات ليحج إليها الناس، وسيبقى الجهاز يعمل وفق السياسة والخطة المرسومة والتكتيك الذي يعمل به لخدمة الأهداف الاستراتيجية لحركة حماس.

المحاور: ولكن هل سيبقى باب الانضمام لكتائب القسام مفتوحاً؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: نعم صحيح سيبقى باب الانضمام للكتائب مفتوحاً لهذا الجهاز المظفر الميمون.

المحاور: مصادر إسرائيلية حملتكم مسئولية وقيادة ما أسمته «بالانقلاب العسكري الهادئ» في غزة ويقصدون بذلك تصرف حماس وردة فعلها في الأحداث الأخيرة بين السلطة وحماس. ما هو تعقيبكم؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: أنا أقول إن أبناء حركة حماس ومجاهدي كتائب القسام صبروا على السلطة وأذاها صبراً طويلاً جداً، صبروا على المجازر التي ارتكبت بحقهم، وصبروا على التحقيق من قبل مختلف الأجهزة الأمنية الفلسطينية، المخابرات العامة والأمن الوقائي والشرطة والاستخبارات العسكرية، حتى يجنبوا الشعب نار حرب أهلية، ولكن عندما وصلنا إلى قناعة بأن هؤلاء الناس يحاولون التطاول ولم يعودوا إلى رشدهم كان لا بد من إيقاظهم ليعلموا أن أمامهم قوة إسلامية تستطيع أن تغير الواقع ولكن بالشكل الذي تراه مناسباً ويخدم مصلحة شعبنا؛ لذلك كان لا بد من توجيه هذه الرسالة إلى السلطة بأن تفيق من سُباتها وتنفض من بين ثناياها الكثير من أصحاب الفكر غير الوطني، الفكر المستورد الذي يحاول توجيه الضربات للمقاومة ولحركة حماس، كان لابد أن يستيقظ هؤلاء ليعلموا أننا رقم صعب داخل الوطن لا يستطيع أحد تجاوزه، نعم فُرضت علينا مواجهة لم نكن راغبين فيها، ولكن حين يوجه إلينا الرصاص كان لا بد من الرد على ذلك، والرد على من يلاحقنا بأن نلاحقه، كنا نؤدي مهامنا الجهادية نصرة لأبناء شعبنا وأبناء حركة فتح والجهاد ويأتينا الرصاص من السلطة بعد أن أدينا المهمة وقفلنا عائدين إلى مواقعنا؛ فكان لا بد من الرد على ذلك وأن يتوقف أصحاب هذه الممارسات عن ممارساتهم السيئة التي لا تخدم مشروعنا الوطني الفلسطيني.



المحاور: لكن ألا يفتح هذا الموقف الباب للدخول فى حرب أهلية مستقبلية لا يستفيد منها سوى الاحتلال؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: نحن لا نرغب في حدوث ذلك ولو كنا نرغب لحدث منذ اعتقالات ٩٦، ولحدث منذ مجزرة مسجد فلسطين، ولحدث منذ مجزرة الجامعة الإسلامية، ولكننا كنا نضمد جراحنا ونعض عليها حتى نجنب الناس الحرب الأهلية، ولكن اليوم حتى نجنب الناس الحرب الأهلية لا بد من الضرب على يد الظالم حتى يعود إلى رشده وسنبقى صمامات أمان لشعبنا ولن نقبل أن يجرنا البعض إلى حرب أهلية.



المحاور: كيف ترون شكل العلاقة بينكم وبين أجهزة أمن السلطة في الفترة القادمة؟ هل استمرار العلاقة المتوترة القائمة أم علاقة تعاون وربما اندماج الكتائب في أجهزة الأمن؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: لا توجد توترات بيننا وبين الأجهزة الأمنية في العموم، وكثيرون من أبناء الأجهزة الأمنية هم أصدقاء لنا ونتعاون معهم ومنهم من انضم إلى القسام، ولكن التوتر هو بيننا وبين السيئين من الأجهزة الأمنية الذين يعملون لمصالح شخصية ولا يقدرون مصالح الوطن، ولا يقرون للوطن مصلحة، ولذلك سنحرص على علاقة مميزة وطيبة مع أبناء الأجهزة الشرفاء الذين يحملون هَم هذا الوطن، ولدينا الاستعداد أن نكون وإياهم في خندق واحد وهو قتال الاحتلال، وليس خندق التصدي للمقاومة.

المحاور: مصادر صحفية إسرائيلية تقول إن خطة العمل لأحمد الجعبري في لحظة خروج آخر جندي من غزة تعتمد على ثلاث نقاط عسكرية، هي فتح النار على الجيش الإسرائيلي المنسحب، ومحاولة السيطرة السريعة من قبل قواته على أراضي المستوطنات، ونقل سريع للأسلحة من الخارج ولبنان إلى قطاع غزة، ما تعقيبكم على ذلك؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: أحمد الجعبري ليس له خطط وحده خارج الجهاز العسكري، ولكنه ابن جهاز عسكري يعتمد على مجلس عسكري يقر السياسات، ولدينا شورى ومؤسسات في الجهاز العسكري، وهذه كلها تقرر ما تراه مناسباً للجهاز العسكري.



المحاور: هل من الممكن أن نرى محمد الضيف أو أحمد الجعبري يتصدرون أحد المناصب المهمة في الحياة الفلسطينية.. مسئول جهاز أمني أو عسكري مثلاً؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: أفضل أمنية نتمناها على الله عز وجل هي أن نبقى ثابتين صابرين في هذا الجهاز المظفر، ولن نقبل مطلقاً أن نكون على رأس أفضل الأجهزة الأمنية، حتى لو عُرض علينا كل شيء سنبقى جنوداً لهذا الشعب الصابر ولجهازنا العسكري ولحركة حماس، وسنبقى على الجبل ولن ننزل لجمع الغنائم.

المحاور: تعرضت حماس لضربات قوية في الضفة الغربية باغتيال أو اعتقال أبرز قادتها العسكريين، هل لدى حماس القدرة على الفعل المقاوم في الضفة الغربية؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: ستبقى شهية المحتل مفتوحة على القتل أينما كان أبناء المقاومة والجهاد في سبيل الله، لذلك يجب علينا أن نجهز أنفسنا للرد على أي اعتداء أو تغول من قبل هذا العدو لقياداتنا

في غزة أو الضفة أو حتى الخارج، فبالأمس القريب اغتالوا الشهيد القائد عز الدين الشيخ خليل وهو في سوريا، فهل هذا سيوقف عملهم في تصفية واغتيال أناساً في غزة؟ بالطبع لا، لذلك جهازنا العسكري جاهز للرد على أي اعتداء على قادتنا وشعبنا.



المحاور: هل تعتقدون أن أشكال المقاومة ستختلف في الضفة عنها في قطاع غزة؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: بالطبع.. فلكل خصوصيته، الأرض وتركيبة الناس والضربات المتلاحقة للمجاهدين في الضفة، فلا بد أن يكون تكتيك آخر للمقاومة يختلف عنه في غزة، ونسأل الله أن يوفق إخواننا في الضفة.

المحاور: البعض يرى أن إطلاق الصواريخ من الضفة الغربية سيكون له رد فعل عنيف من الاحتلال لما تمثله من تهديد استراتيجي للأمن الاسرائيلي، وربما ستدفع حماس والضفة نفسها ثمنا باهظاً له كما دفعت في عملية السور الواقي؟ فهل إن تمكنت حماس من نقل تكنولوجيا الصواريخ للضفة فسيكون مجال لاستخدامها؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: بالطبع هذا متروك للإخوة في الضفة الغربية، كيفية التعامل والتعاطي مع هذه المسألة، فهم هناك قادة الميدان يقررون وقت ما شاءوا كيف يوجّهون ضرباتهم، وعندما يريد الاحتلال أن يتوغل في المنطقة التي تضرب منها الصواريخ سيكون المجاهدون بانتظاره كما جاء في شمال غزة وحاصروه، وقد نصل إلى مرحلة نمنع فيها هذه الدبابات من التوغل والدخول في مدننا كما فعلنا في مخيم

جباليا والشمال كله، ونسأل الله أن يوفق المجاهدين هناك بالرباط على بوابات مدنهم وقراهم، وتنقل التجربة الغزية للضفة حتى يندحر الاحتلال من هناك كاملاً وتخلو الضفة من المستوطنات والاحتلال.

المحاور: هل تعتقدون أن عملية تحرير الضفة ستكون أصعب مما كان في غزة؟

القائد الشهيد أحمد الجعبري: لا نعتقد أن هناك صعوبة ونحن كمجاهدين نعمل ما علينا ولا ننتظر النتائج، فالنتائج على الله عز وجل، قد يستشهد الجيل والجيل ويأتي النصر للجيل القادم، كما استشهد الشيخ أحمد ياسين والقائد العام الشيخ صلاح شحادة والمهندس إسماعيل أبو شنب والدكتور عبد العزيز الرنتيسي؛ فكل هؤلاء القادة لم يروا هذا النصر لكنهم رووا هذا النصر بدمائهم وبثباتهم ووقوفهم وقفة ثابتة وجريئة في تبنّي ودعم المقاومة. صحيح قد نجد صعوبة في الضفة الغربية ولكن علينا بذل قصار جهدنا ويجب أن لا يبقى مستوطن واحد في الضفة، وكما اقتلعناهم من غزة يجب أن نقتلعهم من الضفة والقدس ثم فلسطين بإذن الله تعالى.

اللقاء الأخير



القائد الشهيد حسام جرادات

تقبّله الله*

- الجهاد واجب علينا دفاعاً عن أرضنا وحقنا، نحن لسنا قَتَلة أو هُواة حرب

- كلنا شهداء مع وقف التنفيذ، وكل فلسطيني مشروع شهادة

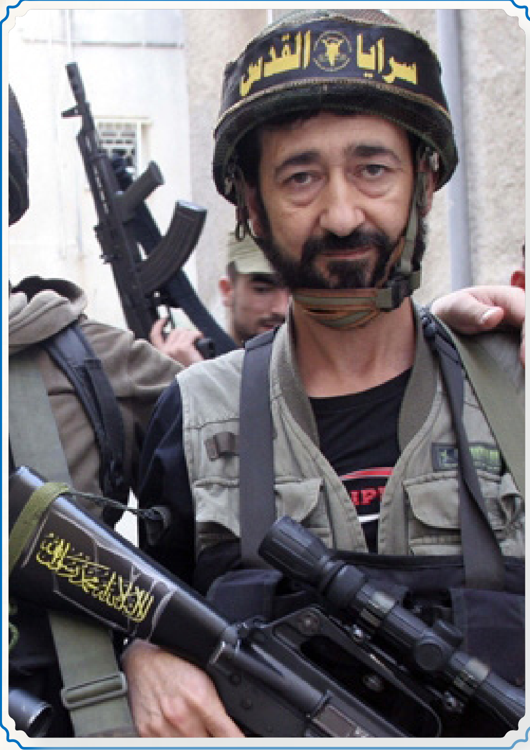
- الحل هو المواجهة والمعركة والمقاومة والجهاد، لا يوجد طريق أخرى لانتزاع حقوقنا والخلاص من الاحتلال

- ماذا حقق لنا السلام؟ هل أُطلق سراح الأسرى؟ هل انتهى الاحتلال؟ هل توقف نزيف الدم الفلسطيني؟

---

*استُشهد القائد حسام لطفي جرادات يوم ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م، بعد رحلة جهاد حافلة بمقارعة الاحتلال، عندما تمكن الصهاينة أخيراً -بعد عدة محاولات اغتيال فاشلة- من إطلاق النار على جسده الطاهر، فأصيب على إثرها بجروح خطيرة وارتقى شهيداً بعد أسبوع بالأردن، التي نُقل إليها لتلقي العلاج. مصدر الحوار: موقع إلكتروني: سرايا القدس Saraya.ps، منشور في ٣١ أغسطس ٢٠١٠م. لكن الحوار أُجري عام ٢٠٠٦م.

المحاور: ببساطة وتواضع اعتذر حسام جرادات قائد سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي لنا؛ لأنه تأخر بعض الوقت عن المقابلة بسبب ظرف طارئ وقع وهو في الطريق لإجراء المقابلة، التي اضطررنا لتأجيلها عدة مرات بسبب تكرار الاجتياحات والأوضاع الأمنية في مخيم جنين الذي تحول لمعقله ومركز نشاطه منذ بدأت إسرائيل بمطاردته قبل أكثر من عام (أي منذ ٢٠٠٥م تقريباً)، وقال لحظتها: «لا تقولوا في الصحافة إننا غير ملتزمين بمواعيدنا! أو نتذرع بالأسباب الأمنية، فهناك دوماً ظروف ملحة تداهمنا فتغير حياتنا، وأنت ابن جنين وتعرف أن المداهمات والعمليات الصهيونية لم تتوقف منذ أسبوع، وهذا يؤثر على نشاطنا، رغم أننا نصر على التحدي، فشعارنا: **لن نسمح للاحتلال بشل حركتنا وعملنا ونشاطنا، وكل فلسطيني عليه أن يكون جاهزاً للمعركة، فجميعنا مشاريع شهادة على طريق الجهاد والنصر**».



صلَّى المغرب، وافترش حسامُ الأرض، بعدما وضع سلاحه لجانبه.. أبدى استعداده للحديث، والرد على الأسئلة، حيث برز مدى تواضعه ومرونته وحرصه على الإجابة دون مماطلة أو تهرُّب أو تنصُّل وصراحته وموضوعيته. وفيما يلي نص اللقاء الأخير مع الشهيد جرادات قبيل اغتياله:

المحاور: من هو حسام جرادات؟

القائد الشهيد حسام جرادات: فلسطيني ينتمي لمدرسة (الجهاد الإسلامي) ويعتز بانتمائه للشعب الذي حباه الله بالعيش والجهاد في أرض الرباط والإسراء والمعراج، باختصار مجاهد وهب حياته لفلسطين،



ولعقيدة الجهاد، ومدرسة (السرايا)، وقرر أن يكون مشروع شهادة، فكلنا شهداء مع وقف التنفيذ، وكل فلسطيني مشروع شهادة.

المحاور: ورفض حسام لحظتها الخوض في تفاصيل حياته، وقال إنه:

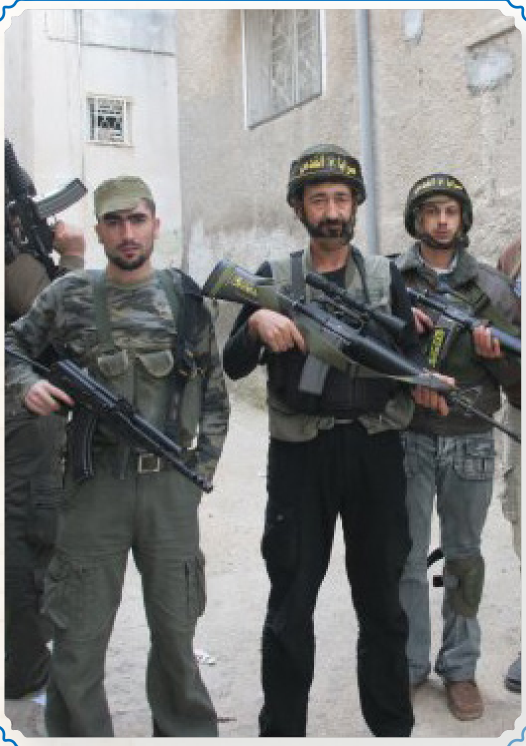
«فلسطيني يعشق شعبه وأرضه ومؤمن بقضيته وبحقه الديني والشرعي والقانوني بالجهاد حتى دحر المحتل، ولا يوجد ما يميزه عن الكثيرين من أبناء شعبه، فلا يوجد فلسطيني لم يعانِ من إرهاب الاحتلال، ولا يوجد بيت فلسطيني لم يقدم المعتقل والشهيد والجريح والمناضل». وأضاف: «أنا أنتمي لهذا الشعب ولا يميزني عنه شيء؛ فهُويتي هوية كل فلسطيني».

المحاور: كيف تنظر لحل الصراع الفلسطيني - الصهيوني؟ وما هو الحل بعد فشل اتفاقات السلام وموت التهدئة وتصعيد الاحتلال؟

القائد الشهيد حسام جرادات: الحل ورد في نَصّ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ ففلسطين أرض وقْف إسلامي، وما دامت هذه الأرض، أرض الإسراء والمعراج والرسالات النبوية، تعرضت للسلب والنهب والاغتصاب والتهويد، فمن واجبنا أن نتصدى ونؤدي واجب الجهاد والدفاع عن أرضنا وحقنا، نحن لسنا قَتَلَة أو هُواة حرب، نحن أصحاب حق مشروع اغتصبه الصهاينة بدعم دولي وتواطؤ

وتخاذل عربي وما دام هناك احتلال؛ فالجهاد واجب وفريضة على كل مسلم، ونحن في (سرايا القدس) نؤكد أن واجبنا يحتّم علينا مواصلة المعركة والمسيرة الجهادية المباركة، خاصةً بعدما فشلت الاتفاقات التي لم نراهن عليها، والتي طالما حذّرت قيادة حركة الجهاد الإسلامي منها.

وأريد أن أذكّر الجميع أن كافة الفصائل والقُوى منحت المحتل التهدئة، والتزمنا بها رغم المجازر والعدوان والثمن الغالي الذي دفعه شعبنا وحركة الجهاد الإسلامي وسرايا القدس خاصةً، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ تصاعُد العدوان واتساع نطاق الحرب الإسرائيلية. ووقف العالم يتفرج على دمنا الذي لم تتوقف حكومة الاحتلال عن إراقته حتى اليوم، لذلك فشلت التهدئة، وثبت بالملموس صدق وجهة نظرنا، والحل هو المواجهة والمعركة والمقاومة والجهاد، لا يوجد حل أو طريق أخرى لانتزاع حقوقنا والخلاص من هذا الاحتلال ومستوطنيه، أن المقاومة هي التي صنعت الاندحار في غزة، والمقاومة والعمليات هي سبيلنا للخلاص ومن يتحدث عن غير ذلك فهو مخطئ ولا يعرف قراءة التاريخ جيداً ولا يمتلك البصيرة لتحديد وجهته نحن نصر على التمسك بالمقاومة المشروعة وسرايا القدس مستمرة في عملياتها وجهادها.



العمليات

المحاور: لكن البعض يتحدث عن تراجع التأييد الشعبي للعمليات وأنها تضر بالمصلحة الفلسطينية، ومثال ذلك: بناء الجدار والمجازر الصهيونية في غزة رداً على الصواريخ.

القائد الشهيد حسام جرادات: المزاج الشعبي الفلسطيني مع المقاومة والحق الفلسطيني، ولا يوجد فلسطيني واحد يقبل بالاحتلال أو السلام الهزيل الذي لم يخدم سوى الاحتلال، ماذا حققت لنا التهدئة والسلام؟ هل أطلق سراح الأسيرات والأسرى؟ هل انتهى الاحتلال؟ هل توقف نزيف الدم الفلسطيني؟ هل توقفنا عن تشييع الشهداء؟ هل توقفت الأم الفلسطينية عن بكاء أحبّتها شهداء أو جرحى أو معتقلين؟ هل عاد المبعدون؟ إذا وجّهت هذه الأسئلة لأصغر طفل فلسطيني فسيقول لك إجابة واحدة: لا! شعبنا دفع ولا زال يدفع الثمن والجميع يتطلع للحرية والخلاص من الاحتلال فما هو الحل؟ هل ننتظر مجلس الأمن الذي يستخدمه الكيان الصهيوني وأمريكا كغطاء لتمرير مشاريعها التصفوية؟ هل ننتظر جامعة الدول العربية التي لم تتفق يوماً سوى علينا؟ هل ننتظر المجتمع الدولي الذي يصمت عن جرائم الاحتلال ويصف حقنا الذي شرعه في مقاومة المحتل بالإرهاب؟ إننا لن ننتظر ولن نصغي سوى لصوت شعبنا ومعتقلينا وأمهاتنا وأطفالنا والذي يحثنا دوماً على المقاومة، لا يوجد فلسطيني نفذ عملية استشهادية دون إرادته، وأبناء شعبنا يتسابقون على الشهادة ومقاومة المحتل، وهذا يجسده كل أبناء شعبنا بعيداً عن النفر الذين تضررت مصالحهم بسبب المقاومة، فالمقاومة حررت غزة والمقاومة أركعت وأرهبت المحتل.



وإذا كان الجدار نتيجة للمقاومة كما يقول البعض، فهذا ينمّ عن جهل وغباء، فالجدار مخطط إسرائيلي قديم لطالما كان يسعى الاحتلال لتنفيذه واستغل الظرف الراهن لتحقيقه، ولو لم يبنِ الجدار اليوم لكان

بالغد لأن المخطط التوسعي الاستيطاني الصهيوني لفرض الأمر الواقع كان يتطلب إقامة الجدار الذي هو مصلحة صهيونية. إن شعبنا بكل قواه وشرفائه مع المقاومة والعمليات لأنها الطريق لدحر المحتل وفرض الانتصارات، وعلى المتباكين والجهلة أن يتعلموا دروس التاريخ جيداً، فلا يمكن اجتثاث السرطان الصهيوني من أرضنا إلا بالعمليات والمقاومة والوحدة، وعندما نسمع صوت شعبنا -ونحن نقول شعبنا وليس حفنة المرتزقة- يطالبنا بوقف العمليات فسنكون أول المنفذين لإرادة هذا الشعب الذي نجاهد في سبيله. نحن مشاريع شهادة ليس لمصالح شخصية أو بناء على مواقف إقليمية بل نحن صوت وضمير الشعب، نحن صرخة الشهداء وعهد الوفاء لهم، نحن عهد الجرحى وأمل المعتقلين، ولن تتوقف عملياتنا وجهادنا ما دام شبر من أرضنا محتلاً!



التهدئة الجديدة

المحاور: هناك حديث عن تهدئة أو هدنة جديدة.. ما رأيكم؟

القائد الشهيد حسام جرادات: رغم تحفظاتنا الكثيرة ومواقفنا الواضحة وحرصاً منا على الوحدة الوطنية، وافقنا مع كافة القوى على التهدئة الأولى والثانية وأبدينا أقصى درجات الالتزام بهما، وصبرنا رغم الخروقات الإسرائيلية وتحملنا الكثير، ولكن السيل بلغ الزُّبَى بعدما تجاوز العدو كل الحدود بقمعه وجرائمه واغتيالاته ومجازره، ماذا فعل رعاة ودعاة التهدئة لوقف انفلات وعدوان

وهمجية المحتل؟ لم يحرك أحد ساكناً وبقينا تحت فوهة النار نموت ونُغتال ونُعتقل، وتُهدم منازلنا وتزداد معاناة أسرانا، لذلك فإن المحتل يتحمل مسؤولية موت وانهيار التهدئة. ونحن في سرايا القدس نرفض أي تهدئة وهدنة جديدة ونحذر من أنها مصلحة إسرائيلية ولن تخدم شعبنا وقضيته، وندعو المتداعين للتهدئة لعدم هدر الوقت، والالتفاف حول المقاومة ودعمها وتعزيزها.

الوحدة الوطنية



المحاور: في ظل الواقع الصعب، كيف تنظرون لتحقيق وتجسيد الوحدة الوطنية؟

القائد الشهيد حسام جرادات: إن سرايا القدس وحركة الجهاد الإسلامي على رأس الداعين والمؤمنين بالوحدة الوطنية؛ لأنها سلاحنا الحقيقي للصمود والثبات والنصر والمقاومة، وحركة الجهاد الإسلامي تقدمت بعدة مبادرات لصون وصيانة الوحدة الوطنية، ونحن نرفض أي شكل للاقتتال الداخلي ونؤكد أن الدم الفلسطيني مقدس ومحرم، وسندافع عن الوحدة الوطنية ونحميها بالدم والروح، ولن نسمح للاحتلال بتمرير مخطط الشَّرذمة وشقّ الصف الداخلي لأنه أداة لتمرير أهدافه المعادية، ونؤكّد ضرورة تعزيز الحوار الداخلي لحل أي تناقضات أو خلافات في الرأي؛ فالجبهة الداخلية القلعة التي يجب حمايتها، وبكل فخر هناك تنسيق مستمر بين (الجهاد) وكافة القُوى في جنين والسرايا والفصائل المقاومة، وتحديداً (كتائب شهداء الأقصى)، ونفّذنا العديد من العمليات المشتركة مع (الكتائب)، وهناك حوار مستمر لتعزيز وتطوير العمل

الجهادي المقاوِم للمحتل، وعلينا الاستفادة من تجربة (حزب الله) وسيّد المقاومة، السيد حسن نصر الله، حفظه الله ورعاه، فما حصل في لبنان قلَب المعادلة وأكد أن المقاومة قادرة على صنع المعجزات، وإنني أحيي من أعماق قلبي المقاومة الإسلامية في لبنان، وعلى رأسها السيد حسن نصر الله، وكلنا أمل أن تبقى خير سند وداعم لقضية شعبنا ومقاومتنا، التي تعلمت الكثير من الدروس من صمودها الأسطوري.

المحاور: أنت مطلوب للتصفية من قِبل الاحتلال. ألا تخاف من التصفية أو الاعتقال؟ وكيف تقضون وقتكم في ظل الملاحقات؟

القائد الشهيد حسام جرادات: نحن اخترنا طريق الجهاد وعقيدته، ونؤمن أننا جميعاً مشاريع شهادة وبحقنا المقدس، لذلك نحن لا نخاف سوى الله ولن نركع لغير الله، ومهما مارس الاحتلال من إرهاب وجرائم بحقنا واغتيالات لن نتوقف عن مسيرتنا، دُوهِم منزلنا عشرات المرات، وتعرض منزل الشيخ محمود السعدي قائد (الجهاد الإسلامي) للدهم عشرات المرات، وهدد المحتل ذوينا بأقسى العقوبات والتصفية، ولكن كل ذلك لا يخيفنا، فمن ينتمي لمدرسة تقدم أمينها العام ومؤسسها وقادتها شهداء لا يمكن أن يشعر بالخوف أو الرعب أو الهزيمة، نحن نؤمن بالله وبعقيدة الجهاد، ونتمنى الشهادة، نجاهد في سبيلها، ونطلبها وندعو الله أن يرزقنا إياها، لا نخاف المحتل ولا نهاب طائراته ودباباته وعملائه، ومستمرون في مشوارنا، ونمضي أوقاتنا في مقاومة المحتل أو التخطيط لمواجهته، وهذه قضية أَمنية لا يمكن الغوص فيها، ولكن جانب كبير من وقتي أمضيه في متابعة ورصد الإعلام وخاصة الصهيوني، وكلما سمح لي الوقت أطالع كل ما يُكتب في صحفهم عنا، وأحياناً أمضي عشر ساعات إذا تمكنت في مطالعة ورصد المواقف والرؤى الإسرائيلية؛ فمن أهم أساليب المقاومة والمواجهة معرفة العدو وقراءة أفكاره وآرائه والتعرف على واقعه؛ لنتمكن من تحديد أساليب المواجهة؛ لأن المعركة مفتوحة وبحاجة لرصد كل الإمكانات والطاقات لخدمة مسيرة الجهاد.

الوحدة والمقاومة



المحاور: كلمة أخيرة توجهها لأبناء شعبك؟

القائد الشهيد حسام جرادات: الوحدة والمقاومة أدوات النصر وطريق الخلاص، لنتوحد جميعاً لأن العدو لا يفرق بين فلسطيني وآخر.. كلنا مستهدَفون، ابن الجهاد وفتح وحماس، وابن الكتائب والسرايا وأبو علي، كل فلسطيني: طفل أو رجل أو امرأة، مقاوم أو سياسي، عامل أو طبيب أو مزارع، مستهدَف، فلنرصّ الصفوف ونوحّد الطاقات ونستلهم العبر من معركة مخيم جنين، فقد كانت ركيزة الصمود والمقاومة الوحدة والتلاحم بين المقاومة وأهالي المخيم الأبطال. إن شعبنا قادر على صنع النصر ودحر المحتل، ولن يتحقق ذلك بالتفاوض أو الحلول الجزئية أو المساومات أو التهدئة، أو هدنة طويلة الأمد؛ وإنما بصون وحماية ودعم وتعزيز وتصعيد مقاومتنا، وعلينا أن نتعلم من ملحمة المقاومة الإسلامية العظيمة في لبنان ودروس (حزب الله) التي لا زلنا نعيش صدى انتصاراتها؛ فهي انتصار لكل المستضعفين في الأرض، هي انتصار للمقاومة، لخيار الجهاد، فـ(حزب الله) قهر إسرائيل وأذل جيشها، والسرايا ستكون سلاح شعبنا لإركاع المحتل.

وأريد أن أوجّه تحية لكل أبناء شعبي الصامد المجاهد، وخاصة في مخيم جنين عاصمة الاستشهاديين ومعقل المقاومة والجهاد والروح التضحوية الكبيرة؛ فهم يوفرون لنا الدعم والحماية، وتحية لكل أهالي محافظة جنين مثلث الرعب الفلسطيني ونحن على عهد الجهاد، السرايا ستبقى سرايا الجهاد حتى النصر، والسرايا متمسكة بالراية حتى دحر الاحتلال لن نتراجع أمام الاغتيالات ولن نتوقف رغم الاعتقالات، وفي كل لحظة نتضرع لله أن يمنّ علينا بالشهادة فهي أسمى أمانينا.

عقلية المقاومة

ستبتكر إبداعات تَفُوق تصور العدو (٢/١)



القائد المهندس الشهيد إسماعيل أبو شنب

رحمه الله

- الفلسطينيون يعانون الاحتلال والتهجير والطرد من أرضهم منذ ١٩٤٨م
- الجناح العسكري لا يهتز لفقد قياداته بل هو منظم مستمر في عطائه مهما بلغت التضحيات
- نريد مزيداً من الصبر والصمود حتى ينهار الكيان الصهيوني من داخله
- العمليات الاستشهادية هي رد شعبنا على جرائم الاحتلال أما العطف العالمي وحده فلا يزحزح أي جندي إسرائيلي

---

* إسماعيل أبو شنب، مهندس وسياسي فلسطيني، وقائد في حماس، ماجستير الهندسة بجامعة كولورادو الأمريكية، ضمن طاقم التدريس في جامعة النجاح الوطنية ورئيس بالوكالة لقسم الهندسة المدنية بالجامعة. نقيب المهندسين في غزة، اغتاله الصهاينة في ٢١ أغسطس ٢٠٠٣م. مصدر الحوار: صحيفة التجديد، ٠٩ - ٠٨ – ٢٠٠٢، أجرى الحوار: عوض الرجوب.

بدايةً: ما أهداف حركة المقاومة الإسلامية (حماس)؟

القائد الشهيد إسماعيل أبو شنب: حركة (حماس) هي حركة تحرر وطنية ترتكز على مبادئ الإسلام والفكر الإسلامي، بهدف استعادة الأرض الفلسطينية المغتصبة، وبناء مجتمع ودولة فلسطينية ينعم فيها الشعب بالحرية والأمن والسلام، ويمارس عقيدته الإسلامية بحرية واطمئنان.

وما أساليب الحركة في تحقيق هذه الأهداف؟



إسماعيل أبو شنب: كما نعلم فإن فلسطين محتلة، وما دام هناك احتلال فإن الأولوية تكون لمقاومة الاحتلال، والعمل على تحرير الأرض بشتى الوسائل، وأهمها: القوة، ولقد جرب الشعب الفلسطيني مع هذا الاحتلال كل الطرق الأخرى فلم تنجح، وحركة (حماس) ترى في المقاومة سبيلاً أساسياً للتحرر كباقي شعوب العالم التي نالت حريتها بالكفاح الوطني.

وما حجم القاعدة الجماهيرية لحركة (حماس) في الشارع الفلسطيني؟

إسماعيل أبو شنب: حركة (حماس) اليوم تمثل تياراً فلسطينياً كبيراً وهي من كبرى الفصائل الفلسطينية، وتمثل حركتا (حماس) و(فتح) أكبر فصائل العمل الفلسطيني، وأستطيع أن أقول إن جمهور (حماس) يشكل أكثر من ٤٠٪ من الشارع الفلسطيني.

كيف تقوم (حماس) بدورها الاجتماعي على صعيد المساعدات والخدمات العامة؟



إسماعيل أبو شنب: تقوم الحركة بدورها الاجتماعي من خلال المؤسسات الاجتماعية الفاعلة، والتي شكلت البذرة الأساسية لعمل الحركة في السبعينيات كوسيلة اجتماعية للتصدي للاحتلال؛ من خلال توفير الدعم الاجتماعي للأسر الفقيرة ورعاية أبناء الشهداء والأيتام وإشاعة جو من التكافل الاجتماعي، ومحاربة الأمراض الاجتماعية التي كان الاحتلال يشجعها، وبالإضافة إلى القاعدة الاجتماعية فقد اهتمت الحركة بالقاعدة التربوية والثقافية والشبابية، من خلال إنشاء النوادي الرياضية والمؤسسات التعليمية؛ فتشعبت قاعدة العمل الاجتماعي والتعليمي والتربوي، وانخرطت الحركة في كل مجالات الحياة الفلسطينية.

وُجهت لكم اتهامات برعاية جمعيات «إرهابية».. فكيف تردّون؟

إسماعيل أبو شنب: حتى هذه اللحظة نواجه مثل هذه الحملة المغلوطة والكاذبة والظالمة على مقاومة شعبنا الفلسطيني. والشعب الفلسطيني يعاني من الاحتلال والتهجير والطرد والإبعاد من أرضه منذ عام ١٩٤٨م، وبعد ذلك استمر الاحتلال ليحتل الضفة وغزة ويواصل سيطرته على الشعب الفلسطيني ويحرمه من ممارسة أبسط حقوقه.

هذا الوضع الظالم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني أكبر دليل على بشاعة جرائم الاحتلال وظلم الاحتلال، ومهما حاولت أمريكا وإسرائيل الادعاء أن المقاومة الفلسطينية هي «الإرهاب» فإن ذلك لا يغير من حقيقة الأمر أن الإرهاب هو الاحتلال، وأن الشعب الفلسطيني الذي شُرد من أرضه ووطنه ويعاني من أبشع أنواع القتل والجريمة هو ضحية الإرهاب الصهيوني.

لو تحدثنا عن انتفاضة الأقصى، ماذا قدمت (حماس) خلالها؟


مجاهدو حماس أثناء انتفاضة الأقصى

إسماعيل أبو شنب: (حماس) تحمل هموم الشارع الفلسطيني سواء على المستوى السياسي أو التحرري أو النضالي أو الجهادي، أو على مستوى الوضع الداخلي، ولما وصلت مشاريع التسوية إلى طريق مسدود واستفزّ الإرهابي (شارون) المسلمين بالعدوان على المسجد الأقصى والصلاة داخله، كانت حركة المقاومة الإسلامية أول من نبه المواطنين الفلسطينيين إلى ضرورة التصدي لهذه المحاولة، ودعت الناس إلى التظاهر والاحتجاج، وبالتالي كانت حركة (حماس) المبادِرة منذ اللحظة الأولى للاحتجاج على العدوان على المسجد الأقصى ومقدسات المسلمين. وعندما وُوجهت هذه الاحتجاجات الشعبية الفلسطينية بالسلاح وإطلاق النار من قِبل الغزاة المحتلين، شاركت (حماس) مع باقي أبناء الشعب الفلسطيني في التصدي لهذا العدوان وهذه الجرائم، بالمِسيرات والمظاهرات وتعزيز صمود الشارع الفلسطيني والمقاومة المسلحة أيضًا.

وأبرز ما قدمته الحركة في مجال المقاومة تلك العمليات الاستشهادية التي هزت كيان العدو وأفقدته الأمن الشخصي وزعزعت وجوده، كما أن إبداعات الجناح العسكري للحركة ذهبت أبعد من ذلك فطوّر المجاهدون من كتائب الشهيد عز الدين القسام -الجناح العسكري للحركة- صواريخ القسام والبنا وقذائف الهاون، مخترقين بذلك كل الحواجز الاستيطانية والأسوار الأمنية، ولقد كان لإبداعات المجاهدين في اقتحام المستوطنات الحصينة والتصدي للمستوطنين الصهاينة وملاحقتهم على الطرقات آثارٌ تدل على الشجاعة والجرأة والصلابة. وتشكل عمليات (حماس) العسكرية خلال انتفاضة الأقصى غالبية العمل المسلح الفلسطيني دون إغفال مشاركة القوى الفلسطينية الأخرى؛ مثل (شهداء الأقصى)، و(كتائب الشهيد أبو علي مصطفى) وحركة (الجهاد الإسلامي) و(الجبهة الشعبية) و(الجبهة الديمقراطية).

وماذا كان نصيب حركة (حماس) من حملة الاغتيالات والاعتقالات التي قامت بها قوات الاحتلال؟

إسماعيل أبو شنب: حقيقة إن العدد يفوق الحصر، ولكن أستطيع القول إن الشهداء من حركة (حماس) بلغ أكثر من ٦٠% من شهداء الانتفاضة وكذلك الجرحى والمعتقلين. ويكفي أن تطال الاغتيالات الصهيونية القياديين من أبناء الحركة، من أمثال الشيخ جمال منصور وجمال سليم، والمجاهدين الكبار أمثال الشيخ صلاح شحادة ومحمود أبو هنود، وأن تطال الاعتقالات قياديين أمثال عباس السيد جمال الطويل ومحمد جمال النتشة، ومئات المعتقلين والشهداء والجرحى، والقائمة طويلة في هذا المجال.



الجاهد الشهيد محمود أبو هنود

مَن يَرعى أسر الشهداء والمعتقلين؟ وكيف نتابع (حماس) أسر الشهداء والمعتقلين؟

إسماعيل أبو شنب: الشعب الفلسطيني عادة يكرم الشهداء وأسر الشهداء ويرعاهم ويرعى الجرحى وأسر المعتقلين، وهذا تعاون اجتماعي فلسطيني منذ الانتفاضة السابقة، وهو جزء من تقوية صمود الشارع الفلسطيني في هذه الانتفاضة. ومارست (حماس) الدور الاجتماعي بفهم أبعاده بنشاط وحيوية، بهدف معالجة آثار الانتفاضة على المجتمع الفلسطيني بقدر إمكانيات (حماس) المتواضعة؛ فقد نشطت لجان الزكاة والعمل الاجتماعي لرعاية الأسر المحتاجة من ذوي الشهداء وعائلاتهم والجرحى، ونشطت جمعيات أخرى في توفير علاج لهم، وأيضاً جُمعت التبرعات لإغاثة أصحاب البيوت المنكوبة والمهدمة. وكانت (حماس) منذ البداية تعي هذا الدور، ولها باع طويل فيه وهو عنصر قوي من عناصر صمود هذا الشعب في وجه الاحتلال.

الكثير يتساءل: ماذا حققت انتفاضة الأقصى للشعب الفلسطيني؟

إسماعيل أبو شنب: هذا سؤال مهم، قد يتبادر إلى البعض أننا نبالغ إذا قلنا إن الشعب الفلسطيني بهذه الانتفاضة قد كسر مقومات الكيان الصهيوني على أرض فلسطين. فالكيان الصهيوني قائم على الاستيطان والاحتلال ومنح المستوطنين الرخاء الاقتصادي، والآن المشروع الصهيوني يعاني من كل هذه النواحي؛ فعلى مستوى الأمن يخاف جميع أفراد المجتمع الإسرائيلي من الخروج إلى الشارع، وفقدان الأمن جعل القادمين الجدد يرحلون عن هذه الأرض ويحجمون عن القدوم إليها رغم الإجراءات والامتيازات العالية التي تقدمها لهم الوكالة الصهيونية، ولقد سجل مركز الإحصاء الصهيوني أكثر من مليون حالة هجرة مضادة خارج الكيان الصهيوني خلال هذه الانتفاضة، وبلغت تكاليف الانتفاضة أكثر من ١٠ مليار دولار على ميزانية الاحتلال، والاقتصاد الإسرائيلي في انحدار. والسياحة وصلت إلى الصفر، والمستوطنات أصبحت فارغة،



ولا يستطيع المستوطنون أن يمارسوا حياتهم في هذه المستوطنات إلا من خلال وجودهم في الملاجئ، فالانتفاضة أرهبت المستوطنين وأزعجهم وأقلقت مضاجعهم.

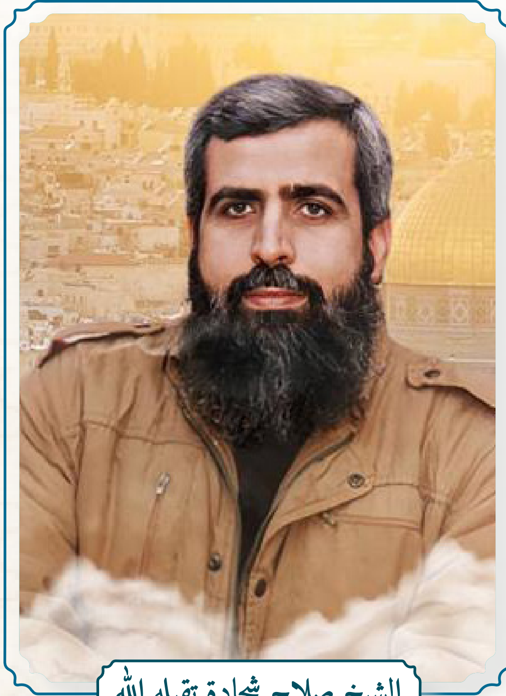
فالانتفاضة، مقابل المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، حققت الكثير، ولذلك نريد مزيداً من الصبر والصمود حتى ينهار الكيان الصهيوني من داخله فهو اليوم يعاني من التفتت الداخلي والإنهاك، حتى أن ميزانية الكيان الصهيوني للجيش وصلت إلى أكثر من ٣٦ مليار شيكل، بما يعادل أكثر من ٨ مليارات دولار، وهذا فقط تكلفة الانتفاضة على جيش الاحتلال، أضف إلى ذلك تكلفة استدعاء الاحتياط، وكل ذلك يفت في داخل الكيان الصهيوني ويرهقه وعلى المدى البعيد سيكون هذا عاملاً مهماً من عوامل إنهاك وانهيار هذا الكيان الصهيوني. وفي المقابل نحن دفعنا ثمناً باهظاً من دماء شعبنا ومؤسساتنا، ولكنها لا تُذكر أمام هذه الإنجازات. أقول ذلك لأن البعض ممن يردد الدعاية الصهيوني يحاول أن يقول لنا إن الكيان الصهيوني قد احتل الأرض وبالتالي فإن المقاومة لا جدوى منها، ونحن نقول إن ما يحدث من انهيار وتفتت داخلي سيؤدي إلى انهيار كامل إن شاء الله في أقرب فرصة إذا استمرت المقاومة في الصمود، وإذا استمر الشعب الفلسطيني في العطاء، وإذا أوقفت المؤامرات على شعبنا وعلى انتفاضته المباركة.

ما تعقيب حركة (حماس) على استشهاد الشيخ صلاح شحادة، مؤسس جناحها العسكري؟

إسماعيل أبو شنب: هذه الجريمة النكراء توضح مدى همجية وإرهاب العدوان الإسرائيلي، حيث ألقى طناً من المتفجرات على حي سكني مكتظ وسط الليل وهم نيام، روعت الآمنين، وهدمت عليهم بيوتهم وأثبتت للعالم وأوضحت له جرم وبشاعة هذا الاحتلال وكيف أن القوة في يد الطاغية هي سلاح إرهابي ولا يمكن إذا كانت القوة بيد الجبان أن ننتظر إلا هذا الإرهاب وهذا الغدر وهذه الخديعة. الشيخ صلاح شحادة مجاهد كبير ومؤسس للجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) منذ عام١٩٨٧م وهو شخصية تحظى باهتمام جميع الفصائل الفلسطينية وهو عزيز على قلوب أبناء الشعب الفلسطيني، وجريمة اغتياله ألقت بظلالها على مجمل الفصائل الفلسطينية التي طالبت أثناء تشييع جثمانه بالرد القوي والرد المؤلم لهذا الكيان الصهيوني، إن هذه الجريمة النكراء لن تمر دون عقاب بإذن الله.

كيف سيؤثر اغتيال الشيخ شحادة على حركة (حماس)؟

إسماعيل أبو شنب: حركة (حماس) حركة مجاهدة وطريق الجهاد طويل ومعبّد بالشهداء، والجناح العسكري موطن نفسه على مثل هذا العمل ولا يقلق لفقد أحد ولا يهتز بل هو منظم يستمر في عطائه مهما بلغ حجم الخسائر والتضحيات؛ لأن أساس هذا العمل الجهاد المستمر والمتواصل حتى دحر الاحتلال، ولا يوقف مسار الجهاد فقدان أبطال مثل الشيخ شحادة، ولا يغير تركيبات الجهاد


الشيخ صلاح شحادة تقبله الله

فقد أبطال مثل الشيخ صلاح ولكنه طريق متواصل وكان لنا في سيرة السلف الصالح عبرة حسنة فقد أعطى الرسول ﷺ الراية لثلاثة من كبار الصحابة في غزوة مؤتة وقد استشهد الثلاثة جميعاً وسلمت الراية لخالد بن الوليد، والقوة الإسلامية تعرف كيف تنظم صفوفها، ولذلك فإن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لا تضعف ولا تهتز بهذا الفقدان بل على العكس تزداد صلابة ويزداد جمهورها التفافاً حولها ويزداد الراغبون في الانضمام إليها، لأن شجرة الجهاد هي شجرة طيبة تُروى بدماء الشهداء.

قد تكون العمليات الاستشهادية حققت جزءاً كبيراً من هذه النتائج، والبعض أصبح ينادي بوقف هذه العمليات بحجة أنها تجلب الدمار للشعب الفلسطيني، فكيف تردون؟

إسماعيل أبو شنب: هذا جزء من الحملة المضادة على الانتفاضة، إن شعبنا الفلسطيني الأعزل الذي حُرِم من السلاح والحماية الدولية، وقف صامداً أمام أكبر آلة صهيونية وعسكرية تُعد القوة الخامسة في العالم اليوم، وما كان من هذا الشعب إلا أن صبر واستطاع أن يرد بهجمات جريئة في قلب الكيان الصهيوني، هذه الهجمات نفذها شبان مخلصون لدينهم ثم لقضيتهم ووطنهم، وفعلت هذه العمليات فعل السلاح السحري الذي لا تستطيع آلة الحرب الصهيوني التصدي له، وجعلتهم يسألون أنفسهم: نحن نستطيع أن نصنع صواريخ مضادة للصواريخ، وصواريخ مضادة للدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات، لكننا لا نستطيع أن نحمي أنفسنا من الاستشهاديين. ماذا يعني ذلك؟ إنه فشل السياسة الأمنية الصهيونية في التصدي لمثل هذه الهجمات الذكية والبطولية الجريئة التي تستمد جرأتها وقوتها من عدالة قضيتها ومن إيمانها بربها.



عبد الباسط عودة صاحب أبرز عملية استشهادية خلال انتفاضة الأقصى

هذا الإنجاز عُد في زمن الانتفاضة أكبر إنجازات الانتفاضة، وأهم سلاح استطاع الشعب الفلسطيني أن يطوره في مقابل آلة البطش العسكرية، فعندما وصلنا إلى هذه الصيغة شعر العدو أنه عاجز عن أن يتصدى للاستشهاديين الفلسطينيين، فبدأ بشن حملة إعلامية مضادة قادتها أمريكا وكررتها بعض الدول العربية، وكأنها وقعت في الفخ الذي نصبه لها أعداء الأمة؛ لأنهم يريدون أن يجردوا شعبنا من أقوى سلاح استطاع أن يطوره بنفسه في وجه هذه الآلة الإسرائيلية الحربية. لذلك نقول -نحن كشعب فلسطيني-: إن العمليات الاستشهادية كانت رد شعبنا على جرائم الاحتلال، وفي اللحظة التي يوقف الاحتلال جرائمه بحق شعبنا وينسحب فإننا سنتوقف عن هذه المقاومة، ولكننا لا نقبل أن نسلم سلاحنا لعدونا في اللحظة التي يتمترس فيها بكل أنواع الأسلحة الكيماوية والذرية والعسكرية التقليدية، ونحن نرفض أن يجردنا من سلاحنا وهي العمليات الاستشهادية.



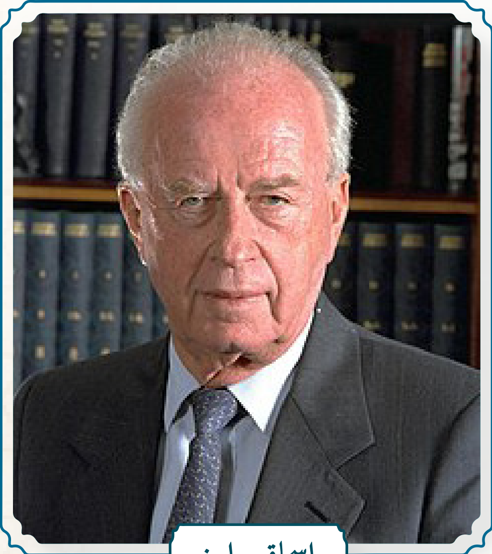
طورت (حماس) صاروخي قسام ١و٢، وقذائف البنا؟ كيف تم ذلك في ظل الإمكانيات الفلسطينية المتواضعة؟

إسماعيل أبو شنب: هذا أيضاً إبداع من إبداعات المقاومة الفلسطينية، وكان من نصيب الجناح العسكري لحركة (حماس)، وفي ظل الحصار استطاع الفلسطينيون أن يطوروا قذائف، سُمِّيت: قسام ١ و٢، ذات بُعد استراتيجي بأنها تقفز على الحواجز والتحصينات وتصل قلب المستوطنات لتزعج المستوطنين وتقول لهم: لا أمان لكم على أرضنا. فكانت سلاحاً استراتيجياً رغم بساطتها وبدائيتها، ولكن هذا السلاح كان قادراً على إحداث الرعب والزعزعة لكيان المستوطنين داخل المستوطنات، مما أزعج الكيان الصهيوني وجعله يطالب بوقف هذه

العمليات. من هنا يمكن القول إن إبداعات شعبنا لا تنتهي وإن شعبنا مصمم على المقاومة ما دام الاحتلال قائماً، وسوف تبتكر عقلية المقاومة إبداعات تفوق تصور العدو إذا بقي مصراً على استمرار الاحتلال.

كيف أثّر الاجتياح على أداء حركة (حماس)؟ ولماذا شهدت الفترة الأخير فتوراً في العمليات؟

إسماعيل أبو شنب: المقاومة هي وسيلة الضعيف، وفي الميزان العسكري نحن في موقف ضعف أمام الترسانة العسكرية الإسرائيلية، وأمام القوات والحشود التي تصل إلى ١٠٠ ألف جندي مدججين بأقوى أنواع العتاد والسلاح؛ من طائرات (أباتشي) ودبابات (ميركافا) ومختلف أنواع السلاح. إذن لا تستطيع المقاومة أن تتصدى وجهاً لوجه لهذه الآلة الضخمة، ولذلك فإنها تناور، وتكُمن لتنقضّ في الوقت المناسب، فما حدث هو احتلال جديد، ولقد جرّب العدو احتلاله للأرض الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧، فماذا كانت النتيجة؟ الإجابة أن (رابين) قال لجنوده: إنه لا يوجد حل عسكري للقضية، و(شارون) يحاول اليوم أن يفرض حلاً عسكرياً على المقاومة، في حين فشلت كل الحلول العسكرية الصهيونية للسيطرة على الشعب الفلسطيني والمقاومة. وإن ظهر أن المقاومة اليوم في كمون فلا يعني ذلك أنها انتهت أو غابت، بل تكمن لتنقض في المكان والوقت المناسبين، وما عملية (عمانويل) إلا إحدى بوادر الانقضاض التي تمارسها المقاومة من بين الأنقاض، وبالتالي نحن نقول إن المقاومة مستمرة ولا يمكن للاحتلال العسكري أن يقهر إرادة الشعب الفلسطيني في سعيه لنيل الحرية بالمقاومة حتى النصر وزوال الاحتلال بإذن الله.


إسحاق رابين

سمعت بعض الأصوات العربية تنادي بالعودة لسلاح الحجارة والتخلي عن العمليات الاستشهادية؟ فما تعليقكم؟

إسماعيل أبو شنب: الحجارة وسيلة للاحتجاج، وعندما سال الدم الفلسطيني وحده في السابق لم يكن كافياً لاستعطاف العالم علينا، بل رفضت أمريكا كل قرارات الأمم المتحدة الرامية لتوفير حماية للشعب الفلسطيني من الاحتلال، لذلك فإن شعبنا أدرك أن الاحتجاج بالحجر غير كافٍ، فجاءت العمليات التي هي من إبداعات الشبان الفلسطينيين الذين تصدوا للدبابات بالحجر، فهم الذين قالوا سنخترق الكيان الصهيوني بعمليات جريئة ونفجر الكيان من داخله، لماذا؟ لأنهم وجدوا أن الحجر لا يصمد أمام الدبابة، ولا يؤذي العدو، فكانت العمليات الاستشهادية والهجوم على المستوطنات.

لذلك نقول: إن مقاومتنا بدأت بالحَجَر وتطورت إلى العمليات الفدائية البطولية داخل الكيان ومستوطناته، وملاحقة جنوده ومستوطنيه، فأولئك الذين يقولون بالعودة للحجر كأنهم يُبقون التفوق في يد الكيان الصهيوني وسيلة ليسيل دمنا. وحتى الذين يقولون بنظرية أن عطف العالم كافٍ لإجبار إسرائيل على الانسحاب، اتضح أنها خاطئة لأننا جربناها، ورأينا أن العطف العالمي لا يزحزح أي جندي إسرائيلي، بل على العكس زاد الاحتلال من بناء مستوطناته في الثمانينات، وزاد من توسعه، ولم يأبه بكل الدعوات التي تنادي بالانسحاب.

من هنا فإن الخيار أمام الشعب الفلسطيني: الانتفاضة بكل وسائلها، وليس فقط بالحجر، بل كل ما يؤذي الكيان الصهيوني وما يجعله يشعر أنه يدفع ثمن احتلاله. وإذا لم يشعر الاحتلال أنه يدفع ثمن الاحتلال

وغطرسته فلن يأبه بمواقف الرأي العام العالمي لأنه قادر على تحويلها لصالحه في أي وقت يشاء بآلة الإعلام الصهيونية العالمية التي تزوّر الحقائق وتقلب الجاني ضحية والضحية كأنه الجاني.



ما شروطكم لوقف العمليات الاستشهادية؟ وهل لا زالت هذه الشروط قائمة بعد اغتيال الشهيد صلاح شحادة؟

إسماعيل أبو شنب: شروطنا هي الانسحاب الإسرائيلي الكامل، ورفع الحصار، ووقف عمليات الاغتيال وهدم البيوت وقتل المدنيين، والإفراج عن المعتقلين في السجون الإسرائيلية. وللتوضيح: إن الحديث لا يدور عن وقف العمليات، بل عن زوال الاحتلال الذي هو المسبب الحقيقي لكل التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، ومن هنا كانت مبادرة الشيخ أحمد ياسين التي تؤكد أولاً على ضرورة زوال الاحتلال، وكأنه يقول: إن المقاومة ستقف من تلقاء نفسها إذا انسحب الاحتلال، وإذا أردتم أن يحدث الهدوء فاضغطوا على الاحتلال، هذا هو فحوى المبادرة ومن خلال الأحاديث واللقاءات المتبادلة بيننا وبين الأطراف الوطنية الأخرى، وبتدخل عربي كانت هذه رسالة الشيخ أحمد ياسين ورسالة الحركة لكل أولئك الذين يريدون أن يبذلوا جهدهم لزوال الاحتلال أن يأخذوا هذه الفرصة؛ فكان موقف الحركة المعلن أن العمليات الاستشهادية يمكن أن يعاد النظر فيها بعد زوال الاحتلال. وهذا أمر طبيعي وليس فيه جديد أو تغيير في موقف الحركة.

جرى الحديث مؤخراً عن وساطة سعودية وعربية مع (حماس) لوقف العمليات الاستشهادية، فما مدى دقة هذه المعلومات؟

إسماعيل أبو شنب: لا شك أن أمريكا تضغط من خلال الضغط الإسرائيلي على العالم العربي كله لوقف العمليات الفدائية، وشهدنا محاولات سابقة عندما طُلب من رجال الدين استنكار هذه العمليات، وفشلت هذه المحاولات عندما تصدى رجال الدين المسلمون المخلصون لها، وقالوا إنها عمليات بطولية يقرها الإسلام، وهي من أرقى أنواع الشهادة والفداء. وعندما فشلت الدعوة من خلال العلماء، يحاولون اليوم الضغط على الأنظمة العربية لتضغط على السلطة الفلسطينية والمقاومة لوقف مثل هذه العمليات. ونحن نقول لهم: لا داعي لهذا الضغط، إذا أوقف الاحتلال عدوانه على الشعب الفلسطيني وانسحب -وهذا هو السبب الرئيسي للتوتر في المنطقة- فإن الشعب الفلسطيني مستعد للهدنة والتقاط الأنفاس، وإيقاف هذه العمليات في مرحلة هدنة من أجل أن يمارس المجتمع الدولي ضغطاً على هذا الكيان للانسحاب الكامل.

[يُنشر الجزء الثاني من الحوار بالعدد القادم من مجلة أنصار النبي ﷺ، إن شاء الله تعالى].

ثعلب المقاومة.. محمود المبحوح



القائد الشهيد محمود عبد الرؤوف المبحوح

تقبّله الله

- يسموني بـ«الثعلب»، فأنا في مكاني هذا أشعر بما خلف الحائط! وهذا من فضل ربي

- هذا الطريق له تبعات وليس لدينا مشكلة في ذلك، رب العالمين يصطفي منكم شهداء

- كان يُغمى عليّ من شدة التعذيب ورغم ذلك لم أعترف، حتى يئس المحققون

- تنكّرنا في زِيّ متدينين يهود وخطفنا ضابطاً وجندياً من المحتلين ثم أجهزنا عليهما

- يجب تحرير الأسرى بأي طريقة، حتى لو استُشهد منا مئات

القائد الشهيد محمود عبد الرؤوف المبحوح (أبو العبد)، أحد أبرز المطلوبين للكيان الصهيوني لعشرين عامًا، لوقوفه وراء عدة عمليات نُفذت ضد الصهاينة، أبرزها خطف وقتل الجنديين الإسرائيليين: أديس اسبورتن وإيلان سعدون عام ١٩٨٩م، تمكن الكيان الصهيوني من قتله في العشرين من يناير عام ٢٠١٠م، في مدينة (دبي) عن طريق صعقه وخنقه كما تقول (حماس)، حيث حمّلت جهاز (الموساد) مسؤولية اغتياله. قبل عشرة أشهر تقريبًا من اغتياله وفي مدينة دمشق، حاورت (قناة الجزيرة) محمود المبحوح، ونعيد نشر كلامه في هذا الحوار في هذا العدد من مجلة أنصار النبي ﷺ[1].



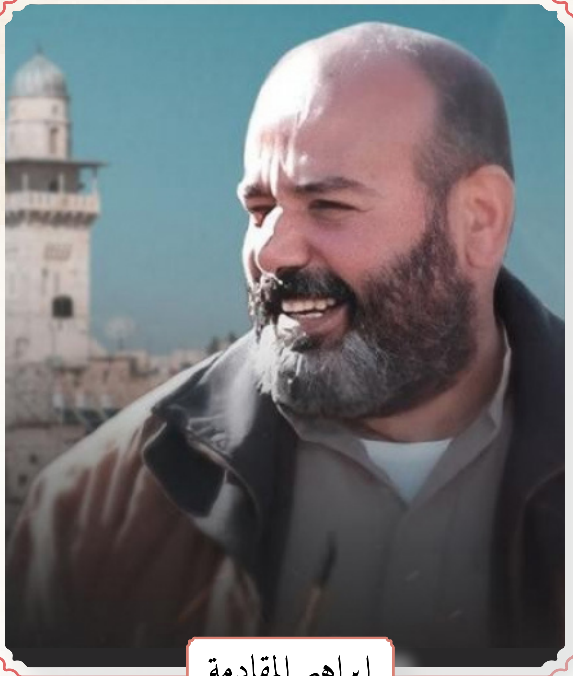
القائد الشهيد محمود عبد الرؤوف المبحوح: مطلوب؟

أنا لست الوحيد المطلوب، هناك المئات والعشرات من الناس الذين قارعوا اليهود مطلوبون أيضاً، على خلفيات قتل وعمليات أخرى، فلسنا الوحيدين، والأعمار بيد الله. هذا الطريق له تَبِعات وليس لدينا مشكلة في ذلك، رب العالمين يصطفي منكم شهداء، كانت هناك صحوة لكن التنظيمات لم تستمر في مقاتلة اليهود.. ثلاث أو أربع سنوات وانتهت هذه التنظيمات، إذ استُهدفت من خلال الاختراقات والاغتيالات.

---

١ نشرنا الحوار بعد إعادة الصياغة والتحرير والاختصار القليل. مصدر اللقاء الأصلي: الموقع الإلكتروني (يوتيوب)، حلقة بعنوان: (لقاء اليوم: لقاء خاص للجزيرة مع القائد القسامي محمود المبحوح قبل اغتياله)، تاريخ بث الحلقة: ٥-٢-٢٠١٠م. [هيئة التحرير بمجلة أنصار النبي ﷺ]

ظروف النشأة


إبراهيم المقادمة

كانت قد ظهرت حالة تُسمى «الإخوانجية»، و«الإخوانجية» هم جماعة الإخوان المسلمين، فكان إبراهيم المقادمة رحمة الله عليه من الناس الذين يزورون بيتنا فيزور شقيقي الأكبر أبو عبد الله حسن، وإبراهيم المقادمة هو من المؤسسين، وكنت أعرف معظمهم: مثل أبي ماهر تنباس، وعبد الحافظ السلاوي، وعبد الحافظ الشريف، فمن هذا الوقت كان عندي حب للتدين مثل أفراد بيتنا كلهم والحمد لله، والوالد كان شديداً والبيت كله ملتزم، وهذا من فضل الله، وكانت في بيتنا أجواء إيمانية، شكّلها الوالد إضافة إلى بعض أصدقائه، منهم من كان يدرسنا يومياً دروساً دينية متنوعة، منها الفقه، ودرس عن الجهاد، درس في الصبر، في المحاسبة، في الإيمان، وهو المجاهد أبو إدريس عودة رحمة الله عليه، وقد كان أصيب إصابتين، إصابة في الكتف وأخرى في الكُلية في حرب ١٩٤٨، وقد قاتل بشراسة، لهذا كانت الأجواء التي عشناها إسلامية والبيت إسلامي والحمد لله.

وظللت على مسافة واحدة من الجميع، الحمد لله، لكن التزامي كان حديدياً في ذاك الوقت، فكنت أصلي الصلوات معظمها في المسجد، خاصة صلاة الفجر، وكنت على علاقة طيبة مع كل الناس، ثم أوليتُ اهتماماً لما يتعلق بالسلاح، فإذا أتيتَني وقصدتَني تجدني أعرف أين يوجد السلاح، ومن الذي يبيع ومن الذي يشتري ومن يجلبه من مصر، وكنا نحاول أن نأتي بالسلاح من مصر وليس من اليهود حتى لا نقع في مشاكل أمنية.

ومن الناس الذين كنتُ قريباً منهم بالطبع وهو قريب لقلبي وكذلك تأثرت به كثيراً، هو الشيخ صلاح شحادة، رحمه الله، إذ كان يتردد علينا كثيراً، فلو أراد سيارة أو صيانة أو أي شيء للسيارة كان يأتي إليّ، وكنت أذهب إلى مخيم جباليا عنده لأصلي خلفه يوم الجمعة، وكان قادماً من مصر أيامها ومكث فترة في العريش بعد ذلك، وأتى إلى منطقة بيت حانون، وكان يخطب الجمعة في المسجد القديم، وبعد ذلك أسس مسجداً آخر، فكنا نصلي خلفه، اعتُقل فترة الثمانينات، ومعه الإخوة أبو ماهر تمراز والدكتور محمد الشهاب، وصبري أبو عودة، وغيرهم، كانوا قرابة التسعة، فاستمرت علاقتي بالشيخ صلاح قبل اعتقاله وبعد خروجه من السجن.


أبو ماهر تمراز

ظروف الاعتقال والتعذيب

الشهيد القائد محمود المبحوح: اعتُقلت عام ١٩٨٦م وخرجتُ ولم أعترف بشيء رغم مكوثي ستة وأربعين يوماً في التحقيقات، ورغم أنهم أتوا بالشخص وواجهوني، وأتوا بالوالد والوالدة، ثم أتوا بإخواني، وكانت التحقيقات بعسقلان وسجن غزة المركزي، ثلاثة وثلاثون يومًا من التعذيب والسهر، وبعد ذلك أراحونا يومين، وحاول (ستيف) المحقق بسجن عسقلان من خلال الضغط عليّ إجباري على الاعتراف، هو وثلاثة مساعدون له، وكان يُغمى عليّ من شدة التعذيب بالخصيتين وبالخنق والمياه. أحد المرات كنت على وشك الموت ونطقت الشهادتين، وسمعت المحقق يقول بالعبري: «هذا الرجل يريد أن يموت، ولست مستعداً لقتله». ثم أغلق التحقيق. بعدها تناوبوا عليّ فترة، وأرجعوني لسجن غزة المركزي، والحمد لله رب العالمين هذا كله ثبات من الله، الإرادة مهمة بالطبع والإيمان، لكن رب العالمين قبل كل شيء قد ثبتنا، ولم نعترف ولم نذكر اسم أحد من المجاهدين.

طبعًا تعمقت العلاقة وقويت بالشيخ صلاح بعد خروجي من السجن، وقد وقف الشيخ إلى جانب الوالد، ووكّل لي محامياً للدفاع عني، وكان من الذين انتظروني أمام السجن عند خروجي، رحمة الله عليه.

المحاور: تلقى الجهاز العسكري ضربة قوية بمقتل الشيخ صلاح شحادة والذين معه، فقررتم القيام بعملية عسكرية هي الأولى من نوعها ضد السرية ١٠١؟

القائد الشهيد محمود المبحوح: كل صغيرة وكل كبيرة، وكل خطوة كنا نخطط لها مسبقًا ونعدّ لها، لم نكن نعمل عشوائياً. كنا نخطط في البدايات لكيفية قتل الجنود الصهاينة، ثم بعد ذلك بدأنا نخطط لكيفية خطفهم أحياءً، لأن بعد قيامنا بالعملية الأولى كُسر حاجز الخوف. فكنا مثلاً نبحث عن مكان مناسب كقطعة أرض زراعية بها غرف للدواجن أو للفواكه والخضروات، ونحفر سجناً سرياً، ثم نجلب بعض الضباط أو الجنود لسجنهم، على نمط الجندي (شاليط).

العملية الأولى



في أول عملية تنكّرنا في ملابس متدينين يهود ورصدنا سيارة بها ضابط صهيوني يُدعى «أديس اسبورتن» فخطفناه وقتلناه في ١٦/ ٢/ ١٩٨٩م. وذلك بعد ما ركب في السيارة وكنتُ السائق وخلفي مجموعة من الصناديق الكرتونية، والباب الذي خلفي مُعَطّل -من الإجراءات التي أخذناها أننا عطّلنا الباب- فقلت له بالعبري: «الباب معطل»، فدخل وجلس في الكرسي الخلفي، وكانت بيني

وبين «أبي صهيب» إشارة، فأطلق أبو صهيب عليه النار ثم أخذناه إلى حفرة مُعدة سلفاً بمكان سري ودفناه بعد الاستيلاء على سلاحه وأوراقه الثبوتية، كانت معه محفظة بها الرقم العسكري وبطاقة شخصية وبطاقة عسكرية بها رُتبته، حتى سلاحه كان سلاحاً خاصاً مزوداً بـ(ليزر) ليلي، وكان من نوع (إم ١٥).

المحاور: كيف تبنّت (حماس) العملية؟

القائد الشهيد محمود المبحوح: عُدنا بشكل طبيعي، ثم حاولنا أن نتصل ببعض وكالات الأنباء لكن لم تُعلن أحدها عن العملية في ذلك الوقت، فأوعز الشيخ صلاح شحادة من خلال الزيارات للإخوة أن اكتبوا على جدران الشوارع، وأنا أعرف منطقة كُتب على جدرانها الإعلان، فقد قرأته بنفسي.. كُتب عليها تبني العملية.. تبنّي حركة (المجاهدون الفلسطينيون) وقتها، وقد أعلن اليهود وقتها عدة أسماء، حاولوا أن يعرفوا من هي الجهة التي وراء العملية، أعلنوا عدة أسماء، وتحدثوا أنه أُلقي القبض على عشرة من الفاعلين الذين هم وراء العملية، وخلية في مخيم البريج! وكل ذلك كذب.. كنا نضحك من ذلك.



المحاور: هل الشيخ صلاح شحادة كان يتابع العملية؟

القائد الشهيد محمود المبحوح: الشيخ صلاح شحادة -في حدّ علمي ومعلوماتي- أنه من خلال الزيارات كان يتابع وكان يعرف، الشيخ صلاح شحادة كان يُحرك ما تبقى من المجموعات والخلايا، لأننا لم نكن نعمل وحدنا، كانت هناك مجموعات أخرى، مثلاً في البريج وبالزيتون.

المحاور: متى انكشفت العملية؟

الشهيد محمود المبحوح: انكشفت بعد العملية الثانية، وضُرب الجهاز واعتُقل الشيخ صلاح، واعتُقل محمد الشراتحة.. والذي كان حركة الوصل بين المجموعات وبين السجون، وقد حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

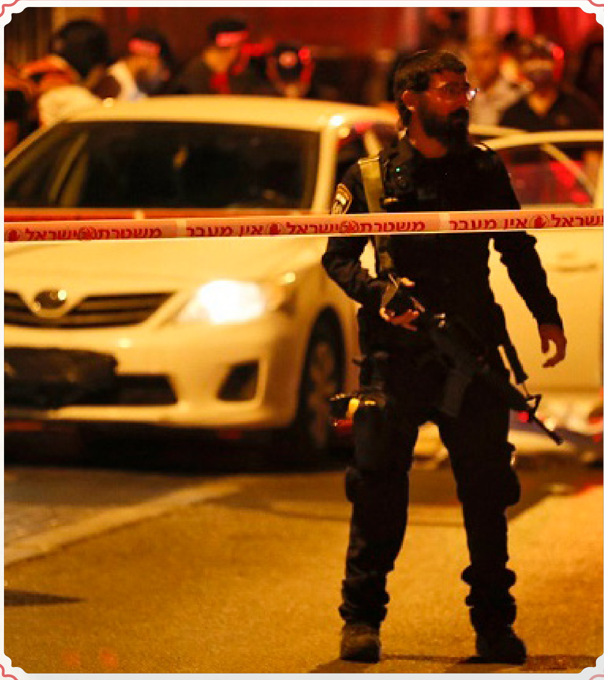

محمد الشراتحة

العملية الثانية

حُدد وقت العملية الثانية في ٣٠-٥-١٩٨٩، بعد العصر، بعد الساعة ٤م، توقفت الحافلة التابعة للمؤسسة العسكرية، ونزل منها اثنان من أفرادها، فأشاروا لنا لتوصيلهما، فقلت لهما بالعبري: لا يوجد إلا مكان واحد. لأننا -كما قلت سابقاً- قد وضعنا الصناديق في الخلف، ولا يوجد مكان بالفعل، فقد حصرنا الموضوع بدِقة، كي نستفرد بواحد فقط وليس أكثر من أجل نجاح العملية، وتحركنا مقابل معسكر القسطينا التابع للجيش، على الطريق السريع.

وبنفس الكيفية التي نفذنا بها العملية الأولى كانت العملية الثانية، وكان بحوزتنا مسدسات وسكاكين حادة ومسممة، ثم هممت أن أطلق على الجندي النار؛ لكن أبا صهيب كان أسرع مني وأطلق على رأسه النار، بينما أقود بسرعة ١٦٠ كيلو في الساعة، وقد تدفق الدم من رأس الجندي مثل النافورة وكان يصرخ قائلاً بالعبري: «أمي أمي» ثم انتهى أمره، وكان طوله نحو مترين وضخم الجثة، وقد ملأت الدماء السيارة وقتها.

ثم وصلنا إلى المكان المعدّ سلفاً ودفنّاه فيه، ثم انسحبنا، تركنا القطاع وجاوزنا منطقة جباليا والطريق الشرقية التي هي أقرب للحدود، ووضعنا السيارة في منطقة جبل الكاشف، وهناك في جبل الكاشف كان الأخ الموجود مع محمد الشراتحة وكنّا لا نعرفه وهو لا يعرفنا، كان مهمته جزاه الله خيراً أن يُغلق مكان الدفن، وأن يمحو أثر سيارتنا، ثم انسحب مع الشراتحة. وأما نحن.. فقد شعر اليهود بأن سيارةً مرّت فبدأوا بإطلاق النار علينا من كل الجهات، فانسحبت تجاه الغرب منبطحاً.. زحفت وركضت وجاوزت منطقة جبل الكاشف نحو شارع صلاح الدين، ومن شارع صلاح الدين ذهبت للمخيم، وكانت بحوزتي المسدسات.



علم اليهود من خلال الصحف والإذاعة أن هناك أمراً ما، لكن ما هو؟ لا يعرفون بالتحديد، كان ذلك يوم الأربعاء، ثم أتى يوم السبت وهاتف صاحب الجندي -الذي كان معه ولم يركب السيارة- أسرته، ولما عرف منهم أنه لم يذهب إلى البيت، قال لهم إنهما كانا سوياً وقد استقل ابنكم سيارة بيضاء، وذكَر مواصفات السيارة، فبلّغت أسرته أقرب نقطة شرطة، وبدأوا في البحث، وعرفوا أن هذا الجندي مثل سلفه المقتول، مفقود مخطوف، ومعنى ذلك أنه في غزة، ثم اعتُقل محمد الشراتحة، ومن اللحظة الأولى التي وجدوا فيها السيارة غادرنا بيوتنا.. من هذه اللحظة لم أنَم بالبيت، لأن السيارة أُخذت وبصماتنا عليها، وتوقعنا بنسبة ٨٠% أنهم سيصلوا إلينا.

ثم اعترف الشراتحة في التحقيقات بعد أن ناله التعذيب الشديد، وكُشفت المجموعات التي كان يتواصل معها، واعتُقل الشيخ أحمد ياسين وقتها، وعلِموا أن أبا صهيب والمبحوح وراء الخطف، فبدأت المطاردات من هذا التاريخ، بعد أربعة أيام من العملية، ٧ أو ٨ من شهر مايو ١٩٨٩م.

بدأ اليهود في مراقبتنا لكن من بعيد، فلم يحاولوا أن يداهموا بيوتنا، وقد شعرنا بذلك وأن هناك مراقبة شديدة حتى من بعض العملاء، وطُوردنا ومكثنا نحو شهرين ونصف بقطاع غزة، وبعد ذلك صدر قرار: لابد أن تغادروا، وفعلا غادرنا إلى مصر.



فكاك الأسرى

المحاور: وأنتم تقومون بعملية الخطف والقتل، هل فعلًا قضية الأسرى كانت تستحق كل هذا العمل؟

الشهيد القائد محمود المبحوح: بالطبع! انظر أخي الكريم.. الذي دخل السجن، ومرّ بمراحل التحقيق والتعذيب والتنقّل بين السجون، وحياة السجن عامةً.. يشعر بذلك أكثر ممن ليس لديه تجربة، وقد اعتُقلت أول مرة عام ١٩٨٧م، واعتقلت بعد ذلك أيضاً، وعشتُ حياة الأسرى وأشعر حتى الآن بما يشعرون به، لذلك لابد من التحرك لفكاك أسرهم، لأن هؤلاء الناس يستحقون منا ذلك حتى لو استُشهد منا مئات، يجب العمل على إخراجهم بأي طريقة، لكن الأمر يتطلب مزيداً من الصبر، وأنا الحمد لله يسمونني: «الثعلب»، فأنا في مكاني هذا أشعر بما خلف الحائط! وهذا من فضل ربي وليس من عندي، فالحمد لله عندي حِس أمني قوي جدًا، وقد حاولوا اغتيالي ثلاث مرات.

يوم الشهيد (عز) كنت في الطريق لأستقل السيارة وكانوا يلصقون عبوة ناسفة بها، فرأوني فلاذوا بالفرار، وفي لبنان عام ١٩٩١م حاولوا اغتيالي أيضاً، ويوم الشهيد عماد غنيّة، شاهدت أحد الناس يترصدني، ولما رآني هرب، كان بعيدًا، المكان كله كاميرات ومغلق، فكان يرصدني من بعيد، فيجب على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، وأنا الحمد لله حركتي وأمني الشخصي لا أغفل عنه دقيقة واحدة، حتى وأنا معك لا أغفل نهائيًا الحمد لله، هذا من فضل الله، وفي النهاية الأعمار بيد الله. نحن نعرف ثمن هذا الطريق وليس عندنا أي مشكلة، رب العالمين يصطفي منكم شهداء، نسأل الله أن يمكننا أكثر، وإن شاء الله ننال الشهادة.

المحاور: في العُرف الإسرائيلي يدك ملطخة بالدم الإسرائيلي.

الشهيد محمود المبحوح (ضاحكاً): هذا في العرف الإسرائيلي.. أما عند رب العالمين؟ فأهم شيء ماذا عند رب العالمين. أما القتلة والمجرمون فهم اليهود الذين سلبوا الأرض وهتكوا العِرض، وبالأمس قتلوا الأطفال، والمجازر التي حدثت في غزة، نسأل الله أن تمكن المقاومة ولا يمر هذا الأمر مرور الكرام، إن شاء يكون بالمقابل هناك ردود قوية.

﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾



الشيخ عبد الكريم يونس الخطيب

رحمه الله

﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾

[الأنفال: ٦٦].

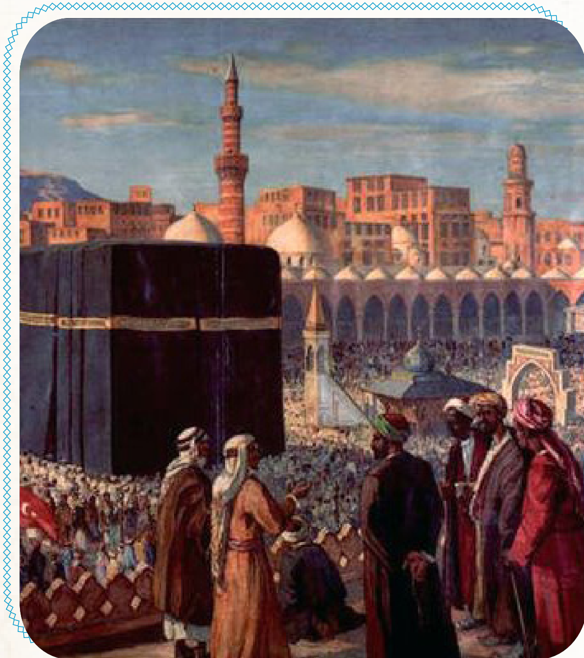
هذا الخبر الذي تلقّاه المسلمون من هذه الآية هو خبر على حقيقته، لم يقصد به الأمر، بأن يكلّف المسلم التغلب على اثنين من الكافرين بدلاً من عشرة.. بل إن هذا الخبر يثير في نفس المسلم شعورين:

---

* عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (٥/ ٦٧١- ٦٧٦).

أولهما: الإحساس بأنه وإن كان في كيانه من القوّة ما يقوم لعشرة من الكافرين، فقد عرضت له عوارض من خارج نفسه، قد أخذت من تلك القوة لحسابها، حتى تتوازن، وتحتفظ بأدنى مستوى من القوة يكون عليها المؤمن في قتاله للكافرين..

ذلك أن هذا الضعف الذي ورد على المسلمين لم يكن مؤثراً على تلك الجماعة التي التقى بها الإسلام على أول الطريق، والتي آمنت به إيماناً اشتمل على وجودها كلّه.. فهذه الجماعة لم تزدها صحبتها للإسلام إلّا قوة إلى قوة، ويقيناً إلى يقين.. وإنما جاء الضعف إليها مع أولئك الذين دخلوا في دين الله أفواجاً، فآمنوا كما آمن الناس، متابعةً لرؤسائهم وأصحاب الكلمة فيهم، دون أن يتعرّفوا إلى الإسلام، وأن يخلطوا أنفسهم به، ويضيفوا وجودهم إليه، وهؤلاء كانوا معظم الأعراب الذين يقول الله سبحانه فيهم: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤]. ولهذا فقد ارتدّ كثير منهم عن الإسلام، بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، إذ لم يكُ الإيمان قد دخل قلوبهم وسكن إليها.



فهؤلاء مسلمون قد دخلوا في صفوف المسلمين، وحاربوا مع المؤمنين، فلم يكن فيهم من القوى الروحية ما يرفعهم كثيراً عن المشركين، ويجعل قوة الواحد منهم تعدل قوة رجلين من العدوّ، فضلاً عن عشرة.. ولهذا أضيف حسابهم إلى حساب الصفوة المختارة من المسلمين، من صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار، الذين كانت ولا تزال قوة الواحد منهم تعدل عشرة من الكافرين.. وبهذا صار حساب المسلمين



في مجموعهم قائماً على هذا التقدير: الواحد منهم باثنين من عدوّهم.. على حين أن أصحاب رسول الله ﷺ ما زال الواحد منهم يرجح في نفسه عشرة من الكافرين، بل وأكثر من هذا.. فإن صحابة رسول الله ﷺ لم يكونوا على درجة واحدة في هذه القوة.. بل كان فيهم من يرجح العشرين، والثلاثين بل والمائة من العدوّ، على حين كان فيهم من يرجح الاثنين أو الثلاثة أو الأربعة، أو العشرة.. فإذا أضيف حساب بعضهم إلى بعض كانوا في مجموعهم على هذا التقدير الذي أخبر القرآن الكريم به، وهو أن الواحد منهم يرجح عشرة من عدوهم.

وهذا هو السرّ في أن المؤمنين قد لبسوا صفة واحدة، وحسبوا كياناً واحداً في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ولم يجئ الخبر القرآني عنهم بلفظ المفرد.. هكذا: الواحد منكم يغلب عشرة، وهذا هو السرّ أيضاً في أن حساب المؤمنين كان في أول الأمر محصوراً في أعداد قليلة.. عشرين ومائة، على حين كان بعد ذلك مدلولاً عليه بالمئة والألف.. إذ كانوا في الأول أعداداً قليلة في مجموعهم، ثم تضاعفت هذه الأعداد، فكانت ألوفاً ألوفاً.

- وثاني الشعورين اللذين يجدهما المسلم من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ...﴾، أنّه على أية حال يكون عليها المسلمون -في مجموعهم- من الضعف، فإنهم أرجح كفّة من عدوّهم في مجموعه، وأن جماعتهم المقاتلة تغلب الجماعة المقاتلة لها ولو كانت مثليها في العدد.. وهذا ميزان المسلمين المقاتلين دائماً،

في أي حال، بل وفي أسوأ حال، لأنهم إنما يقاتلون في جبهة الحق، ومن أجل قضية الحقّ.. وهذا من شأنه أن يقيم في كيانهم شعوراً بأنهم إنما يقاتلون لله، وفي سبيل الله، لا لأنفسهم، ولا لدنيا يريدونها.. فهم -والحال كذلك- جند من جند الله، يمدّهم الله بعونه، وتأييده، ونصره. وهذا ما يشير إليه تعالى، فيما كان عليه المؤمنون والمشركون في غزوة بدر، إذ يقول سبحانه: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وعلى هذا، فإن قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ...﴾ ليس مراداً به رفع حكم كان واقعاً على المؤمنين، ملزِماً لهم، حيث كان الواحد منهم مطالَباً بقتال وقتل عشرة من العدو، ثم أصبح مطالباً بقتال وقتل اثنين؛ بل إنه إلفات للمسلمين إلى ما أمدّهم الله سبحانه وتعالى به من أنصار وأعوان، حين كثّر أعدادهم، وأنهم الآن ليسوا هم وحدهم الذين يحملون عبء الدفاع عن الدعوة الإسلامية، في وجه عدو يملأ وجه الأرض حولهم، فقد كثرت أعداد المسلمين معهم، وإن كانوا أضعف منهم إيماناً وصبراً على مكاره الحرب واستبسالاً في لقاء العدوّ.



فالآية الأولى خبر يكشف عن حال، والآية الثانية خبر آخر يكشف عن حال أخرى. وعلى هذا تظل الآيتان تحدّثان عن حالين من أحوال المسلمين،

حالهم حين يكون إيمانهم على هذا المستوى الذي كان عليه المسلمون الأولون السابقون من المهاجرين والأنصار، وحالهم حين يضعف إيمانهم فتعرض لهم عوارض الضعف والوهن في لقاء عدوّهم.



وهذا من شأنه ألا يقطع الأمل في نفوس المسلمين بأن ينشدوا القوة دائماً، وأن يلتمسوها في الإيمان والصبر، وأنه كلما قوي إيمانهم وصبرهم.. قويتْ شوكتهم، واشتدت على العدوّ وطأتهم، وكان حساب الواحد منهم راجحاً بعشرة من العدو المقاتل لهم. فإذا كانت جماعة من جماعات المسلمين في صِقع من أصقاع الأرض، تقاتل في سبيل الله، وكانت في قلة ظاهرة أمام عدوّ كثيف العدد، فإنّ لها أن تنشد المدد من الإيمان بالله، وأن تنظر إلى نفسها على ضوء قول الله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، فإن هم فعلوا ذلك، وأخلصوا النية والعمل لله، حققوا هذا الوصف الذي وصف الله سبحانه وتعالى به المؤمنين، الذين خلت نفوسهم من الضعف، والوهن.

وقد فعل المسلمون هذا فعلاً في سيرتهم مع الإسلام، وفي انتصارهم على أعداد تكثرهم أكثر من عشرة أضعاف. فإن كنت في شك من هذا فاسأل التاريخ.. بكم من المسلمين فتح خالد بن الوليد مملكة فارس؟ وبكم من المسلمين فتح أبو عبيدة بن الجراح بلاد الروم؟ وكم كانت أعداد المسلمين الذين فتح بهم عمرو بن العاص مصر؟ وبكم من المسلمين اقتحم طارق بن زياد بلاد الأندلس، واستولى على زمام الأمر فيها؟ وجواب التاريخ هنا شهادة قاطعة بأن المسلم إذا استنجد بإيمانه بالله، كان وحده كتيبة تغلب العشرات، لا العشرة من جند العدوّ.. ونسأل:

ترى لو فهم المسلمون هاتين الآيتين -الناسخة والمنسوخة- على أنهما حُكمان ملزمان لهم.. أكان هذا الذي كان منهم، فيما يحدّث به التاريخ عنهم في ميدان القتال؟ وفيما حققوه من نصر مبين على أعدائهم الذين التقوا بهم في أكثر من ميدان وهم قلة قليلة في وجه أعداد كثيرة، إذا أحصيت كان المسلم محسوباً فيها بحساب عشرات وعشرات؟

وفي قوله تعالى في وصف العدو المقاتل للمؤمنين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما يكشف عن الفارق الذي فرق بينهم وبين المؤمنين، حتى كان المؤمن يغلب عشرة منهم، وقد يكون في هؤلاء العشرة من هو أقوى قوةً، وأمتن بناء، وأشدّ ساعداً.. ذلك أن المشركين والكافرين من أعداء المؤمنين ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾أي لا يسكن إلى كيانهم إيمان بالله، وباليوم الآخر، فهم حين يقاتلون إنما يقاتلون على مخاطرة بحياتهم التي يحيونها في الدنيا، ولا تخطر ببالهم خاطرة أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أخلد وأبقى، وأطيب وأهنأ لمن آمن واتقى، ومن هنا كان حرصهم على ما في أيديهم من حياة حرص الشحيح على شربة ماء تقع ليده على ظمأ في صحراء. ومن هنا أيضاً كان جُبنهم في مواقف القتال، وانحلال عزائمهم، وزيغان أبصارهم، وتطاير قلوبهم هلعاً وفزعاً.

هذا، على حين أن المؤمن يقاتل وهو على «فقه» بالموقف الذي يقِفه، وأنه صائر به إلى إحدى الحسنيين:

إما النصر الذي يُكتب به للإسلام عزّاً، وينال به عند الله أجراً، وإما الاستشهاد الذي ينتقل به إلى دار خير من داره، وإلى عالم أكرم وأطيب من عالمه، حيث ينطلق في رحاب الله، ينعم بما تشتهي الأنفس وتَلَذّ الأعين، في جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

مَن يحمل الرشاش من بعدي؟

وصية الشهيد الفتى:

أبو القاسم محمد فتحي فرحات (١٧ عاماً)



محمد فتحي فرحات

تقبّله الله*

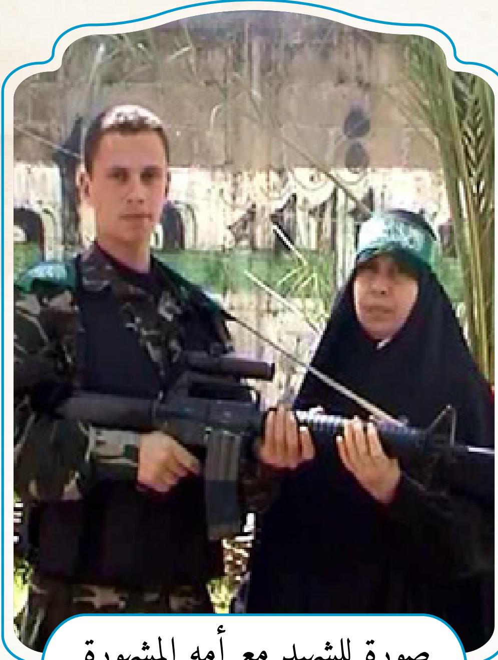
- مَن يحمل الرشاش من بعدي ويلقي بالقنابل ويقتحم المستوطنات ويفجّر نفسه؟
- أول خطوة في طريق الجهاد هي الالتزام بتعاليم القرآن والنهج على درب المصطفى ﷺ
- الحياة مؤقتة.. يعقبها الموت ويعكّرها الفوت
- والله إنها لبئس الحياة يتحكّم بها الطغاة المستكبرون

---

* محمد فتحي فرحات (العمر ١٧ عاماً)، استشهد في تنفيذ عملية اقتحام لمدرسة تدريب الجنود داخل مغتصبة عتصمونا في ٢٣ ذي الحجة ١٤٢٢ هـ الموافق ٧ مارس ٢٠٠٢م. حيث خاض اشتباكاً مسلحاً مع العشرات من الجنود وحده. مصدر وصيته: موقع (إسلام ويب) الإلكتروني، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠٠٤م، بعنوان: وصية الشهيد البطل محمد فتحي فرحات.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

إلى أهلي.. إخوتي.. أحبتي.. أمل الجهاد المتأجج في ناظري.. إلى عمالقة الالتزام الصادق.. إلى كل المتمسكين رغم كثرة المفرطين.. إلى أبطال مستقبل هذا الدين.. إلى فرسان الحق والقوة والحرية.. إلى رواد مسجد الإصلاح:


صورة للشهيد مع أمه المشهورة بخنساء فلسطين

إنني أكتب رسالتي وأنا في خندق الجهاد والمقاومة بين الرصاص والقنابل، وبجانبي رشاشي ينتظر المعركة وهو مشتاق إلى خلع رؤوس اليهود وأعوان اليهود من بين الأحداث، وهذه المخاطر تذكركم وأنتم تجلسون حولي في أيام قد خلت فقلت لنفسي: مَن فيهم يحمل الرشاش من بعدي ويلقي بالقنابل ويقتحم المستوطنات ويفجر نفسه؟ مَن فيهم هانت عليه الدنيا ورقّت روحه وتألقت لمعانقة الشهادة؟ كي أخفي عنده سر الجهاد، من فيهم يا ترى يرث (وسام فرحات- رائد الحلاق - محمد دخان)؟

من فيهم سوف يذكرني فلا ينام الليل يحلم بالجهاد ويظل يفكر كيف السبيل لقتل اليهود وأذنابهم الأوغاد؟ مَن فيهم يرفع راية القسام عاليةً كما رفعها إخواننا في زمن الذل والعار؟

أحبّتي.. إن أول خطوة في طريق الجهاد هي الالتزام بتعاليم القرآن والنهج على درب المصطفى ﷺ، وثاني خطوة في الجهاد ألا تنام الليل إلا وأنت تنظر في حال البلاد والعباد، ومِن بعد ذلك يبدأ الاستعداد ليوم اللقاء مع البنادق والقنابل والصواريخ لتكون الشهادة أو نصر ينزله رب العباد.. هذه خطانا في خنادق

القسام فهل لكم أمنيات فتتقدموا كي تبدؤوا الطريق وتستعدوا كي تلحقوا بإخوان لكم هانت عليهم الدنيا وباعوها بما فيها كي يصلوا بثمنها إلى رضا الله وإلى جنات الفردوس الأعلى وإلى حوض النبي ﷺ؟

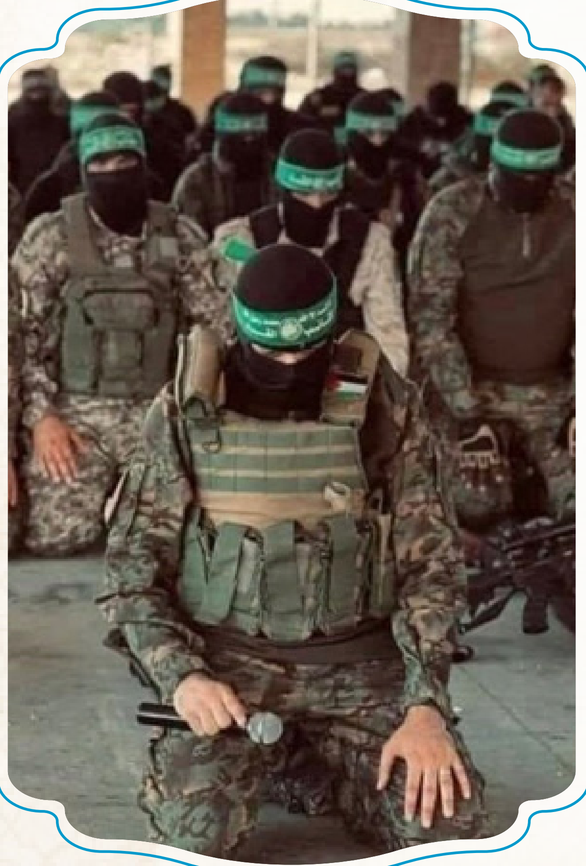


إخواني و أحبتي: أصبحت الناس تدّعي أنها تخاف من النار وتعمل لها، وتدّعي بأنها تحب الجنة وتبتعد عنها، إنه من يبعد عن كتاب الله سيخسر الكثير الكثير.. لا تنظروا إلى تلك الإغراءات البخيسة التي لا قيمة لها عند الله عز وجل فأنتم بين الفتن وحب الشهوات، وأنا شهوتي الجنة فاخترتها.. عقدت صفقة في تجارة رابحة وهي الجنة، وأرجو منكم السماح لتأخري في الانتقام من الخونة. وأحذّركم من البُعد عن كتاب الله عز وجل؛ فكم من أناس نسوا الله فأنساهم أنفسهم.. فأنا إن شاء الله عند ربي في جناته سأكون عند: عز الدين القسام - عبد الله عزام - عماد عقل - يحيى عياش - عوض سلمي - محمود أبو هنود - حسن عباس - أسامة حلس - بلال الغول.

إخواني وأحبتي.. إن الحياة بجوار رب العزة لهي الأفضل، خير من أي حياة.. والله إنها لبئس الحياة يتحكّم بها الطغاة المستكبرون.. والله إنها لشهادة لا تنتهي.. لا تنتهي ولا يصل الحبيب إلى الحبيب إلا شريداً أو شهيداً. يا أبناء الكتلة الإسلامية.. يا أبناء حماس... يا رواد المساجد -وخاصة مسجد الإصلاح- أنتم أبناء الإسلام، سوف تبقون الصوت الذي يصرخ بشجاعة في مواجهة كل المفاهيم لكي تستيقظ الأمة من نومها العميق، وسوف تبقون أنتم الرصاصة والبندقية التي تقاتل المحتل وأعوانه.

إخواني وأحبّتي.. علمتْني الحياة في ظل الدعوة أن الحياة مؤقتة يعقبها الموت ويعكرها الفوت، فكم من حي مات دون مطلبه ولم يظفر بمرغوبه، رغم بذل النفس والنفيس والغالي والرخيص، والدنيا غرارة خداعة إذا حلت أوحلت، إذا جلت أوجلت، وإذا كست أوكست، وكم مِن ملِك رُفعت له علامات فلما علا مات؟ أما الآخرة فهي حياة المؤمن، لذة باقية، ليس فيها لاغية؛ ففي الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ فلا تشترِ القليل بالكثير، والعاجلة بالآجلة، والفانية بالباقية، وعلينا أن نتقدم لنسكن الدار الثانية.

إخواني.. أحبتي: طريق الدعوة إلى الله ليست رتبة شرفية ولا حقيبة وزارية أو مهنة حكومية، بل الطريق محفوف بالمكاره مليء بالمفاجآت، فيه تكليف ثقيل وهمّ جسيم، وعلى الداعية أن يعدّ الزاد لأن السفر طويل؛ لكنها خير طريق؛ إذ إنها توصل إلى الجنة.



إخواني وأحبتي.. إن صلاة الفجر في جماعة هي محضن الرجال وملتقى المخلصين وعنوان المجاهدين، وخير كبير لا يعدله شيء في بابه، ويكفي أن صاحبها يعيش في ذمة الله، وإن قيام الليل مدرسة الأجيال ومحضن الرجال وسِمة المجاهدين، إشارة المنتصرين ودأب الصالحين.

كما أنني أطالب السلطة الفلسطينية وعلى رأسها الأجهزة الأمنية بعدم ملاحقة المجاهدين الذي يقلقون راحة العدو، وأن تبتعدوا عن حماية المستوطنات حتى يذيق المجاهدون العدو العلقم المر.

يا أبناء حماس.. يا أبناء القسام: يا مَن اصطفاكم الله من خلقه ليحقق بكم قدَره وليُجري أسبابه فيعيد على أيديكم قوة دينه ويعلي بكم راياته ويحقق بكم وعيده بإساءة وجوه بني صهيون.. فمزيد من الرباط على نهجه. يا أبناء حماس.. يا أبناء القسام: تقدّموا الصفوف، احملوا الرايات، رايات الجهاد والدفاع عن حياض الدين والوطن، ولا تخاذلوا ولا تتولوا فيستبدل الله بكم خيراً منكم.

إخواني وأحبتي.. أوصيكم بتقوى الله سبحانه وتعالى والوحدة (وحدة الصف) في وجه الأعداء.. إلى كل من أحبائي وإخواني ومن يعرفني أو طرح عليّ سلامًا أو أخطأت في حقه: أن يسامحني ويدعو الله أن يتولانا برحمته وأن يرزقنا الشهادة في سبيل الله.



إلى الوالد والوالدة: أن يلهمهما الصبر والثبات، وليس بوسعي إلا أن أهنئكم باستشهادي إن شاء الله.

وفي الختام: أعوذ بالله من كبوة الجواد ومن سقطة اللسان ومن زلة العالم، ونسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الجمعة ٢٠٠٢/٣/١، أخوكم الشهيد الحي (إن شاء الله): أبو القاسم.

وصيّتي



الشهيد فادي محمود أبو شخيدم

تقبّله الله*

- كلماتنا تستوجب التضحية وإلا ستبقى بلا روح
- ما كانت سنوات عمري السابقة إلا إعداداً للشهادة في سبيل الله
- خير طريق أن نفدي الأقصى بدمائنا
- وطّنوا أنفسكم على الرباط والجهاد وفكّوا أغلال الدنيا عنكم

* شهيد عملية القدس في صباح الأحد ٢١-١١-٢٠٢١م، بالقرب من حائط البراق، حيث تمكن الشهيد من إخفاء السلاح رغم الحواجز المشددة، ثم اشتبك مع المحتلين من المستوطنين والشرطة الصهيونية، ليُردي عدداً منهم بين قتيل وجريح، قبل أن يستشهد في سبيل الله تعالى. مصدر الوصية: موقع (جي ميديا) الإلكتروني: jmedia.news



بسم الله الرحمن الرحيم..

أنا فادي أبو شخيدم، أكتب حروفي هذه وأنا بأعلى درجات السعادة، استعدادًا لتتويج سنوات من العمل الدؤوب المتواصل للقاء الله تعالى، فمنذ أن عرفتْ قدماي المسجد وأُشربت القرآن والسنة وأنا أحلم بقرب لقاء الله تعالى شهيدًا بإذن الله، وما كانت سنوات عمري السابقة إلا إعدادًا واستعدادًا إيمانيًا وعسكريًا لهذه اللحظة المباركة.

• • أمي وإخواني وزوجتي وأولادي وبناتي:

والله إن الحياة في ظلكم شرف ورفعة لكن ما عند الله أشرف وأرفع وأعلى، وكم كنتم لي عونًا وسندًا في حياتي فكان عليّ حقًا أن أجازيكم بخير منه.. ذلك أنه بلغنا عن نبينا ﷺ أن الشهيد يشفع لأهله، وأسال الله أن أكون شفيعًا لكم ولوالديّ.

فاصبروا واحتسبوا وأثبتوا، واعلموا إني اخترت هذا الطريق مرضاةً لله وفوزًا بجنة الله تعالى، فالحياة قصيرة وأفلح من جعلها لله واستطاع أن يضحّي بنفسه لله، فأوصيكم بالثبات على دين الله، فدينكم لحمكم ودمكم، وأقصاكم عزكم وفخركم.

● ● إخواني رفقاء الدعوة والعمل الإسلامي:

إن كلماتنا ودعوتنا المباركة التي نعمل فيها منذ نعومة أظفارنا تستوجب علينا التضحية والفداء؛ فلا تبقى كلمتنا ميتة دون روح فلا بد للكلمة من شاهد على صدقها وهو العمل، وخير تغيير التغيير بالتضحية، وموافقة القول الفعل، وبعد هذه السنوات من العمل وطلب العلم وتعليمه للناس أقول: لابد وأن نقود المركب بدمائنا وأن نكون القدوة العملية في باب الجهاد كما يعتبرنا الناس قدوةً لهم في العلم والعمل، وخير الطريق لنا في ظل الظلم الذي يتعرض له مسجدنا أن نفديه بدمائنا، فلا حياة لنا بعزة وكرامة ومسجدنا حاله يومًا بعد يوم تسوء وتزداد الهجمات عليه؛ فوطّنوا أنفسكم على الرباط والجهاد والتضحية والفداء، وفكّوا أغلال الدنيا عنكم، قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده! لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سريّة تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويَشُق عليهم أن يتخلّفوا عني، والذي نفس محمد بيده! لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»[1].

فحيهلا ومرحباً وهنيئاً بوصية رسول الله ﷺ وأسأل الله أن أكون رفيقه ﷺ على الحوض! اللهم آمين ولكم مثلها إن شاء الله!

● ● طلابي وطالباتي، الغوالي الغاليات:

ما يتجاوز العشرين عامًا مرّت وأنا أعلّم وأدرّس في المدارس والمساجد ودار الفقه ودار القرآن ودار الحديث وغيرها من محاضن التربية

١ رواه البخاري ومسلم.

والتعليم، وكنت في كل لقاء أحزن لأن غيري سبقني إلى الجنة مقبلاً غير مدبر، وكنت أحدثكم بقصص هؤلاء من لدن صحابة رسول الله ﷺ حتى أسود الإسلام في عصرنا، ووالله ما فارقت الدمعة عيني عند الحديث عنهم لكني كنت أعد وأستعد للحاق بهم والسير في ركبهم، واليوم أحبتي أغادركم للحاق بهم، وأوصي كل فرد منكم بالثبات والاستمرار في هذا الطريق فهو طريق الأنبياء والصالحين الذي لا يخطئ، ولقاؤنا بإذن الله الجنة، فلا تبخلوا عليّ بالدعاء والمسامحة.

وأخيرًا فيا أهل بيت المقدس:

اختاركم الله للرباط فيه والذود عن مسرى نبيكم ﷺ، فلا تخذلوا المسرى واعلموا أن حلول مشاكلكم تبدأ من رباطكم وجهادكم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فوحدتكم في أقصاكم، وزوال المشاكل الاجتماعية والعائلية في ضبط البوصلة نحو مسجدكم المبارك، ووالله ثم والله إن مسراكم وأقصاكم ينتظر منا الكثير فأعيدوا الرباط والبوصلة نحوه. والله يتولاكم وهو خير الناصرين.

وأختم وصيتي هذه بطلب الدعاء لي بالقبول والمغفرة والرحمة ورفع الدرجات، ومن كان له حق عليّ فله أن يطالب أهلي به أو أن يسامحني، ومن كان لي حق عليه فإني أبرؤه منه لوجه الله تعالى، أسأل الله أن يتقبلني وأن يتقبل مني جهدي وجهادي، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وعلى من سار على هديه إلى يوم الدين.

أخوكم المحب الشهيد الحي بإذن الله تعالى:

فادي محمود أبو شخيدم، أبو عبد الرحمن

٢٠٢١/١١/٢٠م - ١٥ ربيع الثاني ١٤٤٣هـ

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى



﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾



د. عبد العزيز الطريفي

فك الله أسره*

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. المقاتَلةُ تكونُ بين طرفَيْنِ، وهي مِن الـمُفاعلَةِ؛ فكلُّ طرَفٍ حريصٌ على قَتْلِ الآخَرِ، وأمَّا القتلُ فيكونُ مِن واحدٍ لآخَرَ، ولا يَلْزَمُ منه حرصُ الآخَرِ على قَتْلِه. وهذه الآيةُ أوَّلُ آيةٍ نزَلَتْ في القتالِ في المدينةِ، وقد كان المسلِمُونَ يتهيَّؤونَ للذَّهَابِ إلى مَكَّةَ لعُمْرةِ القَضَاءِ سنةَ سِتٍّ، وظنَّ المسلِمونَ غَدْرَ المشرِكينَ بالعهدِ، ويَخشَوْنَ مِن مباغَتَتِهم لهم بالقتالِ، ولم يكُنْ أُذِنَ لهم بالقتالِ في مِثْلِ هذه الحالِ؛ فأنزَلَ اللهُ الآيةَ بيانًا لذلك.

---

* عبد العزيز الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن (١/٢٦٣) وما بعدها.

روى ابنُ جريرٍ الطبريُّ، مِن حديثِ أبي جعفرٍ، عنِ الرَّبيعِ، في قولِه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، قالَ: «هذه أوَّلُ آيةٍ نزَلَتْ في القتالِ بالمدينةِ، فلمَّا نزَلَتْ، كان رسولُ اللهِ ﷺ يقاتِلُ مَن يقاتِلُه، ويكُفُّ عمَّن كفَّ عنه، حتَّى نزلَتْ (بَرَاءَةٌ)، ولم يذكُرْ عبدُ الرحمنِ المدينة»[1].



ولـمَّا كانتِ الآيةُ مقيَّدةً بالمقاتَلةِ عند بدءِ العدوِّ بالقتالِ، مع النهيِ عن العدوانِ، حمَلَ بعضُ المفسِّرينَ مِن السَّلَفِ ما جاء مِن آياتٍ آمِرةٍ بالجهادِ بالإطلاقِ على أنها ناسِخةٌ لهذه الآيةِ، فقد روى ابنُ جَريرٍ عنِ ابنِ وهبٍ، قال: قال ابنُ زَيْدٍ، في قولِه ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ إلى آخرِ الآيةِ، قال: قد نُسِخَ هذا! وقرأَ قولَ اللهِ ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الناسخةُ، وقرأَ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، حتَّى بلَغَ ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥][2].

وبعضُ المفسِّرينَ جعَلَ الآيةَ مُحكَمةً لم تُنسَخْ، وأنَّ العُدْوانَ المقصودَ هو النهيُ عن قتالِ الصِّبْيانِ والنِّسَاءِ والشُّيوخِ، وأنَّ الحكمَ باقٍ في مِثْلِ تلك الحالاتِ التي كان عليها المسلمونَ؛ فعن مُعاوِيةَ، عن عليٍّ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ يقولُ: «لا تقتُلوا النِّساءَ ولا الصِّبيانَ ولا الشيخَ الكبيرَ، ولا مَنْ ألقَى إليكم السَّلَمَ وكفَّ يدَه؛ فإن فعلتم

[1] «تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

[2] «تفسير الطبري» (٣/ ٢٩٠).

هذا، فقَدِ اعتديتُم»[٣]. وعن يحيى بنِ يحيى الغَسَّانيِّ، قال: كتَبْتُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أسألُه عن قولِه: ﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، قال: فكتَبَ إليَّ: «إنَّ ذلكَ في النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ ومَن لم ينصِبْ لكَ الحربَ منهُم»، رواهُ ابنُ جريرٍ[٤]، وجاء هذا القولُ عن مجاهدٍ أيضًا[٥]. وهذا الأشبهُ بالصوابِ، صوَّبَه أبو جعفرٍ النَّحَّاسُ.



حكمُ قتلِ النساءِ والصبيانِ

والمقاتَلةُ تكونُ مِن طرفَيْنِ، والنساءُ والصبيانُ والشُّيوخُ لا يُقاتِلونَ، وكلُّ مَن لم يُقاتِلِ المؤمنينَ، فلا يَدخُلُ في الآيةِ؛ وهذا هو الأصلُ. وحكى ابنُ عبدِ البرِّ الإجماعَ على تحريمِ قتلِ النساءِ والصبيانِ إذا لم يُقاتِلُوا[٦].

وروى ابنُ أبي شَيْبَةَ، وابنُ عبدِ البرِّ، عن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: «كتَبَ عُمَرُ إلى أمراءِ الأجنادِ: لا تَقْتُلُوا امرأةً ولا صبيًّا، واقتُلُوا مَن جَرَتْ عليه المَوَاسي»[٧]. وروى سُنَيْدٌ، عن أبي بكرِ بنِ عَيَّاشٍ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ، قال: كتَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى جَعْوَنَةَ وكان أمَّرَهُ على الأدرابِ: «أنْ لا تَقتُلِ امرأةً، ولا شيخًا، ولا صغيرًا، ولا راهبًا»[٨].

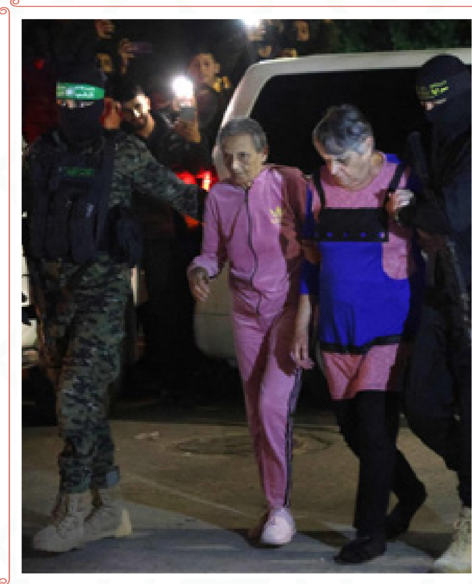
ولكنْ إذا دخَلَ النساءُ في صفوفِ القتالِ، وشارَكَ الشيوخُ معَهُمْ في القتالِ، فيدخُلُونَ في حكمِ المقاتِلينَ في قولِه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ عندَ أكثرِ العلماءِ، وهو قولُ الأئمَّةِ الأربعةِ

---

٣ «تفسير الطبري» (٣/ ٢٩١).
٤ «تفسير الطبري» (٣/ ٣٩٠).
٥ «تفسير الطبري» (٣/ ٢٩١).
٦ «الاستذكار» لابن عبد البر (١٤/ ٦٠).
٧ أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣١٢٩) (٦/ ٤٨٤)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (١٤/ ٦٤).
٨ «الاستذكار» لابن عبد البر (٤١/ ٣٦).

والليثِ وإسحاقَ. ويدخُلُ في هذا الحُكْمِ إذا كانت تشارِكُ في الحربِ في غيرِ قتالٍ، كالإمدادِ بالعُدَّةِ والعتَادِ، والتحريضِ بالشِّعْرِ والنَّدْبِ، وأمَّا إذا كانَتْ تصنعُ الطعامَ والشرابَ وتُداوِي الجَرْحى، فلا أرى أنَّ هذا يدخُلُ في بابِ المُقاتلَةِ؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ وعلاجَ المريضِ تَعملُه النساءُ في كلِّ حينٍ عادةً غالبةً لها، وأمَّا عُدَّةُ الحربِ والندبُ إلى القتالِ، فهذا ليس من شأنِ النساءِ، فدخُولُها فيه دخولٌ في حُكْمِ القِتالِ. روى ابنُ أبي شَيْبةَ، عن هِشَامٍ، عنِ الحسَنِ، قال: «إذا خَرَجَتِ المَرْأَةُ مِن المُشْرِكين تُقَاتِلُ، فَلْتقْتَلْ»[٩].

حكمُ قتلِ الراهبِ والشيخ الكبيرِ



ويَدخُلُ في الآيةِ الراهبُ والعُبَّادُ مِن بابِ أَوْلى؛ لاعتزالِه عن الناسِ، ما لم يُقاتِلْ أو يُحرِّضْ ويندُبِ الناسَ. ولا يدخُلُ الراهبُ في الاسترقاقِ، بل يبقى على حالِه، ويُترَكُ له مِن طعامِه ما يكْفِيه. وجمهور العلماءِ على عدمِ قتلِ الشيخِ الهَرِمِ الذي لا يُنتفَعُ به في قتالٍ، وهو قولُ أبي بكرٍ الصِّدّيقِ ليَزيدَ بنِ أبي سُفْيانَ حينَما بعثَهُ لقتالِ المشرِكينَ. وهو قولُ مالكٍ وأبي حنيفةَ، وروايةٌ عن الشافعيِّ. وللشافعيِّ قولٌ آخرُ، قال: «يُقتَلُ الفلاَّحونَ والأُجراءُ والشيوخُ الكبارُ، إلَّا أنْ يُسلِموا أو يؤدُّوا الجِزْيةَ». والشافعيُّ يفرِّقُ بين قصدِ النساءِ والصبيانِ بالقتلِ، وبين كونِهم في الدُّورِ التي يكونُ فيها المشرِكونَ، فيأخُذُ النساءُ والصبيانُ والشيوخُ حُكْمَ المقاتِلينَ،

---

٩ أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣١٤١) (٦/ ٤٨٥).

ويَستدِلُّ بحديثِ الصَّعْبِ بنِ جَثَّامَةَ رضي الله عنه؛ قال: «مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَبْوَاءِ -أَوْ بِوَدَّانَ- وَسُئِلَ عَن أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُصَابُ مِن نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، قَالَ: «هُم مِنْهُمْ»، وَسَمِعْتُه يَقُولُ: «لَا حِمَى إِلَّا لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ»، أخرَجَه الشيخانِ[10].



ورَمْيُ المشرِكِينَ في حصونِهم، وقتلُ الأطفال والنساءِ وَأسرى المسلمين تبعًا لذلك، دون أن يَقْصِدُوا عينًا: جوَّزَه كثيرٌ من الفقهاءِ؛ قال به مالكٌ والثَّوْريُّ وأبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ وغيرُهم. وقال الأوزاعيُّ: «إذا تترَّسَ الكفَّارُ بأطفالِ المسلمينَ لم يُرْمَوْا؛ لقولِ اللهِ عز وجل: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: ٢٥]»[11].

وإذا كان المسلِمُونَ لا يَمْلِكونَ فَكَّ أَسْراهُم، ولا يَملِكونَ تَفادِيَهم، ولا تفادِيَ نساءِ المشرِكِينَ ولا صِبْيانِهم ولا كَتَائِبِهم عند القتالِ الذي بتعجيلِه نُصْرةُ المسلِمِينَ، وبتأخيرِه ضعفٌ وهوانٌ وهزيمةٌ لهم، فيجبُ عليهم القتالُ ولو قُتِلَ أَسْرَى المسلِمِينَ وصِبيانُ المشرِكِينَ ونساؤُهم، مع أنَّ الحالاتِ في ذلك تتباينُ بحَسَبِ كَثْرةِ الأسرى والحاجةِ للقتالِ، وأثرِ تأخيرِ القتالِ على المسلِمِينَ. فهذه اعتباراتٌ لا بُدَّ من أخذِها عندَ الحُكْمِ على مسألةٍ بعينِها.

---

١٠ أخرجه البخاري (٣٠١٢) (4/ ٦١)، ومسلم (١٧٤٥) (٣/ ١٣٦٤).

١١ «الاستذكار» لابن عبد البر (١٤/ ٦٦).

حكمُ قتلِ الفلّاحين والعُمّال



والفَلَّاحُ والعامِلُ والأجيرُ لغيرِ الحربِ، وكلُّ مَنْ لم يقاتِلْ أو لم يُعِنْ على عُدَدِ الحربِ وعَتَادِها، أو لم يحرِّضْ على قتالٍ: فإنَّه لا يُقتَلُ، فصحَّ في (المسنَدِ)؛ مِن حديثِ المرقَّعِ بنِ صَيفِيٍّ، عن جَدِّهِ رَبَاحِ بنِ الرَّبِيعِ، أخي حَنْظَلَةَ الكَاتِبِ، أنه أَخْبَرَه: أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غزاها، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، فَمَرَّ رَبَاحٌ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، مِمَّا أَصَابَتِ المُقَدِّمَةُ، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ مِن خَلْقِهَا، حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ على رَاحِلَتِهِ، فَانْفَرَجُوا عَنْهَا، فَوَقَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ»، فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: «الْحَقْ خَالِدًا، فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا»؛ أخرجه أحمدُ وأبو داودَ والنَّسَائيُّ وابنُ ماجه[١٢].

وروى سعيدُ بنُ منصورٍ، عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ، قالَ: كَتَبَ عُمَرُ رضي الله عنه: «لَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، واتَّقُوا اللهَ فِي الْفَلَّاحِينَ الَّذِينَ لَا يَنْصُبُونَ لَكُمُ الْحَرْبَ»[١٣]. ورُوِيَ نحوُهُ عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ؛ رواه ابنُ المنذرِ[١٤]. والآيةُ محمولةٌ على جهادِ الدَّفْعِ عندَ صَوْلَةِ المشرِكِ وعدوانِه، وقد أنزَلَ اللهُ في القتالِ العامِّ متى توافَرَتْ أسبابُهُ ما في سورةِ التوبةِ؛ قال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. ومع

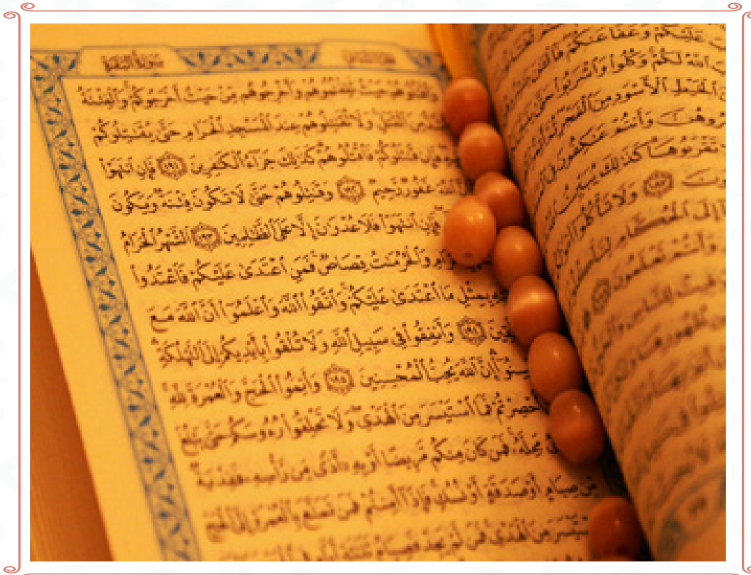
١٢ أخرجه أحمد (١٥٩٩٢) (٣/ ٤٨٨)، وابن ماجه (٢٨٤٢) (٢/ ٩٤٨)، وأبو داود (٢٦٦٩) (٣/ ٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٥٧١) (٨/ ٢٧).

١٣ أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٢٥) (٢/ ٢٨٠).

١٤ «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٤/ ٢٠).

أنَّ المسلمينَ في المدينةِ لم تكتمِلْ لهمُ القُوَّةُ، وأيضًا فشَوْكةُ المشرِكين بمكَّةَ قويَّةٌ؛ أنزَلَ اللهُ عليهِم الأمرَ بالقتالِ عند العدوانِ، وفيه أهميَّةُ الجهادِ، وإظهارُ قوةِ المسلمِينَ، وحالُ المسلِمِينَ حينئذٍ يُمكِنُ معَها ترْكُ العمرةِ، وعدَمُ التعرُّضِ للمشرِكينَ، ولكنَّ الإبقاءَ على أمرِ العُمْرةِ، وإظهارَ العُدَّةِ للمقاتَلةِ عند العُدْوانِ: يُورِثُ هَيْبةً للأُمَّةِ في نفوسِ المشرِكينَ. وأكثَرُ ما يُستضعَفُ المسلمُونَ عندَ تركِ الجهادِ وتركِ إظهارِ القوةِ، واللهُ جعلَ إظهارَ القوةِ وإعدادَ العُدَّةِ ولو بلا قتالٍ مَطْلَبًا، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ فإدخالُ الرهبةِ على نفوسِ المشرِكينَ مَقصَدٌ، وظهورُ ضعفِ المسلِمِينَ يجرِّئُ عليهم غيرَهُمْ.

قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩١، ١٩٢]. بعدَ أنْ كانَ أَمْرُ اللهِ بالقتالِ مقتصِرًا على مَن قاتَلَ واعتَدَى، واعترَضَ المسلِمِينَ ومالَهُمْ -وهو جهادُ الدَّفعِ- أمَرَ سبحانَهُ بجهادِ الطَّلَبِ؛ فاتَّسَعَتْ دائرةُ القتالِ. وهذه الآيةُ معطوفةٌ على الآيةِ السابقةِ بحرفِ العطفِ الواوِ، وجعَلَ بعضُ العُلَماءِ هذا قرينةً على أنَّ هذه الآياتِ نزلَتْ منتظِمةً في سياقٍ واحدٍ، ولم يَنسَخْ بعضُها بعضًا؛ فإنَّ عطْفَ بعضِها على بعضٍ يمنعُ مِن دعوى النَّسْخِ، وتأخُّرِ بعضِها عن بعضٍ بحيثُ يكونُ بينَهما زمنٌ وحوادثُ تُوجِبُ تغيُّرَ الحُكْمِ.



وقولُ ابنِ خوَيْزِمَنْدَادَ من المالكيَّةِ بأنَّ قولَه: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ منسوخٌ بقولِه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]: فيه نظرٌ؛ لما تقدَّم. وعطَفَ اللهُ الأمرَ بالقتلِ هنا: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾، بعدَ قولِه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ للاتصالِ بالمعنى الذي في الآيةِ السابقةِ؛ وذلك أنَّهم خارِجونَ للمقاتَلةِ، وسيُقابِلونَ المشرِكين؛ منهم مَن يقاتِلُ، ومِنهم مَن لا يُقاتِلُ؛ لعجزٍ أو خوفٍ، أو لكونِهِ خرَجَ تحريضًا وتشجيعًا فقطْ، فاحتاجُوا لبيانِ أنَّ حُكْمَ مَن خرَجَ للقتالِ حُكْمُ المقاتِلِ ولو لم يُقاتِلْ؛ ولذا قال: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾، يَعني: ولو بدونِ مُقاتَلتِه.

وقولُه تعالى: ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، أي: لَقِيتُموهم؛ أيْ: على كلِّ حالٍ؛ سواءٌ كانوا في حالةِ تنقُّلٍ أو راحةٍ أو تطلُّعٍ وتحسُّسٍ؛ وذلك ما داموا قاصِدينَ الاعتداءَ وقد بيَّنُوه؛ لاحتمالِ مُبادَرتِهم ومُباغَتَتِهم للمسلِمينَ بالعُدْوانِ، فكان الواجبُ عدمَ التفريقِ بين أحوالِهم؛ صيانةً للمسلِمينَ وحفظًا لدمائِهم.

وقولُه: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، أيْ: أخرِجُوهم مِن بَلَدِهم مَكَّةَ كما أخرَجُوكم منها، وفيه المعاقَبةُ بالمِثْلِ، وفيه أنَّ بَلَدَ المسلِمِينَ التي يُخرَجونَ منها لا تَسقُطُ عن كَوْنِها حقًّا لهم ولو تباعَدَ الزَّمَنُ، وأنَّ الوعدَ بإعادتِها ينبغي أنْ يكونَ حاضرًا متى ما تهيَّأَتِ الأسبابُ للأُمَّةِ.وقولُه تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾:الفتنةُ هي الاضطرابُ وتغيُّرُ الحالِ، هذا أصلُ معناها، ثمَّ إنَّها تُطلَقُ على كلِّ قولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ أدَّى إلى الاضطرابِ في حالِ الفردِ أو الأُمَّةِ؛ فالمالُ والوَلَدُ والجاهُ، والكَذِبُ والغِيبةُ والنَّميمةُ والحَرْبُ: فِتْنةٌ تؤدِّي إلى الاضطرابِ، والفتنةُ تكونُ دقيقةً، وتكونُ عظيمةً.

غزة العزة

جهاد الأمة في رأس حربتها



الشيخ حمود بن علي العمري

فك الله أسره*

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه بعض الخواطر عن جهاد الأمة في رأس حربتها، غزة العزة، أحببت أن أشارك بها في هذا الحدث العظيم مع بعض الأفكار، فأقول:

أولاً: إن هذه معركة أمة وليست معركة بضعة آلاف.. أقول هذا حتى لا يتصور أحد منا أن الأمر لا يعنيه، وأنه مجرد تعاطف مع إخوانه المسلمين.

ثانياً: يجب على العلماء والمفكرين الكتّابة في هذا الأمر وبيان الخطوات العملية التي يستطيع أن يقوم بها كل مسلم في الداخل والخارج، مهما قلت.

---

* أصل المقال مجموعة من المنشورات للشيخ حمود العمري، على: موقع إلكتروني: (إكس) أو (تويتر) سابقاً، عام ٢٠١٥م.

ثالثاً: تكريس الجهد في هذه المعركة بجميع ميادينها، فإنها لن تطول، ولكن أثرها سيمتدّ لسنين بإذن الله، ولا يحتقرن أحد منا عمله إذا بذل وُسعه.



إن فاتك الجهاد العسكري فهذا جهادك:

إن حصر المعركة في غزة في الجانب العسكري هو تحجيم لها وتآمر عليها، حتى تُعزل عن بقية الميادين التي يمكن للأمة المشاركة الفاعلة فيها، وهذا من الواجبات المتحتمات على أهل الرأي والفكر، أن يفتحوا للأمة جميع ميادين الجهاد الممكنة، حتى يعود نبض الحياة الجهادية للأمة كافة، وقد رأينا من الأمة أعداداً لما رأوا أن المشاركة العسكرية متعذرة في غزة أخلد إلى ذم الزمان وأهله، ثم لم يحرك جارحة في ميدان جهادي آخر وربما يكون ذلك الميدان بالنسبة له أكثر أثراً وأنفع لأهل غزة من لو كان بسلاحه معهم، فإن هذه المعركة معركة مفتوحة الميادين والمجالات.

فأما المجال العسكري الميداني المباشر فقد كفاكم فيه أبطال غزة، ولم يحرّجوا على الأمة في طلب عدد وأفراد، وفي الحديث: «ولا يُغلَب اثنا عشر ألفاً من قِلة»[1]، وكلامي هنا عن الشعوب المسلمة وليس عن الحكومات، فأمرهم لا يعنينا، كما أن أمرنا لا يعنيهم! فلا تعتقد أخي الغيور أن عدم قدرتك على مشاركة إخوانك في جهادهم المباشر، قد أخليت ذمتك من البحث عن مجال آخر يمكنك المشاركة فيه! وسأذكر بعضها بإذن الله، فأما المجال العسكري، فيمكن التأثير فيه ببعض الأمور منها مَن كان يملك خبرة قتالية أو عسكرية أو في آلية عسكرية أو في تصنيع أو في تطوير عسكري، فهذا الفضاء مفتوح بينك وبينهم فبادر،

[1] أخرجه أبو داود (٢٦١١) باختلاف يسير، والترمذي (١٥٥٥)، وأحمد (٢٦٨٢) واللفظ لهما. وصححه الشيخ أحمد شاكر.

فهذه جهود الخبراء الغزاوية قد أثمرت تطوير عشرات الصواريخ، حتى أصبحت المؤثر الأول في هذه المعركة، فأين علم وخبرات آلاف الخبراء المسلمين؟! وأين رسم الخطط العسكرية من آلاف المسلمين الذين قد أخذوا فيها الشهادات والخبرات؟! إن هذا الفضاء الحر قد كسر الحدود وقرب البعيد.

دورنا في تخفيف معاناة أهل غزة

ومن ناحية أخرى فإن الناظر إلى ميدان المعركة بين المجاهدين والصهاينة، يجد الكفة ولله الحمد للمجاهدين، وإنما كَلَب اليهود على المدنيين وهذا هو الذي يحز في قلوب المجاهدين، وليس وضعهم الميداني؛ فهو مبشر ولله الحمد، فإذا أسهمنا في تخفيف الضغط عن المجاهدين عن طريق رفع معاناة العزّل والمدنيين، فإن هذا هو أكبر ما يهم المجاهدين الميدانيين، وهذا التخفيف يكون بعدة طرق:



- **أولاً: التواصل مع كل أحد من الثقات الذين يوصلون تبرعاتكم إلى أهل غزة أو الأدوية أو كفالة الأيتام أو أي نوع من الدعم اللوجستي،** الذي يخفف الضغط على الخطوط الأمامية؛ فإن هذا سيكون له أثر، وكذلك استغلال المؤسسات الدولية والعالمية التي تستطيع أن تتحرك بسهولة في العالم، فإن هذه الوسائل ستخفف كذلك على المجاهدين، ولو لم يريدوا ذلك، فإنه يجب على جامع التبرعات أن يسلك أسلم الطرق لتوصيل أموال الناس وإغاثاتهم، وكذلك إغاثات الدول العربية أو غيرها الطبية أو الغذائية؛ فلا يُستهان بها فإنها ستسهم في تخفيف الضغط على مجاهد الخط الأمامي إذا شعر بتأمين إغاثة أهله وعلاجهم؛ فإذا تفرغ

المجاهد لليهود رأيتم عجباً! كما ينبغي على أهل الرأي العسكري أن يحشدوا جميع خبراتهم لعل شيئاً منها يتلقفه إخواننا هناك أو يطوره، فإن الخبرات من أنفس الأسلحة العسكرية.

- **ثانياً: أما في المجال السياسي فإنه من أعظم أبواب الجهاد اليوم**، **وهو على قسمين**، فالأول: في تحريك الرأي السياسي العالمي بجميع المحركات والمثيرات له، كما يجب على أساتذة السياسة والفكر رفع وعي الأمة السياسي؛ فهي في عمومها تمر بفترة ركود سياسي في شريحة كبيرة منها، وتخلف سياسي في شريحة أخرى، وهو القسم الثاني من الجهاد السياسي، كما يجب عليهم تفكيك الخطاب المتصهين المتعلق بغزة خصوصاً، فقد أثّروا على شريحة من بسطاء العامة، فليس سراً أن الخطاب والإعلام المتصهين أثّر على كثير من الناس، فإنه استخدم آليات مختلفة، وقد وصل إلى بعض منابر الجمعة، فهل نلوم العامة؟!

- **ثالثاً: جهاد المنافقين:** أيها الأفاضل إن شعورنا بأن حرب غزة، هي معركة الأمة، يحتّم علينا التفاعل في جميع ميادين الجهاد التي يمكن للأمة أفراداً وجماعات دخولها، إن جهاد الكفار مرتبط بجهاد المنافقين في كتاب الله وفي سيرة رسوله وفي تاريخ الأمة، وإن الفصل بينهما يوقع الأمة في النكبات المتكررة. وقد أعجبتني مقولة بعض الأفاضل حينما قال: «لقد كفانا أهل غزة جهاد الكفار، وتركوا لنا جهاد المنافقين»! فهذه حقيقة قاطعة، فإذا علمت أخي أن الإعلام اليهودي يخفف على حكومته الضغط



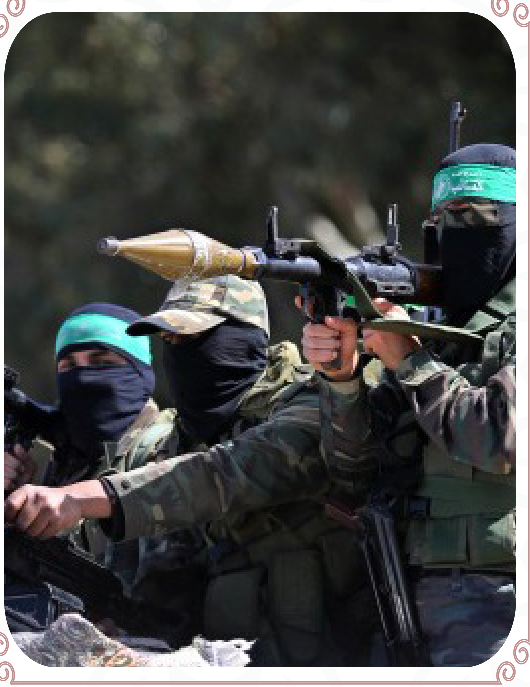
الشعبي بكتّابات بعض الصهاينة العرب، فماذا يكون واجبك تجاههم؟! يجب فضحهم وتشهيرهم وتعرية تاريخهم. وإن من واجب الوقت والساعة البيان لعامة الأمة حقيقة هذه الحرب ودوافعها، وعلاقتها بأطرافها المشبوهة المتصهينة من ليبراليين ومتمسلمين وغيرهم.

- **رابعاً: رفع المعنويات وتواصل الأمة:** كما ينبغي رفع معنويات الأمة وبيان كيف تحسنت مناعتها وحالها، فقد كان يُذبح من الأمة عشرات الآلاف ولا يَعلم بهم مَن كان على بُعد أميال منهم، أما اليوم وإن كنا نعيش تخلفاً سياسياً على مستوى الحكومات لكن الأمة تمر بأفضل حالاتها من عقود مديدة ولله الحمد، تُقصف غزة فتتفاعل معها الأمة من أقصاها إلى أقصاها، وكذلك هذا التواصل بين شعوب الأمة والحراك الفكري بينها مؤشرٌ حياة لهذه الأمة، وكذلك تواصلها مع نُخَبها الفكرية؛ فإن القطيعة بين الأمة ورموزها الفكرية والعلمية والشرعية والسياسية هو مطلب كل عدو للأمة، وهذا ما أخرج لنا مثل داعش وأشباهها من الأزمات.



يجب على أصحاب الوعي أن يخرجوا للأمة الرموز الحقيقية التي تمتلك القدرة على إدارة دفة الأمة في أزماتها المختلفة، حتى لا يكون عامة المسلمين كالغنم المطيرة، لا تدري ماذا تقول ولا ماذا تفعل، ولا ماذا تعتقد أحياناً، إن خروج هذا الطفح الفكري بأشكاله المختلفة يجعل مرجعيات الأمة في موضع النذير العُريان؛ فهذه جموع من الشباب تتلقفها تيارات مشبوهة، فمن سلِم من الليبرالية وقع في الجامية ومن سلِم منهما تصيّدته داعش! فهل يَسَع العلماء وأهل الفكر والرأي السكوت؟ لقد أتت غزة على هذه

التيارات فجلّتها وعرّتها للناس، فما بقي للعالم إلا توصيفهم الشرعي بأدلته. إن جهاد غزة يُعد معياراً للأمة فهو الجهاد الذي لا شبهة فيه من أجل ذلك اهتزت له الأمة بسوادها وتحرّج منه كل مَن كان في قلبه مرض وغل، لقد فتحت لنا غزة من أنواع الجهاد ما لم يفتحه لنا جهاد آخر، فهل تستثمر الرموز هذه الأحداث وتجدد للأمة وعيها السياسي والديني والفكري؟!



خصائص الجهاد الغزاوي

- **فأما خصائص هذا الجهاد، فأولاً:** نقاوته من كل شبهة، وسلامته من كل دخَن، ولله الحمد، وهذا ما جعل الأمة تتفاعل معه من كل جوانبها، إلا من خاب وخسر.

- **ثانياً:** هذا الجهاد الغزاوي مع أنه رأس حربة جهاد الأمة، فهو يواجه رأس حربة العداء العالمي لهذه الأمة، فما بقي ممن في قلبه على هذه الأمة غل ولا دخن إلا أخرجهم الله في هذه المواجهة، حتى مَن كان يعتلي بعض منابر المسلمين نبأنا الله من أخبارهم بهذا الجهاد المبارك، وهذه نعمة.

- **ثالثاً:** من ميزات هذا الجهاد في غزة، أنه أعاد للأمة الثقة بنفسها، وذلك من خلال هذه المقارنة العجيبة بين جبهة الأمة متمثلةً في أصغر بقعة وبضعة آلاف من المجاهدين، وكيف كسروا هذه الحشود العالمية التي جمّعت عليهم من مشارق الكفر والنفاق ومغاربه جواً وبراً وبحراً ثم خيّبهم الله.

- **رابعاً:** هذا الجهاد العظيم في غزة مطهرة للأمة وفلترة لها بجميع مكوناتها، فلم يبقَ مَن كان في قلبه مرض إلا فضحه الله وأخرج خبيئة نفسه الخبيثة.

- **خامساً: بيّن هذا الجهاد بركة الاجتماع والاتفاق،** فمع قلة جميع الإمكانيات عند أهل غزة مقارنةً مع بقية جبهات الأمة، وهذا الحصار الخانق لهم، لكنهم تميزوا على أكثر جبهات الأمة بوحدة الصف التي رجحت بجميع المميزات الأخرى، إن هذه الوحدة في صف الجهاد الغزاوي مما يُغبَطون به،

- **سادساً:** لقد أبانت القيادة في غزة عن نضج عسكري وسياسي وفكري، استحقت بذلك أن تكون هي رأس حربة جهاد الأمة بحق؛ فسبحان من جمع لهم كل ذلك!

- **سابعاً:** شارك في هذه الحرب رموز فكرية إسلامية، وأبانوا للأمة واجبها الوقتي، وأبانوا خطورة أقلام كانت تخلل الأمة، ففضحوا تصهينهم وبغيهم.

- **ثامناً:** من خصائص هذا الجهاد أنه استحث حتى الأبكار في الأخدار، فكم سمعنا من نساء الأمة مَن تتواصل مع نساء غزة حتى أصبحوا معهم كالبيت الواحد.

- **تاسعاً:** من خصائص هذا الجهاد أنه أبان لك أهل الإنصاف والعدل من أمم الكفر، حتى نعلم العدو الكلِب، والعدو المسالم، والعدو المنصف المعاون، وهذا من أدق مسالك السياسة الشرعية التي قلّ أن توجد في جبهة جهادية، قريباً مما هو في هذه الجبهة الجهادية المباركة فيجب استثمارها.

ادعم غزة

أما ما يتعلق بخطوات ومقترحات للدعم والمشاركة في هذا الجهاد المبارك، فأقول: لقد غاب ذلك الزمان الذي كانت الأمة فيه رهن الاعتقال لا تستطيع أن تقدّم أو تؤخر في أمرها وأمر أبنائها؛ فأنت الآن في بيتك تستطيع أن تسهم في نصرة إخوانك في مشارق الأرض ومغاربها، من خلال إصلاح نفسك، فإن فسادها ثغر منك على أمتك، يحجب دعوتك ويقلل أثرك، وكذلك عليك أن تساعد على

رفع وعيك ووعي من حولك بقضايا أمتك المصيرية، وهذا من أعظم الجهاد، حتى لا تُختطف عقول الأمة، ويتغير ولاؤها الواجب، فإن ذلك من أخطر ما يهدد الأمة، وينبغي العناية ببيان هذا الأمر للعموم ويجب عدم الاستغراق في اللحظة الحاضرة، بل ينبغي إدراك خطورة هذه المعركة فهي معركة أمة، وليس المستهدف منها (حماس) أو غزة أو فلسطين.

كما ينبغي بيان هذا الحلف الصهيوني مع المتصهين لعموم الأمة حتى تعرف حقيقة عدوها القريب قبل البعيد، وهذا والله من أعظم الجهاد والمجاهدة، فليس عبثاً أن تكون هذه الهجمة الصهيونية على غزة متزامنة مع انحسار المد الرافضي في العراق وثورته الشعبية وإشغال الأمة بخلافة (داعش) الموهومة، كل ذلك يحتاج إلى أقلام دقيقة بأفهام عميقة، حتى لا تستنزف الأمة في شبابها ولا عامتها ولا أموالها ولا إعلامها، فإن ذلك من أخطر ما يُمكر بها. كما ينبغي كما ذكرتُ سابقاً أن يكون أحدنا حارساً أميناً على ثغر الأمة الذي يشغله، ويقدم أحدنا لله من الأعمال الصالحة ما ينوي به رفع الضر عن إخوانه في غزة، فقد كان بعض السلف يقول لابنه: «إني لأزيد في صلاتي حتى يحفظك الله بها». فهل فعلنا ذلك؟ وزدنا في أعمالنا حتى يحفظ الله غزة؟!



كما ينبغي أن يشكّل كل واحد منا جمعية خيرية في بيته وأهله وذويه، يجمع فيها من التبرعات ما يكرمهم الله بها، فإن لذلك من الآثار الحميدة علينا، أكثر من أثرها على أهل غزة، فإن قال أحد وكيف نوصلها؟ فأقول إذا جمعتها فلن تعدم خيّراً يوصلها، وهذه (الندوة العالمية) وثّقها كثير، كما أقترح على نفسي وعليكم من هذا اليوم أن نجزم باستقطاع جزء من دخلنا لا يقل عن مائة ريال على الأقل، أجعلها لغزة مدة حياتي حتى ولو انتهت

الحرب، فإنه سيكون زاداً لهم لغدر آخر من اليهود، ويكونوا أكثر جاهزية لصدّ عدوانهم بإذن الله، فاجعل في ميزانيتك فقرة خاصة بغزة، ولو اجتمعت عندك لمدة أشهر فإنك ستجد الفرصة التي تمكّنك من إيصال هذا الدعم إليهم، وربما كفاك الله شراً في نفسك وأهل بيتك بهذا المبلغ البسيط قبل أن يصل إليهم، بل ربما قبل أن يخرج من بيتك، فإن الله يختبرنا بمثل هذه الحوادث، وهو القادر على نصرتهم بغير دعمنا، ولكنها فتنة لنا.

كما أقترح على كل واحد منا أن يفتح له علاقات مع الناس في غزة، ويتعرّف عليهم عامة وخاصة، وتتعرف النساء هنا على النساء هناك وكذلك الأطفال، حتى نعيش جوّهم وروحهم الجهادية، وتستمر العلاقة معهم بعد الحرب، ونلتقيهم في الحج والعمرة، وسيكون ذلك من أهم نتائج هذه الحرب لنا ولهم، وإهداء الهدايا الرمزية لهم والتي تقوي العلاقات، فكم قطعنا النظام العالمي الجديد وكم ساعدناه على ذلك! وقد رأيت ولله الحمد من التواصل بين الشعوب المسلمة بعد هذه النكبات ما يخفف علينا المصاب، فقد أتت على الأمة عقود لا تجد لها أشد عداوة من بعضها، حتى جمعها الله بالوحدة الجهادية؛

فمناشدتي لكل مسلم عموماً وأهل الخليج خصوصاً، أن يتخذوا لهم أصحاباً من الغزاوية ومن السوريين ومن العراقيين، ولو نجحنا في ذلك فهو والله فتح عظيم لم نكن نحلم به من عقود، وينبغي على الرموز أن يبادروا إلى ذلك، وقد رأيت أحد الناس في حرب غزة الأولى فعل ذلك هو وأهل بيته، ورأيت أثر ذلك عليهم وعلى إخوانهم الذين تعرفوا عليهم وكيف اشتدت الصلة بينهم، حتى التقوا في الحرم، وكفلوا لهم بعض حاجاتهم وتواصلهم في هذه الحرب بسهولة، فكيف لو طبق ذلك آلاف العوائل؟! النتيجة ستكون مبهجة لنا ولهم، وأعلم أخي أن هذا الأمر هو من أعظم ما يرسخ الإسلام.

هذه بعض الخواطر عن هذا الحدث العظيم، اللهم مكّن لعبادك في غزة الصمود، وطهّر غزة العزة، واجبر كسرهم يا جبار، اللهم انصر عبادك الموحدين في غزة على عدوهم وعدوك يا رب العالمين.

النكبة والتطبيع النفسي
مع المحن والأزمات



م. خالد حربي
فك الله أسره*

المحن دائمًا تكشف عن جوهر الأشياء، لا يمارِي في هذا أحد. والمحنة التي مرّت بالمسلمين في فلسطين كانت فعالة إلى حد كبير في تعرية الواقع الإسلامي، وفي الكشف عنه إلى الحد الذي دفع البعض للتساؤل عن الحكمة من تذكر هذه النكبة والأمة تتوالى عليها النكبات يوماً بعد يوم.. وتتابع المحن على أمتنا حتى أصبحت أحد لوازمها، فلا يكاد يمر يوم دون أزمة خانقة أو محنة عظيمة أو بلاء ثقيل. والنكبة التي سيطر اليهود فيها على فلسطين، وشردوا شعبها المسلم، وكانت بداية مسلسل طويل من المذابح والمجازر ليس في فلسطين فحسب، بل في كثير من الدول حولها، تحتفل بعامها الستين، وسط تجاهل فاضح من الأمة المنكوبة.

* خالد حربي، مقال: النكبة والتطبيع النفسي مع المحن والأزمات، منشور بالموقع الإلكتروني: (طريق الإسلام)، عام ٢٠١٠م.

هذا التجاهل سببه بالأساس الخوف من الفضيحة أمام الذات، والخوف من حساب النفس للنفس، والخوف من النظر في صفحات سوداء تجلب العار على أهلها. الكثير يخشى من مواجهة ذاته بالسؤال الشائك: ماذا قدمت بعد ستين عامًا على الحدث؟ حتى بعض الذين تذكروا النكبة، راحوا يثرثرون حول جرائم الغزاة، ويخنقون صدورنا بمشاهد المجازر التي لا تفارقنا صباح مساء، وكأنهم يخاطبون غرباء لا يحلق الموت في سمائهم بالليل والنهار أو كأنهم يحدثوننا عن أمة أخرى تعيش في مجاهل المجموعة الشمسية.



أما أخطر ملامح النكبة في عامها الستين فهو التطبيع النفسي مع الأزمات والمِحن، والذي لم تسلم منه الأمة بأسرها، فهي الآن تعيش حالة من التكيّف النفسي مع الأزمات، فردّ فعل الأمة تجاه الأزمات بات معدومًا إلا القليل، وهذا القليل أصبح في أغلبه باهتًا لا فائدة منه، إنما هو للتنفيس وتخدير الضمير فقط. لم تفارق النكبة فلسطين يومًا، ففي كل يوم نكبة ومجزرة؛ لكن الجديد الذي رأيناه في النكبات هو الصمت العربي الذي لم تفلح بعض الأصوات الضعيفة هنا وهناك في أن تخفف من وطأته، بل إن الأمر تعدى الصمت إلى اللا مبالاة وعدم الاكتراث بالمرّة، وتعدّاه في بعض الأحيان إلى ما يمكن تسميته بالدياثة الشعورية، حين علت حناجر جماهير كرة القدم على أنين الجوعى، وتأوهات الجرحى على بوابة رفح المصرية، بعد أن بحّت أصوات النساء من العويل.

وحتى لا نوغل في ظلمة الحدث، نحاول أن نقف مع المشكلة بإيجابية، فنقول: إن الأمة الآن لم تعد تملك من ثرواتها إلا الإنسان.. تلك البقايا التي نهش الطغاة إنسانيتها وشرفها ثم ألقاها كيانًا محطمًا وتائهًا

وتعيسًا. وإذا كان وجود الإنسان مرهوناً بالتحدّي الذي يواجهه -كما يقول أرنولد توينبي- فإن التحدي الذي يواجهه كل إنسان مسلم اليوم هو تحدي وجود لا تحدي سيادة أو نزاع مصالح وتقاطع إرادات؛ ولهذا تصبح المعركة معركة مصير، لا بد فيها من توعية الجاهل وتنبيه الغافل، وبث روح المقاومة في نفوس الضعفاء، والبحث عن أساليب جديدة يستطيع كل فرد من خلالها أن يشعر بأهمية ذاته و تأثير دوره.

لا بد من معالجة أسباب هذا التطبيع النفسي مع المحنة، وأهم هذه الأسباب:

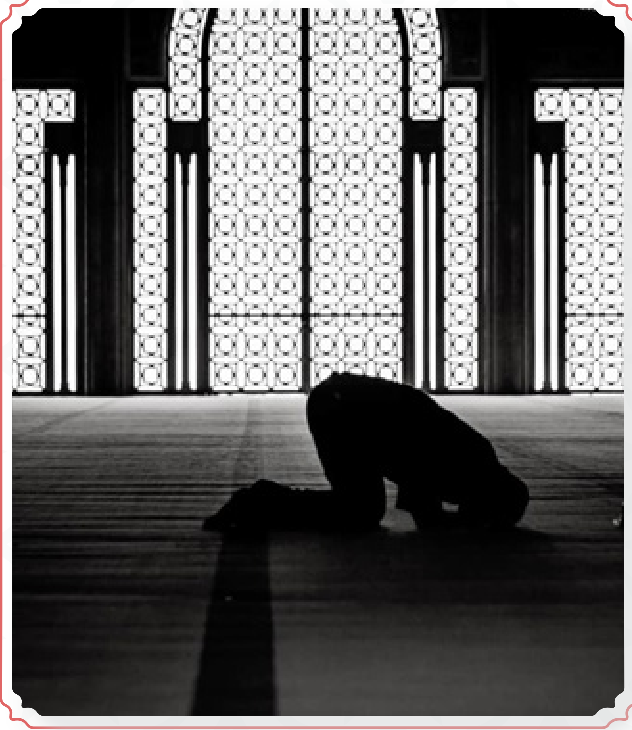
- **الأول:** هو ضعف الإيمان الذي يميت الغيرة في القلب ويشغل النفس عن التفاعل مع الأمة؛ لكونها مشغولة بالتفاعل مع الشهوات، ويصرف الهمّ بعيدًا عن الواقع العام إلى الرغبة الشخصية الضيقة التي تهوي بالشعور الإنساني إلى مصاف الغريزة الحيوانية.

- **الثاني:** هو اليأس من التأثير في الواقع، وذلك لأن الساحة الإسلامية باتت مفتقدة إلى نظرية فاعلة للمواجهة البعيدة مع المحن، مما أدى إلى شيوع وسائل أخرى لا نراها تغني أو تسمن في التفاعل مع قضية الأمة؛ مثل المظاهرات العامة وحرق الأعلام وأخيرًا الرقص والغناء.

- **الثالث:** التشويش الفكري الواقع على الناس بسبب الحرب الإعلامية المصاحبة دائمًا لكل نكبة والتي لا يتفرد بها العدو وحده، بل تشاركه العزف جوقة العلمانية والليبراليون ومثقفو المارينز، ففي العدوان على أفغانستان سمعنا مقطوعة بن لادن والقاعدة، وفي العراق كانت صدام والدمار الشامل، وفي غزة صواريخ القسام، وهكذا. لكن ما رأيناه هنا أو هناك لم يكن سوى خسف وتنكيل بالمستضعفين من المسلمين العزل.



الكثير من المسلمين أيضًا، يظن أن الانفعال بمحنة الأمة وأزماتها من دون عمل هو حرق للنفس وتحميل للذات فوق ما تطيق، وهذا انحراف خطير في التعامل مع المحن والأزمات، ففقدان التألم بالمحنة يعني بالضرورة فقدان الشعور بها، والانشغال بما دونها، مما يعني لها الموت على الأقل في داخلنا. إن الانفصال عن واقع التفاعل مع محن الأمة يعني الانفصال الكياني والنفسي عنها، وعندما يحدث هذا لأحد أعضائها فهو يعني موت هذا العضو.. عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[١].



إن الدمع لا يكف، والآهات لا تجدي، والتحسر لا يفيد، لكن هذا الهم هو عنوان التفاعل النفسي مع المحنة. لن نكتفي بالبكاء، لكننا نحتاج إلى دمعة حارة في جوف الليل ترثي أمة تلعق دماءها ليل نهار؛ لأن هذه الدمعة هي التي تنتشل القلب من لجة الدنيا لتضعه في واقع أمته.. لا بد من زفرة محزون تحرق في القلب تعلقه بالدنيا وتذيب تبلد إحساسه بإخوانه. البعض يقول: إنه يتألم ويحترق لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا. هذه الدموع والزفرات لو كانت صادقة فلا بد أن يصنع الله تعالى بها شيئًا، وسوف تشعل الحماس في قلب صاحبها ليبحث له عن دور وسوف يجده لا محالة.

---

١ رواه مسلم.

قد نعجز عن الأدوار الكبيرة، لكننا لن نعجز عن خدمة هذه الأدوار ودعمها بالدعاء الصادق وتذكير الناس وتوعيتهم بها والدعاية والتنظير العلمي والدعوة لها. كل الأدوار الكبيرة تقوم على عدة أدوار صغيرة تتضافر لتدعمها وتقويها، ولولا دور الهدهد ما أسلمت ملكة سبأ وقومها فأنزل الله ذِكره في القرآن. وإمام التابعين سعيد بن المسيب كانت إحدى عينيه بها عور وكان يخرج مع الغزاة، فقال أحدهم له يومًا: يا إمام قد عذر الله لك. فقال: «إن لم أقاتل أحفظ المتاع لكم». فذكرها له التاريخ حتى اليوم. والتي لم تجد ما تساعد به الغزاة والمجاهدين سوى ضفيرة رأسها صنعت منها لجام للخيل، فصارت مضرب الأمثال في أمة بأسرها.



من مؤتمر نداء فلسطين وغزة

وعلى العكس، فحين ينشغل الناس عن هَم دينهم، ويتنصلون من مواجهة مسؤولياتهم في المحن والخطوب، يسلط الله عليهم من الذل والصغار وتشتت القلب والتيه في الدنيا ما لا يُقاس بما يهربون منه من تكليف شرعي، وواجب ديني، كل هذا مع الإثم والخزي في الدنيا والآخرة.

خمسة آلاف..



محمد سعيد اغبارية

فك الله أسره*

٥٠٠٠، رقم يبدو للوهلة الأولى ساذجاً وعادياً لغير الفلسطينيين، بيد أنه لآلاف العائلات الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس المحتلة، ليس ساذجاً وإنما يشير إلى عدد صغارهم مسلوبي الطفولة الذين اختُطفوا من أسِّرة نومهم في جنح الظلام على يد جيش الاحتلال الإسرائيلي، وزُج بهم في السجن لفترات متفاوتة ما بين عامي ٢٠١٧ و٢٠١٩، هذا ما رشح من بيانات رسمية صادرة عن منظمات حقوقية «إسرائيلية».

---

* اعتُقل محمد سعيد اغبارية، وشقيقه إبراهيم عام١٩٩٢م، أي منذ ٣١ عاماً، ومحكوم عليهما بثلاثة مؤبدات و٥١ عاماً، بتهمة قتل ثلاثة جنود صهاينة. وعلى الرغم من ذلك قد أكمل محمد اغبارية دراسته بالسجن وحصل على الشهادة الجامعية في العلوم السياسية، ثم شهادة الماجستير في السياسة والعلاقات الدولية، وله العديد من المؤلفات الأدبية والسياسية. مصدر المقال: موقع إلكتروني: مكتب إعلام الأسرى، asramedia.ps، نوفمبر٢٠٢٢م.

فلأن هدف الاحتلال منذ يومه الأول البقاء والضم الكامل للضفة الغربية، فهو إلى جانب بطشه اليومي وقمعه للسكان الفلسطينيين، يستثمر للمدى البعيد بإجراءاته الأمنية والقمعية المدروسة لتحقيق ذات الهدف، ولتأمين مستوى مقبول من الحياة الآمنة والمزدهرة لمستوطنيه، ولتطبيع الوجود الاستيطاني بكل مقوماته وآثاره في وعي الفلسطينيين وحياتهم. فلا غرو إذاً، أن يكون الأطفال الفلسطينيون هم الفئة المرشحة لهذا الاستثمار والأكثر استهدافاً، جرْياً على القاعدة: «إذا أردت أن تستثمر للمدى البعيد فازرع جيلاً»، غير أن الاحتلال هنا يسعى على نحو مهني وعلمي لزرع جيل فلسطيني من نوع جديد.. جيل مكسور خانع، ومتلقٍ سلبي.. جيل منحنٍ لا يجرؤ على رفع رأسه في وجه محتليه، فضلاً عن أن يرفع عليهم يده، أو حتى أن يقول (لا) لقاتليه.



إن استهداف الأطفال الفلسطينيين قديم قدم الاحتلال، غير أنه بعد هبة عام ٢٠١٥ تعلّم هذا الاحتلال أن كل جيل فلسطيني جديد يصنع انتفاضته للحرية على طريقته الخاصة غير آبهٍ بعجز قياداته الفلسطينية أو بآلة الحرب والبطش الإسرائيلية. فما كان من الاحتلال إلا أن أصر على قراره بتحطيم الجيل القادم وإجهاض انتفاضته بأسلوب منهجي لا يرحم متبعاً، ما أسميه «سلسلة الاعتقال التحطيمية» وهي سلسلة من الإجراءات المحكمة والمدروسة في حلقاتها وتفاصيلها التي يمر بها الطفل الفلسطيني عند اعتقاله في سبيل تحقيق غايتين: الأولى: تحطيم ثقة الطفل بذاته وبوالديه ثم بمجتمعه وقيادات شعبه، الذين عجزوا جميعاً عن حماية أمنه وطفولته. والثانية: تحطيم تقديره لذاته وتحويله عبئاً على أهله راهناً ثم على مجتمعه لاحقاً.

وهذا يعني تحويل داخل الطفل الفلسطيني إلى كومة من حطام، ثم إعادة برمجة داخله ووعيه بما يناسب أهداف الاحتلال. مسترشدين بنظرية بافلوف: إن الإنسان في حالتيْ الفرح الشديد أو الفزع الشديد يكون مهيئاً لتقبل أي شيء يُملى عليه. وبنظرية السيدة كلايْن: إن الإنسان في حالة الصدمة والهلع يشعر أنه لا شيء فيصبح عاجزاً عن فعل أي شيء حتى من الدفاع عن نفسه.

«فسلسلة الاعتقال التحطيمية» المتبعة تتكون من أربع حلقات مرعبة وهي:

١. الاقتحام: يتعمد جنود الاحتلال الليل لاقتحام منزل الطفل اقتحاماً همجياً صاخباً. وبجلبة متعمدة منذ لحظة الاندفاع الأولى في باب البيت الرئيسي، وعلى نحو مباغت وصاعق لأفراد العائلة. ثم يقتحمون غرفة الصغير، ويفضلونه نائماً حتى يستيقظ مذعوراً مصدوماً إذ يرى نفسه محاطاً بجنود مقنعين مدججين بالسلاح، شاهرينه على نحو مرعب بوجه سذاجة عمره، وبراءة طفولته.

٢. السيطرة والاختطاف: لأجل السيطرة على طفل واعتقاله، لا حاجة لوحدة كوماندوز، إذ كان يكفي دعوته مع أبيه لمركز التحقيق، غير أن الاحتلال يقصد إحداث أعلى درجات الهلع والصدمة لدى الطفل الفلسطيني، أثناء السيطرة عليه مع رشقه بأقذع الشتائم والإهانات الجارحة المتعمدة، ثم يخصون وجهه بالصفعات والمدافعة إمعاناً منهم في إهانته وإذلاله، وزرع الخوف في أعماقه. وهذه الهمجية مع الطفل يتعمدونها أمام ناظريْ والديه حتى يتشرب وعيه عجز أقرب الناس إليه عن حمايته، وليتيقن من انهيار آخر خطوط دفاعه: أمه وأبيه، لأن يستسلم ويخضع بالكامل لقاتليه. ثم يعصبون عينيه بالكامل حتى يفقد إحساسه بالزمان والمكان. ويصفدون يديه بالسلاسل خلف ظهره، ويقتادونه دفعاً وجراً إلى بطن "الوحش" إلى جيبهم العسكري، تمهيداً للحلقة الأكثر إذلالاً وايلاماً وهي:

٣. مسافة الطريق: غالباً ما يطرحون الطفل المختطف مربوطاً ومعصوباً كجثة هامدة بين أقدام جنودهم؛ ليتسنى لبساطيرهم النتنة وأعقاب بنادقهم الخشنة من دكدكة جسم الطفل وروحه، فضلاً عن مواصلتهم سيل الإهانات والشتائم بلا توقف، لتحطيم ما تبقى من طفولته، قبل أن يصلوا به نهاية الطريق:



٤. في نهاية الطريق حيث مركز التحقيق يصل الطفل محطماً في داخله، ومهيئاً كالعجوة لإعادة برمجته من جديد من قبل محققي المركز، وما المشاهد المروّعة مع الطفل أحمد مناصرة عام ٢٠١٥ في أقبية التحقيق إلا قليل من الفيض خلف الكاميرات، ولا سيما أن الطفل يَمْثُل وحيداً أمام محققيه دون رفقة أحد والديه كما يوجب القانون. ثم يخرج الطفل (أو قُلْ: بقايا طفل) من التحقيق بخسائر نفسية فادحة، ويتوقع محققوه أن تكون ثقته بأهله وشعبه قد باتت مهشمة، و«الأنا» معطلة، وتقديره لذاته محطمة، وبحصولها جميعها يفقد الطفل استعداداته للمبادرة، والمجازفة، والانخراط في أي عمل جماعي اجتماعي أو سياسي، فضلاً عن فعل المقاومة.

وأخيراً، حين الزج به في غياهب السجن تكون سلسلة الاعتقال التحطيمية قد استكملت آخر وأفظع حلقاتها.

والـلافت أن العدد ٥٠٠٠ هو العدد الرسمي للأطفال الفلسطينيين المعتقلين بين عامي ٢٠١٧ و٢٠١٩، لكن المصابين من اعتقال طفل واحد يبلغ ٥٠ ألف طفل، إذ إن «سلسلة الاعتقال التحطيمية» أو بعضها غير مقصورة على الطفل المعتقل نفسه فقط، بل تطال آثارها كل طفل في المنزل عايش فظاعة لحظات الاختطاف أو كل طفل مجاور سمع صيحات الأم المفجوعة أو صرخات الطفولة المسلوبة، فالمستهدف جيل كامل.



ماذا يريد الأسرى الفلسطينيون؟

ناصر ناصر

فك الله أسره*

يريد الأسير الفلسطيني أن يُطلق سراحه وينال حريته بأقرب فرصة، وبأي وسيلة شرعية ومشرفة كانت، وعلى رأسها بل وأهمها وأكثرها واقعية، وهي صفقات التبادل التي تعقدها المقاومة مع المحتل الصهيوني، وحتى ذلك الحين (القريب) لا بد وجوباً أن يعمل الشعب الفلسطيني وبكافة قواه وأحزابه ومقاومته ومؤسساته على التخفيف من معاناة الأسير وأهله؛ بل وتحسين شروط حياته وحياتهم قدر الإمكان.

---

* الأسير ناصر ناصر، مقال: ماذا يريد الأسرى الفلسطينيون، موقع إلكتروني: مكتب إعلام الأسرى asramedia.ps، أبريل ٢٠١٨م.

وبناء على ذلك فإن الهم الأول والسؤال الأبرز الذي يتردد في أوساط الأسرى وذويهم، وبعد مضي نحو أربع سنوات على أسر الجنود في العصف المأكول وسبع سنوات من صفقة وفاء الأحرار الأولى، وخاصة أولئك الذين مضى على اعتقالهم سنوات طوال تصل للعشر سنوات بل إلى أكثر من عشرين سنة، هو: لماذا تأخر عقد صفقة وفاء الأحرار الثانية؟



تلك الصفقة التي وصفها قادة المقاومة أنها ستكون مشرفة وقادرة على إطلاق سراح الكثير الكثير من الأسرى. هل السبب هو تعنت ومماطلة الاحتلال المعروفة وحسب؟ أم لضخامة المؤامرة التي تتعرض لها القضية الفلسطينية عامة والمقاومة بغزة خاصة؟

ألا يمكن للمقاومة التي يبتكر أبناؤها يومياً وسائل مقاومة -كمسيرة العودة- أن تمارس المزيد من الضغوطات الممكنة لإجبار اسرائيل على عقد الصفقة؟ إن هذه الأسئلة لا تأتي إلا على أرضية الأمل والثقة بذكاء وإمكانيات المقاومة، والتي تجاوزت في السابق العديد من العقبات التي يضعها الاحتلال من أجل التهرب من دفع الثمن الباهظ لأي صفقة تبادل قادمة.

إنها الحرية أولاً والحرية ثانياً هي ما يريده الأسرى من شعبهم وإخوانهم الأحرار، وهذا لا يقلل من قيمة وحاجة الأسرى للدعم المادي والمعنوي، السياسي والاجتماعي، المالي والإعلامي؛ فهي حاجات لا يستغني عنها الأسير من أجل ثباته وصموده في وجه التحديات، التي يفرضها واقع الأسر الصعب والمرير.

ولأن الأسير الفلسطيني مرتبط ارتباطاً عضوياً بهموم وآمال شعبه المكافح، فهو يحزن ويتألم لما وصلت إليه أحوال الوضع الداخلي الفلسطيني؛ حيث تحول الانقسام الى ملاحقة وحصار، وأصبح الفلسطيني وبتشجيع من الاحتلال يحارب أخاه حتى بلقمة عيشه. ولكنه وفي المقابل يرقب بإعجاب وتقدير إبداعات شعبه في (مسيرة العودة) وهي تعيد للفلسطيني تألقه وتظهر نضاله بحلة متجددة، وتكرّس وحدة وطنية ميدانية بين كافة أبناء الشعب الفلسطيني. وذلك على قاعدة المقاومة بكافة أشكالها لتحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، وعلى رأسها حق العودة.



السجن عصيٌ على الوصفِ
ويهرب من كل تعريف



وسيم مليطات

فك الله أسره



يمثّل السجن مشروع إعدام للثائر الفلسطيني، بكل ما خُطط له ليكون أدوات كسر، وتغريب، واحتواء، وتحصين لروح المقاوم الفلسطيني، الرافض للمشروع الاستعماري لإسرائيل، ويطمح أصحاب معسكرات الاعتقال، والسجون، وأصحاب السياط أن يوئدوا الوطنية الفلسطينية في هذه الكهوف المعتمة والباردة من خلال طمس ممثليها المناضلين.. يمثل السجن مشروع استلاب لإنسانية الإنسان الفلسطيني ومحاولة جادة لتجريد الأسير الفلسطيني من آدميّته والتعامل معه كحيوان مفترس، أو بأفضل الحالات أرقام مجردة بلا أي قيمة إنسانية.

---

* الأسير وسيم عمر عبد الكريم مليطات (٣٨ عاماً)، معتقل منذ ٢١ عاماً في السجون الإسرائيلية وكان يبلغ من العمر حينها ١٧ عاماً، وبالرغم من الاعتقال تمكّن من النجاح في المرحلة الثانوية، ثم حصل على درجة البكالوريوس من جامعة الأقصى في تخصص التاريخ. مصدر المقال: الموقع الإلكتروني: مكتب إعلام الأقصى asramedia.ps، أبريل ٢٠٢٣م.

يمثل السجن البديل اللائق لحبل المشانق من خلال افتراس المناضلين والبطش بهم، وتحصينهم ونفيهم من الحياة بتغييبهم بالأحكام المؤبدة.. يمثل السجن القسوة بحدودها القصوى، ويفترض بمن يريد أن يبقى على قيد السجن أن يتحمل الكم المتراكم من الآلام والمعاناة والكم الهائل من العناء والمشقة، وأن يتجشم عبء العيش دون حرية.. أهم صفة مميزة لإنسانية الإنسان.



يمثّل السجن عسف الإنسان بأبشع صوره الشيطانية ضد أخيه الإنسان.. يمثل السكين والساديّة بأفظع تجسيداتها ضد النفس والروح الإنسانية، وهو جحيم الأرض، ولا شك مآل يتنافى مع طبيعة الإنسان وغريزته نحو الحرية.

إن ما تقدَّم محاولة لوصف ما لا يُوصَف؛ لأن السجن ما زال بكل لغات الأرض عصيٌ على كل الوصف ويهرب من كل تعريف.. إلى أن جاء الوغد (بن غفير) وقدّم وصفاً مدهشاً بنهاية البساطة والبلاغة حين وصف السجن الإسرائيلي بالمتنزه، وفي موضع آخر عرّف السجن بالفندق، وأثبت متوعداً الأسرى بالإذلال والإهانات والحرمان، وعبّر في غير موقع عن الاحتقار الشديد الذي يكنّه للأسرى الفلسطينيين وتهجم تارةً بالشتيمة وأخرى بالوعيد معتبراً أن مهمته الأولى في الوزارة ستكون بوضع حدٍ لحياة الأسرى الرغيدة، وبتغليظ قيودهم، وبإلغاء الحياة الرسمية داخل المعتقلات والسجون وشطب التمثيل العام للأسرى، والوقف الكلي لوجبات الطعام التي يعدها الأسرى بأنفسهم، وإنهاء ما سمّاه الاحتفالات بالساحات، وتقليص ساعات الشمس ووقف الامتيازات التي تُمكّن الأسرى من شراء ما أسماه كماليات الحياة، وقد بدأ في تطبيق سياسته

بإجراء وقت وصول الخبز الطازج للأسرى، وتحديد ساعتين فقط للاستحمام، وزيادة حدة وتيرة التفتيشات والقهر، إضافة إلى تكفله بتقديم مشاريع وقوانين للكنيست الإسرائيلي؛ سعياً وراء إقرار قانون يتيح بإعدام الأسرى الفلسطينيين، وطرد عائلاتهم خارج حدود الوطن، إضافة إلى قانون منع الأسرى من العلاج.


بن غفير

إن بوسع (بن غفير) أن يتحدث باستخفاف عن رفاهية العيش بالسجون الإسرائيلية، وهو الذي لم يرَ بحياته أياً من القبور التي يسمّيها فنادق، لم يرَ زنازين دولته المغلقة والضيقة والباردة، والغارقة بالضوء الأصفر الكئيب، وجدرانها الشاحبة الشاهدة الجائعة على جوع الأسرى وانطفاء الإحساس بالوجود والشعور الكريه بالاختناق.. لم يرَ السجن آلة القمع الرهيبة التي تمزق أوتار القلب، وتعطب خلايا العقل، وتسلب إنسانية الإنسان وتسرق عمره بصمتٍ أخرس لا يتعب أبداً.

السجون تُحكم بالقهر والتعذيب.. مليئة بالرؤوس المدماة والأجساد المرقعة بالجراح، والأنفس المتعبة والأرواح المعذبة.. السجون ممتلئة بالتفاصيل القاسية، والجدران التي تطفح بالدم، وحلكة الليل الصامتة، وأبواب تحتجز أنين وآلام الإنسان، لم يشهد العزل الانفرادي أو شبكة الإعدام بكل ما هو إنساني، وسياسة انتقامية تعسّفية تطال في تعذيبها الروح والنفس وحتى الخلايا العصبية. ماذا يعرف عن العنابر شديدة القذارة والمكتظة؟ وعن انحطاط وبربرية دولته الديموقراطية التي شيّدت أقفاصاً حديدية تزدحم بالأسرى

دون أية مراعاة لأبسط مقومات الحياة الإنسانية؟ ماذا يعرف عن رحلة الموت بالوحوش الحديدية التي تنقل الأسرى، وهم مصفدون بالأصفاد الحديدية؟ كيف لابن غفير أن يحس بالوجع الإنساني وبالذعر الذي ينتاب الأطفال والنساء عند دسّهم بجحيم السجون التي تفترسهم دون أية مراعاة لأوضاعهم الإنسانية الخاصة؟ ماذا يعرف عن سياسة الإهمال الطبي المتعمّد وعن الأمراض التي تغزو أجساد الأسرى دون أدنى شعوراً بالمسؤولية؟

ابن غفير لا يرى مقبرة الإعدام النفسي والاجتماعي وكل أساليب وأنظمة وقوانين دولته الديموقراطية، المتجسدة بالقضاء المعادي، والمحاكم المتجبرة والظالمة، والشاباك الذئاب المفترسة، والجيش الدموي الذي يعيث بالجسد الفلسطيني قتلاً وموتاً، والحكومة المتخمة بالتطرف والعداء، والصحافة الصفراء التحريضية التي تنضح حقداً وكراهية، وأجهزة الشرطة وإدارة السجون، كوسائل لقهر إرادة الأسرى وإذلالهم وسحق إنسانيتهم وجعل حياتهم بلا معنى.

لن يكلف خاطره بالتفكير بما يجول في فؤاد من أمضى أكثر من أربعة عقود متواصلة في غياهب العتمة والقسوة، ولن يكلف نفسه ولو لمرة أن ينظر للفلسطينيين باعتبارهم مساوين لأقرانهم الإسرائيليين وأن لهم ذات الحق في الهواء والماء والشمس والعيش الكريم وبحلاوة الحياة الحرة.. ماذا يمكننا أن ننتظر من دولة تعاقب الموتى وتمارس ساديتها باحتجاز جثامين الشهداء والأسرى في المقابر الجماعية وبثلاجات الموتى؟





إن إسرائيل دولة جدران وسجون وأسلاك شائكة عملت على خنق الفلسطينيين وقتلهم وزجّهم بالسجون، وإذا بها تحاصر ذاتها بجدرانها، وتعيش الخوف والجزع الدائم والتطرف والعنصرية.. إن وصول بن غفير لهذه المكانة من النظام السياسي الإسرائيلي والمكانة الرفيعة في الحكومة الإسرائيلية بتقليده منصب وزير الأمن الداخلي بصلاحيات موسّعة، هو انعكاس لما وصلت إليه إسرائيل من بربرية وفاشية، ومن تقديس للموت، ودلالة على فقدان المجتمع الإسرائيلي إحساسه الإنساني، وتعطّشه لدماء الفلسطينيين وقتلهم، وما الاستطلاع الأخير التي ذكرته صحيفة (هآرتس) الذي أيّد فيه المجتمع الإسرائيلي بأغلبية ٧١% بإعدام الأسرى ما هو إلا خير دليل على فاشية المجتمع الإسرائيلي..

- بن غفير لا يعرف أيضاً الإمكانيات التي تكمن نائمة في أرواح الأسرى، وأن الكراهية الشديدة وطَرَفه اليميني المتطرف والمتعجرف، تؤجج غضب الأسرى المضطهدين..

- بن غفير لا يعلم أن أحداً لا يمكنه أن يهين الروح الفلسطينية المليئة بالعز والكبرياء، وأن بإمكانه وبمقدوره أن يستخدم كل الأساليب لإيذائنا، وحتى قتلنا، لكنه عليه أن يعلم أننا لسنا مخلوقات مستفهمة ولا دمى عاجزة، ولا نقبل المساس بحقوقنا وبكرامتنا الإنسانية والوطنية، وأننا سنقاتل أنواع المذلات والخنوع التي يتوعدنا بها، وسنقابل إجراءه وفاشيته باستبسال منقطع النظير وسنحافظ على شرفنا وعلى اسمنا، ولن نقبل بالتفريط بالكرامة الإنسانية وأن اسمه بات بالنسبة لنا ولشعبنا كالكبريت، وإذا كان لا بدّ من نار فلتحرق الجميع..

إن تحريض الإسرائيلي المجنون والفاشي (بن غفير) على الأسرى الفلسطينيين والتي يحاول فيه تشويه الفلسطيني المناضل، ووسمه بالإرهابي والمخرب والمجرم، لن يجعلنا نعبأ بما يقوله أعداؤنا بحقنا، ولن يغير من حقيقة أن الأسرى الفلسطينيين مرآة تعكس طموحات وتطلعات شعبنا الذي يقاتل في سبيل الحرية والحياة الشريفة والنزيهة الخالية من الإعدام وأحكامه الظالمة وأحقاده الدفينة. إن تفوق إسرائيل المادي وقدرتها المدهشة في صناعة الموت وبناء السجون للفلسطينيين، هو ما يجعلها تتفوق علينا إنسانياً ومعنوياً؟ وإن امتلاك إسرائيل وتطويرها لأدوات المراقبة والسيطرة الحديثة لا يمكنها أن تصل إلى القوة الجاثمة في نفوسنا وصدورنا في فكرة الحياة والحرية.



لا يمكن للمحتل أن يكون حراً، ولا يمكنه الادعاء بالإنسانية وهو يصادر حقوق الإنسان بشعب آخر برمته، بين كل الأعداء وبين كل الخصوم هناك محددات تُراعيها جميع الأطراف، والخروج الكامل عن هذه المحددات يستدعي الخروج الموازي من الطرف الآخر.. لسنا بحاجة إلى أي نوع من المقدمات أو حتى الذكاء لنقول إننا على أعتاب مرحلة جديدة وإننا قطعنا طريق وهْم السلام لآخر سنتمترات، وإننا في نهاية الطريق التي اختلطت علينا فيها ترجمة المشروع الصهيوني وأهدافه الإحلالية، وتهنا فيها بين الحقيقة والوهم، وإن الثابت أن عدونا خرج عن طريق السلام وعن جادة العقل منذ أمدٍ بعيد..

وجدير بنا أن نتذكر دوماً الحقيقة القائلة بأنْ محكوم على الذين لا يتعلمون من التاريخ أن يكرروه.. إن أعدائنا كثر ومصائب شعبنا عديدة والمتربصين بحقوقنا ليسوا أوفياء، ومن البديهي أن ازدياد الأعداء وازدياد التحديات يزيد من واجباتنا ومسؤولياتنا الوطنية ويحثنا على رفع منسوب التحدي وإظهار الصلابة الوطنية التي تزيد ألقاً في أوقات الخطر.

٢

على ضوء هذه التحديات واستجابة نابعة من الفهم الدقيق والوعي من قبل الأسرى من كافة التنظيمات لطبيعة المرحلة وصعوبتها، فقد انتظمت جميع الفصائل تحت سقف ما عُرف بلجنة الطوارئ الوطنية العليا، التي قادت العمل النضالي وحركات العصيان والتمرد، ضد إدارة السجون الاحتلالية منذ أيلول عام ٢٠٢١م، عقب عملية نفق الحرية وحتى الآن، هذه اللجنة التي انبثقت من رحم المعاناة، ومن رحم الوحدة، وفي خضم واقع مجزّأ ومترهّل، جاءت تعبيراً عن نضج لدى شريحة واسعة من الأسرى التي سئمت من العمل الفئوي والحزبي المنفرد، والذي لم يفضِ إلى نتائج تُذكر، حضرت هذه اللجنة؛ لتعبر بواقعية وطموح عن الإمكانيات لدى الأسرى الفلسطينيين إذا ما اتحدوا ورصّوا صفوفهم، واستُدعيت هذه اللجنة لتمثل الأرواح المتمردة والتواقة للعمل الجماعي والمنظم، ولتكون صدى صوت الأسرى الذي ينشد الحرية، جسدت لجنة الطوارئ وحدة الأسرى على اختلاف انتماءاتهم الحزبية، وعكست وحدتهم في خندق المواجهة، على أساس وحدة التمثيل ووحدة البرامج النضالية ووحدة الأهداف والوسائل النضالية..


أبطال عملية نفق الحرية

استطاعت لجنة الطوارئ الوطنية في عملها، أن تقفز على الفروقات فيما بين التنظيمات، وأن تروّض الخلافات لصالح إدارة الصراع، وأن تمثل الجبهة الداخلية لدى الأسرى في مواجهة الغلوّ والتوحّش اليميني ضد الأسرى، وأن تخوض صراع الإرادات بعزيمة وإصرار، ما بين إرادة الأسرى المجبولة بالصبر والثبات والإيمان، وإرادة بن غفير العنصرية والفاشية..

لقد انتصرت إرادة الأسرى الفلسطينيين المقاتلة بعد ثمانية وثلاثين يوماً من العصيان على قوانين السجن، وبعد خوض ممثلي لجنة الطوارئ للإضراب، وقبل يومين من انضمام غالبية الأسرى لقادتهم في الإضراب، والذي كان في الأول من رمضان، وبعد مفاوضات طويلة وصعبة استطاع الأسرى وفي الساعات الأخيرة فرض إرادتهم الصلبة وعزيمتهم العنيدة، على ممثلي مصلحة السجون ومرجعياتها الأمنية والسياسية، حيث تراجعوا عن كل الإجراءات العقابية التي اتخذها (ابن غفير)، وقدّموا ضمانات للأسرى بعدم المساس بحقوقهم، إضافة إلى تحصيل مكتسبات جديدة لجموع الأسرى.

لقد توّج عصيان الأسرى وتمردهم وإضرابهم الذي كانوا على مشارف الدخول فيه تحت شعار: (بركان الحرية أو الشهادة) والذي تضمن لأول مرة أبعاداً سياسية، تُوّج بانتصار غالٍ على قلوب الأسرى، خاصة بأنه جاء في أصعب الظروف وأحلكها، على شعبنا وأسرانا، جراء استعار أحقاد اللهيب الإسرائيلي في وصول الفاشيين الجدد في إسرائيل إلى الحكم، ولا شك بأن الأسرى في العامين المنصرمين استطاعوا أن يقدموا نموذجاً مضيئاً في أوقاتٍ غاية في الصعوبة، يعمُّ فيها الإحباط والتجزئة، ويتراجع فيها العمل الجماعي وينكفئ الأمل.



لقد أنتج الأسرى إطاراً جامعاً، تفوق على كل التحديات التي يفرضها واقع الأسر، هذا الإطار عبّر في غير مرة عن مكامن القوة والحيوية في هذا الاتّحاد، وأظهر ما لدى الأسرى من القدرة على التنظيم، والانضباط، والجدية، واستعدادهم العالي للتضحية والإيثار.. إنه نموذج الأسرى المتّحد والمشتبك والذي يستحق الوقوف عنده مطولاً لغرض الاستفادة.. فالكل مدعو لأنْ يسلط الأضواء على هذه التجربة النضالية الفذّة، التي تضافرت فيها كل الجهود دون إبقاء أو إلغاء لأحد، والتي كانت قاعدتها الذهبية الوحدة الوطنية، والجدية، والاستعداد العالي للتضحية، ولابتكار الوسائل النضالية، واختيار التواقيت المناسبة لاستخدام الوسائل النضالية واستغلال الفرص، واستثمار كل الطاقات الكامنة، وتفجيرها في المعركة.

في صراع الإرادات، انتصرت إرادة الأسرى الفلسطينيين المقاتلين، وفرضوا على أعدائهم التراجع، وخلقوا -حالة ردع إذا جاز التعبير- لدى أعدائهم بأن محاولات المساس بحقوق وكرامات الأسرى الفلسطينيين دائماً ما تستوجب ردّ فعلٍ هذه المرة منظمٍ وموحّد. وأخيراً، سيستمر الأسرى الفلسطينيون في كفاحهم، وحلمهم، وصلواتهم؛ من أجل الحرية، أقدَس القيم، وستبقى حناجرهم تصرخ: حرية.. حرية.

على بُعد الحرية



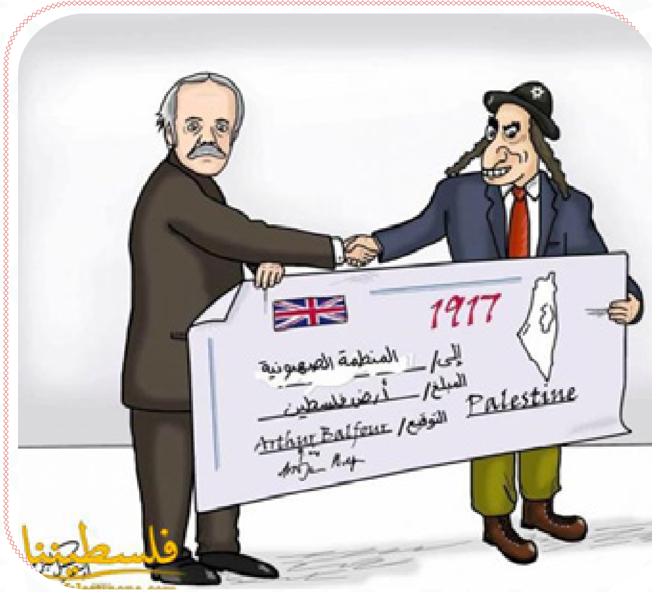
سعيد ذياب

فك الله أسره*

في حياتنا نحن الفلسطينيين عالمٌ لا يشبه عالم البشر، ولا ينتمي لأبجديّته بل ولا يُسلّم بحقائقه الثابتة، هنا عالمٌ موازٍ لا يؤرَّخ بالسنين بل بالنكبات، ولا يتناسلُ بالحياة بل بالموت، ولا ينتشي للفرح بل لكفٍّ قد انبرَت تناطح ألفَ مخرز، هنا بعض المسافات لا تقيسها الأذرعُ والأمتار، ولا تستلقي على ترف خرائط الجغرافيا، ولا تُذعِن طواعيةً لحيَل السياسة، فهاهنا إحداثياتٌ ترسمها حُمرةُ الدم على خطوطِ طول النزف الممتد وبعرض الأحلام الموغلة في الانكسار، في وطنٍ أردناه دولةً وعَلَماً، فإذا هو معازل كبيرة لجيشٍ من الرايات تتصارع على بُعدِ حرية.

* الأسير سعيد ذياب (٤٢ عامًا) من قلقيلية، يدخل عامه الـ(١٧) في سجون الاحتلال الصهيوني، ومحكوم بالسّجن لمدة (٢٧) عامًا. مصدر المقال: الموقع الإلكتروني: مكتب إعلام الأسرى asramedia.ps ، منشور في ٩-٢٠٢٣م.

يقول مريد البرغوثي في سرديّته (ولدتُ هنا ولدتُ هناك): «من أقصى جرائم الاحتلال تشويه المسافة في حياة الفرد، كلما قتلَ الجنودُ إنساناً، اختلّت المسافة المعهودة بين لحظة الميلاد ولحظة الموت، يطاردُ الاحتلال رجلاً واحداً في الجبال، فيجعل المسافة بين نُعاسه ومخدته تقاس بعواء ذئب، جندي الحاجز يصادر أوراقي لأني لم أُعجبه لأمرٍ ما، فتصبح المسافة بيني وبين هُويتي هي المسافة بين غضبه ورضاه، يقف جندي الاحتلال على بقعةٍ يُصادرها من الأرض ويسميها هنا، فلا يبقى لي أنا صاحبها المنفيُّ في البلاد البعيدة إلا أن أُسمّيها هناك».



انتهى الاقتباسُ ولم ينتهِ احتباسُ المسافة فقد ظلّت موسومة بختمِ بلفور منذ أكثر من مئة عام، تتعتّقُ الأشياء مع الزمنِ وتَبلى، أما شؤمُ هذا الوعد يظلُّ نَدياً كأنما الآن دُبِغ، مُشَوِّهاً مساحة الجمال كلها لفلسطين الأرض والإنسان. كان للطيبين في أرضهم حياةٌ من وداعتها لم يتعلَّموا فيها حساب المسافة ولا تعقيدات المصالح، كانوا في بيدَرِهم الـمُبتهج بفزعة الحصاد، وللسامر المثقل بأهازيج الليالي مثل امتلاء السنابل، كتاتيبهم الـمُشرعة كما قلوبهم لكل خير، صباياهم الـمُرتسماتِ خجلاً على أطراف الغدير، مقدار سعادتهم هي مثل مسافة ارتسام الندى على وجهِ ابتسامة، تلك التي قطفها الغُرباءُ الجدد بمناجل حقدِهم، فاستوطن محلّها الأسى كلما حلَّ سوادهم على بعض الأرض، صاروا يُتقنونَ الحساب من إحصاء القتلى وتَعدد المقابر، ويقيسونَ المسافة بين المهجَرِ والمهجَر، ويستكشفون للموتِ أصنافاً مُعلّبَةً من العذاب، أصبح لليُتمِ معنىً آخر غير فقد الأب أو الأم، هو في فداحتِهِ يعني خسارة الوطن، وهو إذ ذاك فإنه أشدُّ وأقسى، إذ يتعدى الفرد ليصبحَ لازمةً للجيل الذي سيُوَرّثه للأجيال،

هو العيشُ محاطاً بكل فاجعة، ومتزنراً بأحمال الغربة، مقصيّاً هناك على بُعد حرية.



في فلسطين.. هنا لا تكتمل الحكايات إلا برصاص بندقية، كما لا تبدأُ إلا بها، وبين مسارِ البداياتِ وخواتيمها قصصٌ بلا انقضاء، لشعبٍ قد اغتربَ في فضاءِ الأمل، لعائلاتٍ لم تجتمع مرةً في مكانٍ إلا في خانة الاسم لبطاقات هويةٍ فسيفسائية الجنسية، لشملٍ قد انقطعَ رجاءُ لـمّه للأبد، بعد تفرُّق طالبيه على قبور المنافي، وربما ظلّ خيالاً يُداعبُ الأحياءَ منهم في شتاتِهمُ الطويل، وهم يَرقُبونه من شُرُفاتِ أرواحهم الظمأى لرشفةِ لقاءٍ يكون ولو بعدَ حين، قبل نزعةِ النفَسِ الأخير، هنا حواجزٌ قد انتصبت كالمقاصل تقطعُ الطرقات وتجعلُ أمنيةَ فلاحة القمر، أشبهُ بتمني السفر من مدينةٍ لأخرى دون التوقف بواحدٍ منها أو اثنين، قد يسمحُ مراهقوه المعتمرون خوذةً يدنوها دِستةٌ من سلاحٍ وعتاد لك المرور، وربما يطردون ملل الحراسة الطويل بالتلهي بقطارِ المركبات المتوقفة في انتظار إيماءة من أحدهم كي تسير، وهنا أعراس يُحمل أصحابها على الأكتاف، ويُزَفون أفقياً فوق سيلٍ من الهتافات ونثر من الورود، محاطون بألف دعوةٍ وشهقةٍ وزغرودة.

وهنا أنامل غضةٌ كالعجين لكنها انقبضت على بارودة أضحت مثل الرماح تعرف وجهتها، وتحفظ الطريق الذي له تطيب المصارع، فلا بقاء لمن أراد القدس هيكلاً قادماً من وحي خرافة، وهنا جيل لم

يعرف من السفر إلا أنه حُلمٌ مشتهى، حُظوظهم منه لا تتجاوز حدود التصفُّح ومتابعة برامج الترفيه التي تتقافز بين البلدان، فالفلسطينيُّ يُولدُ ويَعيشُ ويموت دون امتلاك وثيقةِ سفر، فهذا من زوائد الحاجات، لا يعني من كانت إقامته على بُعد حرية.

وعلى بُعد قيدٍ من على بُعد حرية، تتكوّمُ السنوات ثقيلةً على كواهلِ أرواحٍ. أعَيَت أجسادها رطوبة الجدران، وتغلغلت في خلاياها لعنة المكان الـمُوغل في سفك بقية الفرح، والـمُتلذذِ في سحل أي أملٍ بالخلاص، فهنا جحيم السجون الـمُستعرَة تقتاتُ من أعمار أُناسٍ أعمَلوا معاولهم في صخورِ اليأسِ العنيد، كي يُهدوا شعبهم عبوراً آمناً نحو ضفة الحرية، فابتلعتْ أحلامهم الكبيرة شراهةُ الزنازين الـمُشرعة على تيه ينتظرُ على عتباتها قهرُ مؤبدٍ يعصرُ الحياة حتى آخر رمق، هو ذات التيه الذي يأخذُ العمر فتيّاً عند تفَتُّحه على نضارة الشباب ليُخَلِّيهِ بعد سنين مجففاً من دفق الدماء الثائرة ويتركه نهشاً لأنياب الزمن.

هنا المفرداتُ لا ترتديها الحروف، لتبقى القصص أنيس أبطالها في توحُّدهم مع القيدِ والحديدِ والجدار، في تمرُّدهم الصامت على صَخب الجرح الذي يأبى التئاماً، في تعشُّقهم لخيطِ شمسٍ قد يتسللُ خفيةً من بين الأشياك العابسة فوق الأسوار، في تلعثم القلب حين يَلثغ متأخراً بكرَ أحاسيسه إذا ما فاجأه التفاتةُ النبضِ ذاتُ قَدَر، في نومٍ تتواعدُ فيه الأحلام مع صدورٍ هدَّتها زفراتُ الغياب، في وجوهٍ تتأملُ المرآة بتعجبٍ حين يتبدّى لها شبحُ ملامحٍ شاخت فيها ابتسامتُها من التعب وظلّت تدّخرُ بعض يفاعها لترتديهِ يوماً على بُعد حرية.





وفي السجونِ أُناسٌ قد عَقدوا صلحاً مع الزمن، يأخذُ منهم ربيعَ تورُّدهم عن آخره، ويعطيهم سلوى الالتحامِ بغربة الأرض، ورقَّة الإحساس بوجع الوطن، ومناجاة الليل حين يُطبقُ على ديارٍ كان للأجداد فيها يوماً فضىً من الذكرياتِ وأطلالُ شَجَن، هنا تماثلُ الأحاديث في تصالُحِها اليومي تسريةً وفضفضةً ومداعبةً ومشاكسةً وتهنئةً بزيارةِ أهلٍ أو تعزيةً وجبرَ خاطر.

هنا الخطواتُ يحسبُها صانعُ المكانِ، بدقة من يلقيها مشدودةً إلى حبلٍ لا تتعداه في حيّزها المحشور بين الجدارِ والجدار، حتى إذا انفلتت في يومٍ ظلّ أثره في وعي المعطوب يسحبها إلى رسن، هنا تتكثَّفُ مساحةُ الأفراح وتتواضعُ خطوفها حدَّ ملامسة التراب، لتصير مجسَّدةً في تفاصيلَ من فرطِ بساطتها هي كل خيارات أُناسِ هذا المكان، فيومُ زيارةِ الأهل لأحدهم عيدٌ تتهيأه الحواس، لتحفظ وجوه زائريهم وتعُدَّ أنفاسهم من خلف الزجاج، فإن سُمح بإدخال كتابٍ أو ملابس أو بضع صور، فقد حظيَ بالسّعدِ لأيام، ومن نزف بالمداد كتاباً أو روايةً أو بضعةَ نصوصٍ فقد أودعها دون شكٍّ جزءًا من روحه، فإن تحررت وتلقَّفتها عيونُ القُرّاءِ واحتفى لها وجدانهم، فقد تاقَ قلبه يعانقهم على بساط السطور القادمة من على بُعد حرية.

وللمشاعر هنا فيوض تتجلى مع اصطباحات القدر، فترى لها أجنحةً تُحلّقُ إن تحرّش بها همسُ مودة، أو حمل لها الأسير زورقاً ورديّ الشراع، كي يُهديها سكنَ الشواطئ الهانئة في مرافئ الغرام، فترى قلوباً قد

انعقد لها حبلُ الوداد من زمنٍ ما قبل القيد، فلما أظلَّ زمانه جعلت منه سبباً آخر كي تتقن فيه فن تطريز الحب بخيوط من الوفاء، فما القيدُ في دربِ العاشقينَ سوى عهد يُري الدنيا فيه المآثر تستعلي بفلسطينيَّتها فوق دون الأنا وترفع حبها بالصبر يشرقُ من فوق ميدان السحب.

وإن تعجب فالعجب هنا من أكف قد امتدت من خلف الأسوار، تمسحُ عن الجباهِ ما عَلَقَ بها في وَعثاءِ المؤبد، وتمسد النبض غزلاً من نورٍ يتدثّرُ به المنفيّونَ في وحشةِ العمرِ الطويل، يستحيل السجنُ فيها فرصةً أخرى للولادة، والقيدُ إلى مهرٍ من شغفٍ ورضا، والبعدُ لميدانِ عشقٍ وتضحية وتغدو الأماني صلْواتٌ تُرتلها النفوسُ في خشوعِ الواثقين، ويعزفها اليقين على صفحةِ الأيامِ ترانيمَ تتجمّلُ بها الأفئدة وتأتلق في تحدي المستحيل، فما هي إلا على وصول على بُعد حرية.

وبعد: ففي فلسطين وحدها ينبلج النصر من قعر الهزائم، وتتأسطر البطولة بمقلاع وحجر وعناد، ويكتب الراحلون وصاياهم بالدم على مساحة وطن، كأنهم يوقظون كل وجدان ويهدمون كل عائق، ويزرعون الأرض زيتوناً وقمحاً وقنابل، وينهضوننا كي نعيش العمر حرية ولا نبقى على بعدها أبد الدهر، **يقول المثقف الجميل عيسى قراقع:** «بداية الاستسلام والتراجع دائماً هو الخوف، تقرير المصير ولادة صعبة وحاسمة لخلق الكينونة وحماية الهوية، هكذا تولد الشعوب وتؤسس الحضارات وهكذا يكون للتضحيات معنى وصوت وثقافة... هناك مسافة باقية لم نصلها بعد، هناك وقت حتى نجمع عظامنا ونكتب الماضي في القادم من أيامنا، لا زلنا نموت أمام الجدران والأسلاك الشائكة، لا زلنا نموت في السجن، لا وقت للاحتفال أو الاستعراض أو الاستعجال في إنهاء الرواية ووضع الخاتمة».

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾



رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي